عِقدُ الجَواهِرِ

بتراجم فضلاء وأعيان صعدة بعد القرن العاشر

المسمى نبلاء صعدة بعد الألف

القسم الأول

من سنة ١٠٠٠ - ١١٠٠هـ

جمع وتأليف

عبدالرقيب مطهر محمد حجر

عقد الجواهر
بتراجم فضلاء وأعيان صعده بعد القرن العاشر

المسمّى أيضا
نـبــلاء صعـدة بعد الألف

القسم الأول
من سنة ١٠٠٠ ـ ١١٠٠هـ

جمع وتأليف
عبدالرقيب مطهر محمد حجر

للمؤلف عن صعدة وتاريخها:

١ـ تاريخ صعدة القديم قبل وصول الإمام الهادي.

٢ـ معالم مدينة صعدة (مجلدان).

٣ـ ولاة صعدة وقضاتها وحكامها. (كتاب بسيط).

٤ـ أنساب البيوت الهاشمية في صعدة ونواحيها.

٥ـ نبلاء صعدة بعد الألف (الذي بين يديك). وهو خمسة أقسام.

٦ـ تاريخ مساجد مدينة صعدة.

٧ـ معجم البيوت الصعدية الوارد ذكرها في المشجر المنسوب لابن أبي النجم.

٨ـ مدونة صعدة الكبرى (تحت الجمع والتأليف) وتضم الكثير من أنساب القبائل والبلدان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم كتابه ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله بالهدى رحمة للعالمين، شهادة ألقاه بها يوم الدين، وأتعبده بها حتى يأتيني اليقين. اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله الذين هم كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى ..

أما بعد: فإن حفظ السير والآثار ووقائع الأزمنة والأعصار وتراجم الرجال ومعرفتهم مما قد حث عليه العلماء الأحبار ودأب في حفظه وتدوينه الفضلاء الأخيار لما علموا في ذلك من انتفاع اللاحق لمعرفة حال السابق، وكان أعظم ما يهتم بحفظه، ويعتنى بذكره ونشره تراجم الفضلاء وحملة العلم وأعيان الزمان ولما قل في هذه الآونة الأخيرة اهتمام أهل زماننا بهذا الشأن وكساد مثل هذه الصناعة عندهم وبوارها رجوت من الله الإعانة في جمع تراجم فضلاء وأعيان ونبلاء صعده بعد الألف كون هذه المدينة ـ وهي إحدى حواضر المدن ـ لم تطلع بمن يتصدى لذكر علمائها ومواليدهم ووفياتهم وشيئاً من أخبارهم طيلة قرون عديدة. وكان المرحوم السيد المؤرخ الكبير محمد بن محمد زبارة الصنعاني الحسني المتوفى ١٣٨٠ قد اعتنى بذكر نبلاء اليمن وعلمائه بعد الألف في كتب عدة مثل (نشر العرف) و(نيل الوطر) و(نزهة النظر) وغيرها من مجاميعه فكان حظ علماء صعده قليل لا يذكر ولعل عذره في ذلك عدم الإطلاع على المراجع والمظان، وابتعاده عن هذه الأوطان.

وفي أيامه اجتهد الفقيه الفاضل والعلامة الكامل سيدنا وجيه الإسلام عبدالرحمن بن حسين سهيل ابن المدينة الصعدية وسليل علمائها الأماثل لسد ذلك الخلل، والسعي إلى تحقيق هذا المقصد الأجل، فصنف كتابه (بغية الأماني والأمل في تراجم أولي العلم والعمل) بعد الألف ولكنه لم يكمله، إذ عاجلته المنية فانتقل وهو في السابعة والثلاثين من الأعوام إلى مستقر رحمة ربه ورضوانه ثالث صفر عام ١٣٥٩ تسع وخمسين وثلاثمائة وألف، وكان قد بلغ فيه إلى أثناء حرف الحاء المهملة.

فاستعنت بالله تعالى على الشروع في نشر ما جمعته من التراجم إلى وفيات أيامنا هذه في كتاب سميته في أول الأمر باسم (**نبلاء صعدة بعد الألف**) هذه تسميته الأولى ثم ترجح لي تسميته باسم آخر يكون أكثر جمعًا لموضوعه وشمولاً لمادته، فسميته (**عِقد الجواهر في تراجم أعيان وفضلاء صعده بعد القرن العاشر**) والتسميتان صحيحتان إن شاء الله. وقد ضميت فيه تراجم كل من صحت له ولادة أو وفاة فيها أو اشتهار نشأة أو نسبة إلى

مدينة صعده ونواحيها دون من عداهم إلا أن يكون استطراداً أو على جهة استحسان، وقد رجعت في جمع مادة هذه التراجم إلى كتب عديدة ذُكِرت بأسمائها في مواضع النقل، وما انفردت بإضافته فهو مما جمعته في و(جادات الناظر) و(الكشكول) من كتبي ونقلته إليهما بعد إطلاعي المتكرر في حوامي الكتب العلمية والمخطوطات والمجاميع الأدبية التي أتاح لي فرصة الوقوف عليها سيدي الفاضل عز الإسلام محمد بن قاسم بن عبد الله الهاشمي فيما نسخه على أقراص الحاسوب (الكمبيوتر)، فجزاه الله عنا وعن المؤمنين كل خير ومثوبة.

وقد رتبت الكتاب على حروف المعجم، وأفردت كل قرن من الزمان بعد الألف في قسم خاص به، فصار المجموع خمسة أقسام للكتاب.

فهذا القسم الأول المهيأ للطبع من المعجم الخاص قد اشتمل على تراجم ١٢٥ فاضلاً[1] جاءت وفياتهم ما بين عام الألف إلى سنة ١١٠٠ والكلام على عدة من البلدان الصعدية وعلى أنساب البيوت والتعريف بها إلى استطرادات تاريخية هامة اقتضت المناسبة ذكرهم في القسم الأول.

ويليه القسم الثاني من سنة المائة بعد الألف إلى سنة ١٢٠٠هـ.

ويليه القسم الثالث من سنة المائتين بعد الألف إلى سنة ١٣٢٠هـ.

ويليه القسم الرابع من السنة المذكورة إلى سنة ١٣٨٢هـ.

ويليه القسم الخامس من السنة المذكورة إلى أيامنا هذه سنة ١٣٣٤ أربع وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من هجرة المصطفى صلوات الله عليه وآله.

وبالله رب العالمين أستعين وعليه أتوكل وإليه أنيب هو حسبي نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) بإضافة خمسة تراجم على الترقيم، وهي: ترجمة الشريفة آمنة بنت أحمد بن يحيى بن أبي القاسم، وترجمة السيد الهادي بن أحمد الجلال، وترجمة السيد الحسين بن أحمد بن الحسين المؤيدي وترجمة صنوه الأمير صلاح بن أحمد المؤيدي، وترجمة السيد المفتي الصغير محمد بن عز الدين المؤيدي فليعلم ذلك.

أسماء الأعيان والفضلاء المترجم لهم في القسم الأول

حرف الألف

١. الإمام إبراهيم بن محمد حوريه المؤيدي.
٢. الفقيه إبراهيم بن محمد بن داود النهدي.
٣. الفقيه إبراهيم بن يحيى بن محمد المتميز.
٤. السيد الإمام أحمد بن إبراهيم حوريه المؤيدي.
٥. السيد أحمد بن الحسن طالب الخير المؤيدي.
٦. السيد أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود.
٧. السيد أحمد بن الحسن طالب الخير المؤيدي.
٨. القاضي أحمد بن صالح الهبل الخولاني.
٩. القاضي أحمد بن صلاح الدواري المعروف بالقضعة.
١٠. السيد أحمد بن صلاح سند الهادوي.
١١. الفقيه أحمد بن صلاح مرغم.
١٢. السيد أحمد بن عبد الرحمن المؤيدي.
١٣. الفقيه أحمد بن عبد القادر الطحم.
١٤. الفقيه أحمد بن علي دباش الملقب العارضة.
١٥. السيد أحمد بن علي الداعي.
١٦. الشيخ أحمد بن علي كباس العلافي.
١٧. المولى أحمد بن الإمام القاسم بن محمد.
١٨. السيد أحمد بن محمد حوريه المؤيدي.
١٩. السيد أحمد بن محمد بن صلاح القطابري.
٢٠. السيد أحمد بن محمد بن علي المؤيدي (نزيل الهند).
٢١. الفقيه أحمد بن محمد عقبة.
٢٢. السيد الرئيس أحمد بن المهدي المؤيدي.
٢٣. الفقيه أحمد بن موسى سهيل الصعدي.
٢٤. السيد أحمد بن الهادي الديلمي.

٢٥. السيد أحمد بن الهادي بن هارون.

٢٦. السيد أحمد بن يحيى بن أبي القاسم الرغافي.

٢٧. القاضي أحمد بن يحيى بن أحمد حابس.

٢٨. القاضي أحمد بن يحيى بن سالم الذويد.

٢٩. الفقيه أحمد بن يحيى الحداد المعروف بالشره.

٣٠. الفقيه إسماعيل بن أحمد سهيل.

حرف الحاء

٣١. السيد الحسن بن أحمد الجلال وصنوه الهادي.

٣٢. السيد الحسن بن داود القطابري.

٣٣. الإمام الناصر للحق الحسن بن علي بن داود.

٣٤. الفقيه الحسن بن محمد الصعيدي.

٣٥. القاضي الحسن بن يحيى حابس الدواري.

٣٦. السيد الحسين المؤيدي صاحب العدين.

٣٧. الفقيه حفظ الله بن أحمد سهيل الصعدي.

حرف الدال

٣٨. السيد داود بن الهادي بن أحمد المؤيدي.

حرف السين

٣٩. الفقيه سعيد بن داود اليمني.

٤٠. النقيب سعيد المجزبي متولي المخا.

حرف الشين

٤١. السيد شمس الدين بن الهادي الأعمش.

حرف الصاد

٤٢ . الفقيه صديق بن رسام السوادي.

٤٣. السيد صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيدي.

٤٤. السيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي.

٤٥. السيد صلاح بن عبد الله بن علي المؤيدي.

٤٦. السيد صلاح بن عبد الله القطابري.

٤٧. السيد صلاح بن علي المؤيدي.

٤٨. الفقيه صلاح بن محمد السودي.

٤٩. السيد صلاح بن محمد الداعي الكبير.

٥٠. السيد صلاح بن محمد الداعي الصغير.

حرف الطاء

٥١. السيد الطيب بن داود المؤيدي.

حرف العين

٥٢. القاضي حاكم المسلمين عبد العزيز بن محمد بهران.

٥٣. القاضي عبد القادر بن سعيد الهبل.

٥٤. الفقيه عبد الكريم بن صلاح الحيمي.

٥٥. السيد عبدالله بن أحمد بن الحسين المؤيدي.

٥٦. الإمام عبد الله بن علي المؤيدي.

٥٧. السيد عبد الله بن الهادي الحيداني.

٥٨. القاضي عبد الله بن يحيى الفهد.

٥٩. القاضي عبد الهادي بن أحمد حابس.

٦٠. السيد عبد الوهاب بن محمد الرغافي.

٦١. السيد عزالدين بن علي بن زيد المؤيدي.

٦٢. السيد عز الدين بن محمد المفتي.

٦٣. السيد علي بن إبراهيم الحيداني.

٦٤. الفقيه علي بن إبراهيم المحربي.

٦٥. السيد علي بن أحمد بن الإمام الحسن.

٦٦. الفقيه علي بن إسماعيل مشحم.

٦٧. الفقيه علي بن الحسن الطبري الوحشي.

٦٨. السيد علي بن داود بن الهادي المؤيدي.

٦٩. الفقيه علي بن داود الحيمي

٧٠. الفقيه الأصولي علي بن صلاح الطبري.

٧١. السيد علي بن عبدالله بن الإمام القاسم.

٧٢. السيد علي بن عبد الله الرغافي.

٧٣. الأمير علي بن الإمام القاسم بن محمد.

٧٤. الفقيه علي بن قاسم طشي الغرازي.

٧٥. الفقيه علي بن محمد بن جعفر.

٧٦. السيد علي بن محمد الجديري.

٧٧. السيد علي بن محمد المنتصر.

٧٨. الفقيه علي بن الهادي القصار.

٧٩. الفقيه علي بن الهادي الشقري.

حرف القاف

٨٠. الشيخ قاسم بن محمد الحطروم.

حرف الميم

٨١. السيد محمد بن إبراهيم الرغافي.

٨٢. الفقيه محمد بن إبراهيم المتميز.

٨٣. السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن.

٨٤. السيد محمد بن الإمام أحمد بن عز الدين.

٨٥. السيد محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي.

٨٦. السيد محمد بن أحمد المعروف بابن العنز.

٨٧. الفقيه محمد بن أحمد السهيلي.

٨٨. الفقيه محمد بن أحمد بن هادي الحطروم.

٨٩. السيد الرئيس محمد بن صلاح القطابري.

٩٠. السيد محمد بن صلاح بن محمد الداعي.

٩١. السيد محمد بن عبد الرحمن المؤيدي.

٩٢. القاضي محمد بن عبد العزيز بهران.

٩٣. السيد محمد بن عبد الله بن علي المعروف بأبي علامة.

٩٤. السيد محمد بن عبد الله أبو علامة.

٩٥. الفقيه محمد بن علي اليعقوبي.

٩٦. الفقيه محمد بن علي المهاجر.

٩٧. السيد محمد بن علي المنصوري.

٩٨. السيد الإمام محمد بن علي المعروف بالفوطي.

٩٩. القاضي محمد بن علي بن جعفر الزبيدي.

١٠٠. الفقيه محمد بن قاسم العبدي.

١٠١. الفقيه الأديب محمد بن مهدي الرغافي.

١٠٢. الفقيه محمد بن الهادي بن أبي الرجال.

١٠٣. الفقيه محمد بن يحيى الكليبي.

١٠٤. السيد محمد بن يحيى مجلي الرغافي.

١٠٥. السيد المهدي بن الهادي اليوسفي الملقب النوعة.

١٠٦. السيد المؤيد بن صلاح المؤيدي.

حرف الهاء

١٠٧. السيد الهادي بن أحمد الديلمي.

١٠٨. السيد الهادي بن عبد النبي حطبة.

حرف الياء

١٠٩. الأمير ياسين بن الحسن الحمزي.

١١٠. الفقيه يحيى بن أحمد النجري.

١١١. القاضي يحيى بن أحمد حابس.

١١٢. الفقيه يحيى بن أحمد الصعدي.

١١٣. السيد يحيى بن أحمد بن المهدي.

١١٤. القاضي يحيى بن سعيد الهبل.

١١٥. الفقيه يحيى بن سيلان السفياني.

١١٦. السيد يحيى بن صلاح القطابري.

١١٧. السيد يحيى بن صلاح القطابري (الحفيد).

١١٨. السيد يحيى بن محمد بن صلاح القطابري.

١١٩. الفقيه يحيى بن محمد مداعس.

وبه تعالى نتوكل ونستعين وهذا أوان الشروع....

١ـ الإمام إبراهيم بن محمد حوريه المؤيدي

السيد المولى الإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين بن الإمام الهادي إلى الحق عزالدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن الأمير شمس الدين يحي بن أحمد بن يحي بن يحي بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن المنتصر بالله محمد بن القاسم المختار بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم ابن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب الحسني اليحيوي المؤيدي المعروف بابن حوريه.

لم أقف على تاريخ مولده تحقيقا وهو في نحو سنة ١٠١٤ أربع عشرة وألف تخمينا، **هو المولى علم الأئمة الأعلام الجامع لخصال الكمال وكمال الخصال الجهبذ في العلوم والمحقق النحرير الفذ في منطوقها والمفهوم، صاحب المؤلفات الفائقة** التي منها: (تنقيح الأنظار شرح هداية الأفكار) في الفروع أربعة مجلدات، و(الإصباح على المصباح) شرح للثلاثين المسألة في أصول الدين، و(المسائل المهمة في المختلف من أقوال الأئمة) ذكر فيها اختياراته في الفروع، وله من ذلك (الرسالة الظاهرة في أحكام المخابرة)، وله منسك منظوم سماه (تيسير العبارة) أوقفني عليه أحد أحفاده وأوله قوله:

هاج الفؤاد لذكره أم القرى وطمت سواجمه إلى خير الورى
فالقلب ينزع والدموع سوابح والشوق يمنعه البلوغ إلى الكرى
واهتظت نحو السير مخلص نية ونبذت كل مثبط لي بالعرى
ووصلت أحبابي ومن عاملته بالبر أطلب منهم حسن البرى

إلى آخر أبيات القصيدة وتبلغ نحو ١٥٠ بيتاً، وقد شرحها بالكتاب الموسوم بـ(النخب المختارة الكاشفة عن تيسير العبارة في مناسك الحج والزيارة)، وله (قصص الحق المبين في البغي على أمير المؤمنين)، وله شرح على الكافل في أصول الفقه سماه (الروض الحافل)، وله في علم الأنساب (الروض الباسم في أنساب آل القاسم) الرسي، وله (اللمعة الذهبية في بعض القوانين الخطية)، و(عقود الجوهر في علم أسانيد الأثر من طريق العترة الغرر)، وقد وقفت على الكتابين الأخيرين بقلمه، وله غير ذلك من الرسائل والجوابات.

ومن مشايخه السيد الإمام صلاح بن أحمد بن المهدي المؤيدي الآتي ترجمته أخذ عنه قراءة وإجازة وتأهل بكريمته، وأخذ عن الفقيه العلامة الفروعي عبد القادر بن سعيد الهبل قرأ عليه في شفاء الأوام وغيره، وأخبرني سيدي وجيه الإسلام عبد الرحمن بن حسين شايم المؤيدي أبقاه الله أن من مشايخه أيضا السيد العلامة الكبير داود بن الهادي. قلت: ومن مشايخه المجيزين الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، أجازه رواية كتب الأئمة وأشياعهم وسائر مروياتهم كما سيأتي بيانه.

قال القاضي المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال وقد ذكر شيخه صاحب الترجمة في مواضع متفرقة من تاريخه مطلع البدور ومجمع البحور فقال: زين الموجود، وعين الوجود، ترجمان الشريعة، حامل لواء العلوم جميعها وإمام منطوقها والمفهوم، جبل من جبال الحلم، وبحر من بحار العلم، متبحر في العلوم جميعها، يفزع إليه في العظائم. وهو أحد شيوخي، وله شعر وبلاغة وطرائقه كلها حميدة في زهده وعلمه ومواظبته على الصالحات انتهى كلامه وإنما لم يفرده بالترجمة لكونه أحد الأئمة الدعاة. ومما روى القاضي المذكور عن صاحب الترجمة قوله: لما حججت إلى بيت الله لم أشعر إلا برجل جليل المقدار من العجم له شارة حسنة فسألني ما مذهبي فأخبرته فقال: يا مولاي رأيت علي بن الحسين وجماعة من آل محمد أظن أن منهم السبطين، هذا ظن مني أنا. قال: رأيت هؤلاء يصلون خلفك فعلمت أن الحق مع طائفتك. وطلب من صاحب الترجمة أن يضع له موضوعاً في الأصول والفروع ففعل، ولبث أياماً وعاوده بكتاب إلى صعده انتهى.

وقد ترجم له أيضا السيد الإمام صارم الدين إبراهيم بن القاسم الشهاري في طبقات الزيدية الكبرى والسيد المؤرخ الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى والصغرى، والسيد المؤرخ محمد بن محمد زبارة في خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون وذكره المولى مجد الدين بن محمد المؤيدي في التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية والقاضي عبد الرحمن بن حسين سهيل في بغية الأماني والأمل وغيرهم الكثير. **وعلى الجملة فهو من أعلام العترة الغرر، وعداده من الأئمة لا من المقتصدين**، وله دعوة بل دعوتين الأولى عقيب موت الإمام المؤيد بالله سنة ١٠٥٤ والثانية في سنة ١٠٦١ لأسباب حصلت بينه وبين أجناد المتوكل على الله إسماعيل كان منتهاها وصوله رضوان الله عليه إلى مقام الإمام المتوكل على الله في ذات السنة، وأقام لديه أياما وأوسعه إحسانا وإكراما، ثم أذن له بالعودة إلى وطنه وأقطعه الإمام رغافة وما إليها، فعزم من الحضرة المتوكلية وقد ثلجت الصدور، وانتظمت بتسليمه مجريات الأمور، ولم يتعقب ذلك شيء يذكر.

وله رسالة في التسليم قويمة لا ينبغي إغفالها إذ هي مغنية عن ذكر باقي رسائله وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدبر الأمور على مقتضى إرادته فكل يوم هو في شأن، المتصرف في مصالح خلقه على مر الدهور بلطف حكمته من غير موازر ولا ثان، المملك الملك من عبيده من ملكه في الكتاب مسطور في سالف أزليته فأنى لغيره سلطان، والصلاة والسلام على ذي الهدى والنور المبعوث لإعلاء كلمته إلى الأنس والجان، وعلى آله المطهرين أحسن طهور من رجس الشيطان، والمنزهين عن معصيته فهم لأهل الأرض أمان، **وبعد:**

فليعلم من على البسيطة من داني الأرض وأقاصيها، من أتهم بغورها وأنجد بصياصيها

أن الفقير إلى الله الداعي إليه بالمغفرة وراجيها إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين ثبته الله على قواعد الشريعة ومبانيها يقول: لما ظهرت الدعوة المتوكلية ظهور الشمس عقب ليل الفتن، الذي حارت فيها ذووا الألباب، ودان بها ذووا العقول، وخضعت لها خضوع الذليل غلب الرقاب، ورفعها المسلمون مكرمين لها ومعزين،

وذهبت إليها العلماء ثباتاً وعزين، ووكل بها قوماً ليسوا بها بكافرين، فصارت ماضية لشأنها، قاطعة لعنانها، قائلة بلسانها:

دعوني أجوب الأرض في طلب العلى فلا الكرخ بالدنيا ولا الناس قاسم

وعقد المسلمون للمسرة بها تاجا، ووهجوا للجذل بها سراجاً وهاجا، ودخل تحت أوامرها المسلمون أفواجا، وجاءوا نحوها أفراداً وأزواجا، وما ذاك إلا أن متحملها ينبوع العلم الفوار، وغيث الفضل المدرار، وزبرقان الفلك الدوار، وطراز غلالة المعالي والفخار

عليم رست للعلم في أرض صدره جبال جبال الأرض من دونها قف

ذلك فاتح الأرتاج، ودرة التاج، المولى أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين إسماعيل بن أمير المؤمنين. فحين اختصه الله بالخصائص الجليلة، ورأيت المصلحة في معارضة مثله قليلة، وكان الله قد أمر بالوفاق ورغب فيه وحث عليه فقال تعالى: أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه. سلمت ما كنت تحملته من الأعباء الثقيلة، تسليم راض لا شبهة فيه ولا حيلة، لوليه وابن وليه، الإمام المذكور المشهور المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم المنصور

إذ الأمر هذا لا يليق بغيره فألقى إليه قوسه ومشاقصه

ولا شك أن الله راض بدعوة إليها قلوب الخلق لا شك شاخصه

ولم نشرط عليه في التسليم إلا ما شرطه الله عليه ما بقي أيده الله على حالته المرضية سائراً على الكتاب والسنة النبوية

وها أنا قد خففت عني ثقلها على نية لله والله خالصه

فها أنا سائر تحت لواه، مهتد بهداه، ملتزم بأحكام الطاعة، داخل تحت جمعته والجماعة، على مقتضى ما يريد الحق من طاعة الأئمة، الذين هم أمان الخلق ما طابقوا مراد الله والتزموا طاعة الله، فليعلم من وقف على مكتوبنا هذا ما ألتزمته من أحكام الطاعة للإمام، وأن ما تقدم مني من مقتضيات النظر الذي اعتقدت فيه المطابقة لمرضاة الملك العلام، فإذا كنت في ذلك موافقاً لمراد الله فقد مضى بما فيه من أجر، وإلا فأنا استغفر الله وأساله حسن العاقبة وإليه ترجع الأمور، والإنسان محل الخطأ والنسيان، والكريم محل المسامحة والغفران. وقد ألزمت النفس طريقة الاقتصاد والتمسك بالوفاق، وأوقفتها في حلبة السباق على قصبة المصلين، وجذبتها عن إدراك شأو السباق، ومن سبقت منه إساءة إلي وظن أني بها قمين، فقد سألت الله أن يغفرها له وهو أرحم الراحمين، وجل من لا عيب فيه وعلا عن كل قول ذميم، وقلما سلم من الخدش أديم:

ألا لا أبالي من رماني بريبة إذا كنت عند الله غير مريب

ولا شك أن مثل هذا الأمر لمثلي في هذا الزمن لا يدخل فيه إلا من جذبته أمراس الاغترار، ولمعت له بوارق

الأماني من بين عارض مطار يشبه الوجوب وما هي إلا إعصار فيه نار، فعلمت ما كنت جهلته بعد الدخول فيه، وأيقنت بعد الخروج منه أن الله قد خفف عني الأصر واختار لي ما أختار: رب أوزعني أن أشكر نعمتك علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ووجدت بخطه رضوان الله عليه وسلامه هذه القصيدة البليغة في التوسل بخاتم المرسلين وسيد الوصيين صلوات الله عليهما قال: قائلها راقمها الفقير إلى الله إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين وفقه الله لما يحب ويرضى:

علام يلومني خلٌ نصوح ... وينهر سائلا مني يسيح
ويندبني إلى إخفاء سري ... وواجب مدمعي كرهاً يبيح
ولي قدح معلّى في التصابي ... وقدح سواي وغدٌ أو سنيح
ولي في كل ناحية حبيبٌ ... وقلبي دائما عني نزيح
إذا هبت شمال أو جنوب ... أو النكباء فهي به تروح
فأرودْ عاذلاً بفتى أليم ... أتاك بسره آتٍ صحيح
أمن هذيي سجيته تُسلِي ... ومن طارت به الأهواء تريح
وهبني كنت بالسلوان سمحاً ... لما ألقى فلي قلب شحيح
لأني قد فتنت بحب شخص ... كسي من نوره الصبح الصبيح
فيا حادي المطي هديت بلغ ... حديثي فهو مفهوم صريح
وأرسل عن مراسيل الأماقي ... فمرسلهن مرفوع صحيح
وقبّل تُرْب طيبة والمصلى ... فهيْ للقلب مأوى أو ضريح
لأن بها خيار الخلق طرا ... رسول الله هادينا النصيح
رسول ما يقام له بمدح ... ومن قد قال أعوزه المديح
وكيف به وجبريل خديم ... بما يوحي وبشراه المسيح
وآدم مذ رأى الأشباح لاحت ... تلقته بغفران يزيح
وكم جاءت له من معجزات ... لو اجتمعت لضاق بها الفسيح
كمثل الانشقاق ونطق ذئب ... بل الجذع الجماد غدى يصيح

وحاكته الذراع بأن فيها له سم لمهجته مبيح
وتسبيح الحصى من بين خمس أتت بالجود فهي له تسيح
وفي التبيان تبيين السجايا سجايا ما يلم بها القبيح
كفاه معجزا ومبين فضل ودع ما قال شق أو سطيح
وعرج بالغري على ضريح به الأملاك حافلة تشيح
ففيه العلم والعلياء حلا وبحر الجود والورع الشحيح
لأن به إمام الناس طرا وخير الخلق إن عدّ المليح
ومن ذاك الذي يحكيه منهم وقد حاكاه من باريه روح
وشق من العلي له علي ومن أنواره نور وضيح
فشابَه خير خلق الله فيه فذاك النور من هذا يلوح
ووآخاه وأعلاه إليه فما يُدرى خليل أم مسيح
ولم يعبد سواع ولا يغوثاً ولا نسرا فيغويه القبيح
بل اتبع النبي عقيب أن جاء إليه من الهدى نور يلوح
ولم يثني عن الباني عناناً وكل الناس بان أو جموح
وقام به الهدى من بعد وهن وبنيان الضلال به نطيح
لذا كان الجدير بكل فضل ومكرمة وخيرات تريح
وأمنحه بخيبر خير قول برغم سواه وهو به منيح
ويكفيه حديث الطير فخرا فهوْ فيما نحاوله صريح
وفي يوم الغدير له مقام أغر محجل بلج صبيح
وفي الفرقان ما يكفيه فخراً فما قدر الذي يأتي الفصيح
فمن نفس الرسول؟ ومن بنوه؟ ومن أهلوه؟ والنسب الصريح
وإن جئت البقيع فقل: سلام وريحان وجنات وروح
على الزهراء سيدة بتول ومن هي للرسول ابن وروح
على السبط الإمام بكل حال أتى في ذلك النص الصريح

فما شخص يقوم له بوصف ولا وصف يقوم ولا مديح
وقبّل تربة تلقاك منها شذا الكافور أو مسك يفوح
لأن بها خيار الخلق طرا سلالة خير من حاز الضريح
هو المختار أفضل من عليها ومن هم للورى فلك ونوح
وقل رق لكم يهدي إليكم سلام الله ما خفقته ريح
ومعتذر بتقصير إليكم فهذي توبة منه نصوح
وسائلكم له ترضون عنه فمرضيكم يريح ويستريح
فما تركي زيارتكم ملالاً وكيف وأنتم روح وروح
فها أنا مستغيث مستجير بكم في الذكر إن ضم الضريح
فيا خير الخليقة والبرايا ومن مِنْ وجهه الصبح الصبيح
سألتك بالذي أولاك هذا قبولا يا كريم ويا سموح
ويشفع للعبيد الرق حقاً فعذري نحوكم عذر صحيح
ولا زالت صلاة الله تترى عليكم ما أتى فيكم مديح

ومن شعره أيضاً القصيدة الرائية التي تجرم فيها لما أوثق مغلوباً إلى حضرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم سنة ١٠٥٥ وأولها:

توكل على الرحمن في السر والجهر فأفراجه تأتيك من حيث لا تدري

وهي طويلة وفيها من التجرم ما هو منسوخ بما تعقب من المصافاة، فلا حاجة إلى ما ذكره شارح الدامغة الكبرى فقد أبلغ بما لم يبلغ إليه صاحب الشان من التهويل فالله المستعان وقد وقفت في آخر نسخة شفاء صدور الناس شرح الأساس الصغير ـ من كتب المولى العلامة محمد بن إبراهيم بن علي حوريه المؤيدي المتوفى ١٣٨١ وهو من أحفاد صاحب الترجمة ـ على رسالة للإمام المتوكل على الله إسماعيل وجهها إلى السيد علي بن إبراهيم الحيداني بخصوص هذا الشان جاء من ألفاظها قوله: نعم ثم بعد هذا جاء من القاضي أحمد بن يحيى حابس حكم بأنه لم يُغدر به الخ.

ومن نظمه سلام الله عليه هذه الأبيات أرسلها إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل يحثه على تفقد طلبة العلم بالمشهد اليحيوي بمدينة صعده وذلك سنة ١٠٨١هـ:

أمير المؤمنين فدتك نفسي أتتك عروس فكر أي عرس
تذكرك المدارس كيف صارت لتدرك شمسها من قبل طمس

فإني قد رأيت العلم أشفى أما تشفيه قبل حلول رمس
وتدرك من مدينتا حياة فليس الطب قبل خروج نفس
وتحيى من معالمها مواتاً بأمر منك في منشور طرس
فأمرك والمهند في سواء وعدلك في الورى يضحي ويمسي
أما كانت ليحيى من قديم مهاجر كل شيعي ورسي
وللمنصور يوم (معين) فيها مقام عند ربك غير منسي
به قامت جهابذة كبار بدعوته وفيها كل نطس
وما زالت لعلم الآل فيها جبال شامخات ليس ترسي
ووقت أبي الحسين بها مئات أبوك لهم وسيطة عقد درس
فلو عيناك تنظر كيف صارت مدارسها دوارس مثل أمسي
ومن فيها من الطلاب يمسي يفكر كيف في تحصيل فلس
لأن حقوقهم صارت نهاباً وحظهم من الصدقات منسي
فهل يرضى إلهك مثل هذا وقد ولاك ربي كل نفسي
وحاشى أن تغاضي مثل هذا وأن ترضى بتطفيف وبخس

ولم يزل رضوان الله عليه وسلامه على ما ذكره مترجموه من إحياء العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عادة أمثاله من سادات أهل البيت حتى توفي بالعشة عشاء ليلة الأحد ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٠٨٣ ثلاث وثمانين وألف وحمل بليلته إلى هجرة فلله وبها قبر غربي قبة جده الإمام عز الدين بن الحسن قدس الله أرواحهم أجمعين.

***

وقد قيلت فيه المراثي العديدة منها ما رثاه به الفقيه الأديب صلاح بن حفظ الله سهيل وهي طويلة لعلنا نوردها في موضع من هذا الكتاب ومطلعها:

هي المصيبة منها القلب في حرق والجسم من فيض دمع العين في غرق

ورثاه القاضي العلامة الصدر المقول صفي الإسلام والمسلمين أحمد بن صالح بن أبي الرجال بهذه الفريدة الغراء فقال:

أجدك أن الدهر نابت نوائبه وشابت صفاء الصالحين شوائبه
وعطل عن دست العلوم مليكه وسارت إلى جنات عدن ركائبه

وغاض خضم العلم وهو غمطمط وقد مليت بالطيبات مراكبه
وغابت شموس الفضل في وسط الضحى فعمت من الجهل القبيح مراكبه
أجل هذه أشراط يوم معادنا فمن ذا الذي يلهو وتصفو مشاربه
فما بال رضوى لا يدك فهذه غريبة دهر ما تزال غرائبه
ألم يدر رضوى أنه مال شامخ رفيع يمس الزاهرات مناكبه
إمام علوم كان فرد زمانه إذا ذكرت في العالمين مناقبه
أناف على الماضين في العلم والنهى كما سبقت في العالمين مناسبه
سليل رسول الله وابن وصيه ومن كرمت في الناسبين ذوائبه
عليم إذا تملى العلوم تضايقت من الأفق الرحب الوسيع جوانبه
ففي النحو ماعمرو بن عثمان مثله وإن كرهت ذا المدح فيه نواصبه
وعلم المعاني والبيان فسعده استقام على ساق وجاءت عجائبه
وعلم أصول الفقه فهو إمامه يرى منتهى التحقيق إن جاء طالبه
وعلم أصول الدين أبدى خفيه بمعراج تحقيق ولاحت كواكبه
وحقق في تفسير كل غريبة شكا من خفاها ثابت العقل ثابته
خرائد من علم الكتاب تحجبت فلما أتى لم يغلق الباب حاجبه
ويملي حديث الآل حتى كأنما رأى ما حكى طه وما قال حاجبه
وأما فروع الفقه فاقتاد ركنها فجاءت بأنفال الفروع نجائبه
ونظّم من هدي العلوم جواهراً ترى العقد منها كالنجوم ثواقبه
ولله ما أسنى الظلام إذا أتى بمحرابه والنور فيه يصاحبه

إلى أن قال:

يقطع ساعات من الليل تالياً ومدمع عينيه تفيض سحائبه
وإن لنا من بعد غيبته ملاً مناصبهم في الصالحات مناصبه
بنوه أجل الناس قدراً ورتبة إذا اجتمعت عجم الورى وأعاربه
أضاءت لنا أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

يقول فتاهم حين يذكر مجدهم إذا دبّ من خِب إليهم عقاربه
وإني من القوم الذين هم هم إذا غاب منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه

انتهى المختار من هذه الفريدة ولله منشيها فهي تدل على خيم طاهر ومعتقد صالح وولاء ظاهر وهكذا فليرثي التلميذ شيخه.

(هجرة فلله)

فلله بلامين الأول منها مفتوح والثاني مشدد قبلهما فاء موحدة وتنطق اليوم لدى سكانها وعامة سكان البلاد الصعدية بإدغام اللامين في لام واحدة (فله) وتقع في أعلى وادي فلله من ناحية جماعة بينها وبين صعده مسافة ٢٥ كيلومتر تقريباً في الشمال الغربي منها.

وهي بلدة عامرة مشهورة في كتب التواريخ. وأول من اختطها كما يقال الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد الداعي إلى الله سنة ٧٩٦ ست وتسعين وسبعمائة قال في ملحق مشجر الجلال ما لفظه: وكان قيام الإمام علي بن المؤيد بهجرة قطابر ثم قصد صعده وحط عليها ولم تنفتح له ثم استوطن فلله وحل في قرى منها فأول سكناه بقرية ماعط ولم يطل فيها ثم سكن بالمغلا ومضت أكثر مدة خلافته وهو ساكن فيه ثم انتقل إلى أعلا قرية من فلله واستوطنها قبل وفاته قدر عشر سنين إلى أن مات بها سنة ست وثلاثين وثمانمائة انتهى.

ورأيت في بعض كتب التواريخ أن القاضي علامة الشيعة الزيدية فخر الدين عبد الله بن زيد العنسي المتوفى ٦٦٧ سبع وستين وستمائة ممن سكن فلله في بعض أيامه فلعل اختطاط الإمام علي بن المؤيد كان للقرية العليا المقابلة جبل نابح الموجود فيها المشاهد المقدسة والله أعلم. وفي أسفل وادي فلله تقع هجرة المزار بتقديم الزاي على الراء وهي لا تبعد عن الهجرة إلا بمسافة كيلو واحد جهة الجنوب وهي قديمة التأسيس ذكر السيد الحسن بن صلاح الداعي في الدامغة الكبرى أن الفقيه العلامة المذاكر في علوم الهدوية عماد الدين يحيى بن حسن البحيح هاجر إليها من مدينة صعده لما رأى سمّاناً يسلت بيده ما يبقى في الميزان من السمن إلى إنائه خيانة للمشتري فانتقل إلى المزار وبه توفى سنة ٧٣٠ ثلاثين وسبعمائة كما هو موجود على شاهد قبره قرب مسجد المزار رحمه الله. وعلى مقربة من مشهد الفقيه البحيح قبر العلامة محمد بن ناجي بن مسعود الحملاني ويقال له عابد زمانه وحضر دعوة الإمام علي بن المؤيد ووفاته ٨٤٠ أربعين وثمانمائة كما على شاهد قبره وإلى جانبه قبر والده المنسوب إليه مختصر تفسير الحاكم الجشمي العلامة ناجي بن مسعود وتاريخ وفاته على شاهد القبر مطموس وهي في القرن التاسع الهجري.

وتعتبر فلله من أشهر الهجر العلمية بالبلاد اليمنية، أنجبت عالما من العلماء الأفاضل والأدباء الفطاحل وخف إليها طلبة العلم من النواحي والبلدان كما يظهر جلياً من أسماء البيوت التي حفلت بها شواهد القبور هناك وفيها المشاهد المقدسة للأئمة الكرام كمشهد الإمام الهادي علي بن المؤيد وكمشهد ولده عين أعيان العترة في وقته

شرف الإسلام الحسن بن الإمام علي بن المؤيد المتوفى بها محرم سنة ٨٩١ وهو الذي أتم أساس أبيه في المشهد المقدس، وأقام مدرسة للقرآن ومدرسة لطالبي العلم الشريف والتعليم، وكمشهد حفيده الإمام الهادي لدين الحق عز الدين بن الحسن ووفاته بهجرة فلله رجب سنة ٩٠٠ تسعمائة للهجرة وقبره إلى جانب جده وهما في تابوت واحد. وكان الإمام عز الدين من أعلام الأئمة وحفاظ الأمة، متصرفا في العلوم، وله تصانيف ومؤلفات هي الغاية في التحقيق، منها (المعراج شرح المنهاج) وابتلي بمعارضة الحمزات أيام دعوته ومن رائق شعره:

أرى كل صاف رائق قد تكدرا وأصبح معروف الوفا قد تنكرا
وما في الورى إلا الذي في إخائه وفي وده والعهد يمشى على الورى
تأملت أصحابي على طول عهدهم وفكرت في أحوالهم متدبرا
فما ظفرت نفسي بخل تسرني مبادئه إلا ساءني متأخرا
ولا قلت أرجوه لإصلاح فاسد من الأمر إلا كان فيه المغيرا

وقد استوفينا أخبار فلله وأعلامها وخرابها المرة الأولى في دولة آل طاهر والمرة الثانية على يد سنان باشا التركي في بعض كتبنا. والهجرة هجرة فله خاصة ببني المؤيد قال المولى العلامة أحمد بن يحيى العجري المتوفى سنة ١٣٤٧ في كتابه ذروة المجد الأثيل فيما قام ودعا من أولاد المؤيد بن جبريل ما لفظه:

وهي الهجرة الكبرى التي سكنها الأئمة الفضلاء والعلماء الكملاء وهي أم هجرهم ـ يعني بني المؤيد ـ وبها كبرائهم ورؤسائهم ومنها نشأ العلم والعلماء وقام الأئمة والأمراء وهي بالعز والدين معمورة والساكنون بها أولاد الإمام عز الدين بن الحسن وفيها بيت من ذرية السيد العلامة المجاهد صلاح بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد ويقال لهم الآن آل السراجي قال: وهم أعني أهل هجرة فلله الآن أهل الرئاسة والكمال والكرم والإفضال وفيهم علماء وأدباء ولهم عند القبائل منزلة وطاعة وهيبة زادهم الله عزة وجلالة ورفعة ومهابة ووفقهم لسلوك آبائهم أهل العلم والكمال وجنبهم مشارب الوبال انتهى. وفي كتاب بلوغ الأرب وكنوز الذهب للسيد العلامة جمال الدين علي بن عبدالله بن القاسم بن المؤيد بالله بن الإمام القاسم بن محمد المتوفى نحو ١١٦٥ عند ذكر جملة من علماء عصره ومن قبلهم ما لفظه:

ومن آل الأمير المؤيد بن أحمد عليه السلام: السيد إمام الأخيار شارح المعيار داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن وهو المدفون في بيت القابعي وعليه مشهد مشهور مزور والسيد محمد بن الإمام الحسن وصنوه السيد الفاضل أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود وولديه الفاضلين: محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي المدفون بحيس وصنوه علي بن أحمد، والسيد العالم فخر الدين عبد الله بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن وولده محمد بن عبد الله وهو الملقب بأبي علامة، ويحيى بن الحسن بن الهادي[1] عز

---

(1) ينظر في نسب المذكور فلعل هناك خطأ في مصدر النقل أو من النساخ له.

الدين بن الحسن المؤيدي والسيد العالم أحمد بن محمد المؤيدي وهو الملقب بابن حوريه والسيد العلامة المجتهد صلاح بن أحمد بن المهدي المؤيدي النحوي الذي له شرح الفصول والسيد العلامة محمد بن عز الدين بن صلاح بن الحسن المؤيدي وهو المعروف بالمفتي صاحب الحاشية على الحاجبية وأحمد بن محمد بن عز الدين المؤيدي والسيد محمد بن صلاح القطابري المؤيدي والسيد الداعي إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي المعروف بابن حورية وولده أحمد بن إبراهيم والسيد صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيدي والسيد حسين المؤيدي صاحب العدين، والسيد الحسن بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد المؤيدي والسيدين الفاضلين الأخوين: إبراهيم بن أحمد وعلي بن أحمد أهل السوده وأولادهم الفضلاء، والسيد الفاضل المدرس في جامع صنعاء الحسن بن علي بن يحيى بن علي بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي، ثم السيد العلامة الحاكم في مدينة صنعاء: الحسن[1] بن علي بن الحسين بن محمد بن صلاح بن الإمام الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد عليهم السلام وإخوته السادة النجباء، والسيد: أحمد المؤيدي شيخ القرآن، ومنهم السادة المعروفون بني الدويدار السيد محمد بن أحمد وصنوه علي بن أحمد وغيرهم من آل الأمير المؤيد ففيهم كثرة ومنهم النجابة والسيادة انتهى كلامه.

قلت: وستأتي تراجم هؤلاء الأعلام والعلماء في مواضعها من هذا الكتاب.

٢ـ الفقيه إبراهيم بن محمد النهدي

الفقيه العلامة إبراهيم بن محمد بن داود النهدي.

ترجمه العلامة القاضي عبد الرحمن سهيل في بغية الأماني والأمل فقال: كان عالماً عاملاً من أعلام القرن الحادي عشر ولم يبلغني من أخباره شيء توفي صبح الجمعة شهر شعبان سنة ١٠٩٢ اثنتين وتسعين وألف وقبره عند مشهد آل المتميز بالقرضين مقبرة صعده رحمه الله تعالى.

٣ـ الفقيه إبراهيم بن يحيى المتميز

الفقيه العلامة الفاضل الكامل إبراهيم بن يحيى المتميز بضم الميم وفتح التاء المثناة الفوقية ثم الياء المثناة التحتية المشددة ثم الزاي الصعدي اليمني.

وبيت المتميز بيت عريق بصعده ولهم اشتغال بالفقه والتجويد وعلوم القرآن والديانة والصلاح منهم عدة من العلماء ومن أحفاد صاحب الترجمة العلامة المتأله الزاهد محمد بن الحسن المتميز المتوفى ١٣٩٨ ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف الآتية ترجمته في أحد أقسام هذا الكتاب.

وصاحب الترجمة كان أحد الفقهاء المدرسين في علم الفروع بصعده وله مشايخ وتلاميذ ترجم له القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال: كان من عباد الله الصالحين وأهل التقوى والخشوع مدرساً بصعده

---

[1] ( ) ينظر في نسب المذكور فهناك غلط فيه.

وقل ما دخل أحد من الطلبة في أيامه إلا ودرس عليه وكان كثير التبسم ثم يبكي بعد ذلك بكاء شديداً وكان حليفاً للقرآن كثير البكاء عند التلاوة حتى أن روي أنه كان في آخر عمره يقرأ كل يوم ختمة وله أولاد نجباء ستأتي تراجمهم. وترجم له السيد مطهر الجرموزي عند ذكر أعيان العلماء في أيام الإمام القاسم بن محمد فقال: كان فاضلا عاملا ورعاً عالماً مشغوفاً بالعلم، معروفاً بملازمة المسجد والصدقة والبر سيما بالأشراف، وكان تلو الفقيه أحمد بن موسى سهيل رحمهما الله انتهى.

وأجرى ذكره صاحب المستطاب فقال:

من العلماء الفضلاء الزهاد النجباء أدرك مدة المنصور بالله القاسم بن محمد وولده المؤيد بالله وكان مدرساً في علوم الهدوية بصعده المحروسة انتهى. ووفاة المترجم في شهر رجب سنة ١٠٣٧ سبع وثلاثين وألف وقبره في مشهد أهله بالقرضين رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

(ولده محمد بن إبراهيم)

وولده هو الفقيه الفاضل محمد بن إبراهيم المتميز الصعدي.

ترجم له في مطلع البدور القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال فقال: كان فقيهاً فاضلاً، درس في الفروع على شيخه العلامة علي القصار وغيره، وكان سهل الأخلاق كثير الخشوع. وفي المستطاب للسيد يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم أثناء ترجمته لوالده ما لفظه:

وولده الفقيه العلامة محمد بن إبراهيم من العلماء الفضلاء كان مدرساً بصعده، قال الراوي: وكان شديد المحبة لأهل البيت يرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم، وكذلك سائر المسلمين كان رحيماً بهم، ذا شفقة على المؤمنين، بسّاماً في وجوه الناس، كثير البكاء من خشية الله تعالى إذا قرأ القرآن أخذت السامع العبرة، وكان ناقلاً للقرآن غيباً، وله قيام للتلاوة والصلاة. وكان ورعاً زاهداً، يروى أنه وصل لوالده إبراهيم طعاماً من أحمد بن الإمام القاسم زمن ولايته على صعده، فرده ولده هذا، ولم يأخذ منه شيئاً مع أنهم كانوا إذ ذاك على حاجة. وكان للفقيه محمد بعض سعي على طلب الرزق ببعض التجارات، فضاعف الله له ولأخوته الأرزاق ببركة التعفف، وطلب الرزق من كد اليمين وعرق الجبين حتى أن أموالهم وتجاراتهم لا تكاد تحصى، وكان مع ذلك يصل أهل الفاقة من المسلمين وأيتامهم وأرملهم، ويعين الطلبة الأغراب مما حوّله الله تعالى، ومات شهيداً بوجع البطن، وقبر إلى جنب والده بمقبرة صعده وعليهم مشهد مشهور مزور والله أعلم انتهى.

قلت: وقفت على قبره بمشهد آل المتميز المعروف بالقرضين وفيه فائدة في رفع نسبه

فهو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسين بن محمد بن جحاف بن محمد بن أبي محمد بن الحسين بن يوريه المتميز الفارسي توفي آخر الليلة المسفرة عن صبيح يوم السبت سادس شهر ربيع الآخر من شهور سنة تسع وأربعين بعد الألف.

(مقبرة القرضين)

مقبرة القرضين بالقاف المثناة ثم الراء مهملة فضاد معجمة بعدها ياء ونون تقع على امتداد الجهة الشمالية والغربية من سور مدينة صعده، وهي في قدم تاريخها وشهرتها عند المؤرخين واحتوائها على قبور وشواهد العلماء والمشاهير مثل مقبرة (القرافة) في البلاد المصرية، ومقبرتي (الخيزران) و(قريش) في العراق، ومقبرتي (جربة الروض) و(خزيمة) في مدينة صنعاء.

وتتميز مقبرة القرضين بمادة تاريخية هامة بالنسبة لما تحتوي عليه شواهد القبور المصنوعة من حجر البلق التي أبدع أهالي صعده في صناعتها من كتابة تعريفية باسم المتوفى وشيء من أحواله ونعوته وتاريخ وفاته وأشعار من رثاء العلماء له حتى أني وقفت في بعض الأيام على أربعة ألواح على قبر واحد وهو للشريفة زوجة الأمير يحي بن حمزة المتوفاة في أوائل القرن السابع. وقد اعتنى الباحث المصري الدكتور مصطفى عبدالله شيحه بجمع كتاب حول ذلك سماه: (شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة) نشرته مكتبة مدبولي بالقاهرة سنة ١٤٠٨/١٩٨٨م.

ومن الأدبيات التي حفظتها تلك الشواهد الموجودة في مقبرة صعده التي شامي باب نجران إلى جهة الشرق هذه الأبيات كتبت على شاهد قبر الشريفة الطاهرة المصونة فاطمة بنت يحي بن يوسف بن عبد الله بن السيد العلامة علي بن محمد الأعمش والأبيات المشار إليها هي:

يا قبر ما زال يهمي فوقك المطر ... لم لا تتيه وفيك الشمس والقمر

وفيك جوهرة مخزونة دفنت ... تحت الثرى كتبتْ أوصافها السور

وفيك لؤلؤة مكنونة تركت ... قلبي كسيرا عليها ليس ينجبر

عقيلة من بني المختار طاهرة ... عديمة المثل عنها يحسن الخبر

حليفة الدين والتقوى منزهة ... عن كل عيب نماها سادة غرر

عدمتها قبل أن أشفي الفؤاد بها ... أو ينقضي لي أو مني لها وطر

بالله يا قبر هل زالت محاسنها ... وهل تغير ذاك المنظر النضر

يا حسرتاه على ذلك الحبيب وهل ... يجدي التحسر أو يشفى به ضرر

لقد تنغص عيشي بعد فاطمة ... ومقلتي بعدها ألوى بها السهر

والموت حتم من الرحمن قدره ... وما لنا مصرف عما قضى القدر

لا فارقت رحمة الرحمن ملحدها ... ووابل المزن لا ينفك ينهمر

ووفاتها شهر جمادى الآخرة من شهور سنة أربع وعشرين وتسعمائة. هكذا وجدت اسم الشريفة ونسبها وتاريخ وفاتها لما وقفت على شاهد قبرها عصر يوم الاثنين رابع عشر شهر شوال سنة ١٤٢٢ وللأبيات المذكورة قصة متداولة على ألسن العامة ولم أقف على من يرويها من الخواص[1].

وفي بعض المجاميع الأدبية جاء في التقديم بهذه الأبيات ما لفظه: هذه المرثاة نقلت من مقبرة صعده المسماة العوسجة وهي للقاضي سعد الزيدي في امرأة شابة جميلة وقد كانت عروسا برجل ولكن الله قدر لها جواره سبحانه فماتت ليلة الزفاف قبل أن تدخل على العروس ثم ذكر الأبيات السابقة.

٤ ـ الإمام أحمد بن إبراهيم حوريه المؤيدي

السيد الإمام صفي الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين بن الإمام عزالدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد الحسني المؤيدي اليمني الصعدي.

مولده سنة ١٠٥١ إحدى وخمسين وألف وقرأ على أبيه في جميع الفنون منها مؤلفه شرح هداية الأفكار وله منه إجازة عامة. ومن مشايخه القاضي أحمد بن علي شاور والقاضي الحسن بن يحيى حابس وارتحل إلى صنعاء مدة أخذ فيها عن بعض مشايخ العلم ثم عاد إلى بلده. وعنه أخذ صنوه محمد بن إبراهيم المؤيدي وكثير من أهل وقته واستجاز منه السيد عبد الله بن عامر فأجازه إجازة عامة. ترجم له السيد الإمام صارم الدين إبراهيم بن القاسم الشهاري المتوفى ١١٥٢ اثنتين وخمسين ومائة وألف في طبقات الزيدية فقال:

كان سيداً سرياً علامة متفنناً أقام بصنعاء أياماً. وترجمه معاصره السيد شرف الدين الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى فقال:

كان هذا السيد آية زمانه خلقاً وخلقاً وعلماً وعملاً كثير التواضع بساماً في وجوه الناس حسن الطلعة تام الخلقة، من سمع بصفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم توسمها فيه، لحسن خلقه وخلقه وكرم طبعه واستقامة نطقه، باراً بالمسلمين رحيماً بالمؤمنين، كريماً جواداً لا يدانيه في كرمه في زمانه أحد ولا ينازعه في جوده في حياته ولا بعد وفاته من أهم وأنجد، كان يستدين الديون الكثيرة مع نذوره الواسعة حتى مات وعليه من الديون فوق أحد عشر ألفاً مع كثرة مواده من الأئمة وولاة الأمة ورقي في مراقي العلم ما لم يرق غيره وشرح على متن الأزهار أوراقاً قليلة عاقه عن تمامها اشتغاله بترادف المحن ومشقة الزمن انتهى كلامه.

وأبيات منظومة الدامغة التي خصه بها قوله:

وسيف صارم دين الله أحمدنا المرجو للخير والملحوظ بالمقل

وقد تقضت لياليه ومر بها مسافراً عن ديار الهم والشغل

---

[1]) ومفاد هذه القصة أنها تزوجت ابن عمها فلما زُفت إلى زوجها أُذهل بجمالها ذهولاً منقطعاً، فطوى ليلته معها براحة واطمئنان وعندما أسفر الصبح أراد إيقاظها من نومها فإذا بها جثة هامدة، فأصابه فجأة جنون طارئ وبعد ذلك ثاب إليه عقله واسترجع، ونظم هذه الأبيات لتكتب على قبرها والله أعلم.

وحل في جنة الفردوس مرتقياً أعلى مقام بها في جيرة الرسل
قد كنت أحسبه عوناً على زمني وعدة لصروف الدهر والغيل
فخانني فيه دهر لا وفاء له وصرت من بعده كالهائم الفشل
بل صرت من بعده كفاً بلا عضد وساعداً لا بكف منه متصل
فرحمة الله لا تنفك نازلة عليه بالعفو والرضوان كالظلل
مضى وخلفنا من بعده هملاً وكان أكرم مصحوب ومرتحل

وصاحب الترجمة أحد الدعاة الذين دعوا بعد وفاة الإمام المتوكل على الله إسماعيل وتكنى بالهادي إلى الحق وبقي على دعوته أياماً وطاف الجهة الجماعية في طائفة من أصحابه ورجع إلى فلله ثم رجح عنده مبايعة الإمام القاسم بن المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد. قال السيد المؤرخ محمد زبارة: وقد كان يظهر قبل تنحيه أنه داعياً إلى الرضى.

ولما بايع الإمام القاسم بن المؤيد سار إلى عنده إلى شهارة وبقي هناك أياماً وولاه الجهات الشامية التي كانت تحت يد جده من قبل الأم السيد أحمد بن المهدي الآتية ترجمته فنزل من شهارة إلى الهجر ورجح له الحاضرون من أصحابه أنه لا يصلح أن يعزم قبل أن يتفق بالإمام المهدي سيل الليل أحمد بن الحسن وهو حينئذ بدرب الأمير حاطاً على شهارة لمحاصرة معارضه القاسم بن المؤيد فاتفق به ولم تحصل الألفة وتغير بذلك خاطر القاسم بن المؤيد ثم توجه إلى صعده وقد كمن له على الطريق في العمشية قوم من سفيان في موضع يسمى الفقم قيل والله أعلم أنه بتدبير من متولي صعده حينها ولم يكن مع صاحب الترجمة إلا قدر خمسة عشر رجلاً والقوم إلى الأربعين وقد كانت الجمال متعقبة وقد تقدم المترجم له وأصحابه فأخذ المتقطعون الجمال وطردوا من كان حاضراً عندها وأخذوا سلاحهم وخرجوا فلحقهم صاحب الترجمة ومن معه فأخذوا الجمال وكسروهم هزيمة، ورمي المترجم له بأربع رصاص فوقعت الأخيرة في رجله اليسرى بعد أن كان نزل من على الحصان وطلع القوم الجبل فرماهم السيد ورجع ما كان قد أخذوا من على الجمال وسلم الله صاحب الترجمة بعد أن أصابت الرصاصة من جانب رجله اليسرى وخرجت من الجانب الآخر ولم يقع فيه خلل ثم دخل إلى صعده وبقي أياماً وجرحه ذات ألم فوصل إلى العشة عند أهله وأولاده.

وقد هنئه بسلامة حياته إثر هذه الحادثة الفقيه الأديب محمد بن مهدي الرغافي الآتية ترجمته في حرف الميم من هذا الكتاب فقال:

عند الكريهة يعرف الأبطال وبها تسود على الرجال رجال
لا يعرف الأبطال من أضدادها في السلم إلا أن يكون نزال
فهناك يختلف الرجال منازلاً ويميز الدينار والمثقال

كل البرية سادة لو لم يكن جود يقام بحقه وقتال
بشرى لنا بسلامة البطل الذي للمجد فيه سلامة ونوال
رام الأعادي أن يشيموا صارماً للمفسدين بشفرتيه نكال
لولا دفاع الله عنه ونيلهم من في حماية ذي الجلال محال
أما الصفي فثار فيهم ثورة لولا الخلاء أتتهم الآجال
لاقوا هزبراً هاصراً زانته من أسلافه الأقوال والأفعال
صيد غطارفة خفاف في الندى وعلى ظهور الصافنات جبال
يا من يجود بروحه وبماله إن عزت الأرواح والأموال
أضحى محيا المجد يبرق فرحة إذ لم ينلك من العصاة منال
ويهز في حلل المكارم مائساً حسنت به الأطواق والأحجال
ورياض علم الآل طابت للورى ثمراً وجاد ربيعها الهطال
هنيت يا نجل الكرام مكارماً وسلامة بُلِغت بها الآمال
وورود عيد لاح في إقباله بقدومك الإسعاد والإقبال
هنيته وهو الذي لولاكم ما زان نوراً لاح منه كمال
لا زلت تدرك كل عيد بعده فيمن يسرك أهله والمال
في خفض عيش مستمر زانه عز وسعدٌ دائم وظلال
ما أطرب الحادي النجائب للسرا ليلاً وما شدت لهن رحال
ثم الصلاة على النبي وآله ما انهل مزن واستنار هلال

ولما توجه الإمام المهدي أحمد بن الحسن الملقب بسيل الليل في أول شهور سنة ١٠٨٨ إلى صعده الشام بعد تنحي الإمام القاسم بن المؤيد الشهاري أخذ طريقه على سفيان وعلى العمشية لتأمين الطرق ثم وصل إلى بركة مداعس فسكن هناك بعض أيام ثم سار متوجهاً إلى صعده وكان قد ضرب له الوطاق برحبان واستقبله أمير ومتولي صعده جمال الدين علي بن أحمد بن الإمام القاسم في موضع العيون قرب صعده مهنئاً ومواليا بمن معه من الأعيان ثم تقدم إلى رحبان ودخل بعد ذلك صعده لصلاة الجمعة وعاد إلى رحبان. ووصلت إليه قبائل صعده من كل أوب، وكان من أكابر الواصلين من السادة آل يحيى بن يحيى صاحب الترجمة فكان من جملة من والاه وممن أعطاه الإمام المهدي وحباه. وكان استقرار الإمام المهدي سيل الليل برحبان في نصف ربيع الأول من السنة المذكورة. قال

السيد عبد الله بن علي الوزير في الروض الباسم النضير تتمة البسامة:

ولم تطل مدة المهدي أحمد إذ رأته معوان خطب كهف مفتقر
كما جفت قاسماً ذا الفضل إذ به العصاة بكف الصارم الذكر
وحين لبى أخاه قر ناظره واستنفر الجيش نحو الشام في أقر
كلاهما صالح للأمر محتمل ثكل المكارم براً بالأنام بري
ذا رب فضل وعرفان ومرحمة وذاك رئبال خيس ثابت الغدر
سل حضرموت ودع عنك الحوادث سل سفيان أو عدناً واستقص بالخبر
وفوّض الأمر شمس الدين فاتفقا بعد الخلاف فكانت خيرة الخير

والمترجم له المعني بالبيت الأخير.

ولما توفي الإمام المهدي في سنة ١٠٩٢ اثنتين وتسعين وألف وبايع أهل الحل والعقد للإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل إسماعيل كان السيد صاحب الترجمة من المبايعين والمشايعين له ووفد إليه إلى ضوران والإمام ينزله منزلته من الإجلال والتكريم. ولصاحب الترجمة مطالعات ومعاتبات للإمام المؤيد محمد بن المتوكل كما هي عادة الأقران المتعاصرين ومن ذلك أبيات قصيدته التي أوردها المولى أحمد بن يحيى العجري في ذروة المجد الأثيل ومطلعها:

صبرت وما مثلي على الضيم يصبر وقصرت والتحليق بالحق أجدر

وهي طويلة طويناها مخافة التطويل.

وكان صاحب الترجمة لا يزال في أيامه كلها آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر في صعده ونواحيها لا تأخذه في ذلك لومة لائم، ومما يذكر عنه في ذلك أنه اتفق أن جماعة من رعاع أهل صعده يتجمعون في الفندق الذي نظره إلى الفقيه عمر ويصدر منهم ما لا يليق قولاً وفعلاً فرفع السيد صاحب الترجمة ذلك إلى مسامع الجمالي علي بن أحمد فوضعهم في الحديد فما كان بأسرع من أن وصل إليه الفقيه عمر يعاتبه ويذكر أن التأديب فيما يتعلق بالفندق إليه فلم يسعه غير إطلاقهم فرفع ذلك إلى صاحب الترجمة فلم يلق بداً في البداية بتأديب عمر الذي نهى وأمر فقصده مع جماعة من السادات وأعيان الطلبة فلم يصادفه في غير جامع صعده وتضيقت الحادثة فضرب عمر هنالك ضرباً مبرحاً ثم خرج صاحب الترجمة عن صعده إلى محله وطالع الإمام المتوكل إسماعيل بصورة ما صدر فأراد الإمام إرسال أحد القضاة لاستفصال القضية ثم رجح عنده التغافل لضرب من الصلاح والحادثة المذكورة مؤرخة في نصف جماد الأولى سنة ١٠٨٦ ست وثمانين وألف.

ومن أدبيات المترجم الفائقة وأشعاره الرائقة ما قرظ بها (نفخ الصور في ذكر آل القاسم المنصور) وهي قصيدة السيد العلامة يحيى بن أحمد العباسي العلوي التي أولها:

نسمات المنظوم في المنثور رق منشورها بنفخ الصور

وقد قرظ القصيدة المسماه القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال والأمير الكبير العلامة الحسين بن عبد القادر أمير كوكبان وغيرهما من أدباء ذلك العصر. ومن تقريظ صاحب الترجمة رحمه الله له المشتمل على نصائح وفوائد قوله:

نسمات النسيم عند السحور فوق روض معطر ممطور
أم عبير يفوح من جيد خشف أغيد مائس كحيل نفور
يتثنى كأنه غصن بان حركته يد الصبا في البكور
فاق لطفاً عليهما ما رأينا وسمعناه من شفاء الصدور
عن عماد الهدى وحيد المعالي ورئيس المنظوم والمنثور
من نظام يفوق دراً نضيدا في عقود بمشرقات النحور
وبدوراً إذا هززن قدوداً مائسات أزلن صبر الصبور
مادحاً فتية بهم كشف الله عن الخلق ظلمة الديجور
من ضلال يصدهم وجحود ومعاصي وسلطة من كفور
فلعمري لقد أخذت بمدح إحتواه مقال نفخ الصور
سيما مدح خير داع إمام ماجد حازم وليث هصور
من دعته ملائك كل ليل ذاك يكفيه عند فخر الفخور
الإمام الكريم من قام لله بعـ ـزم يفض صم الصخور
وأزال الفساد عن كل أرض ومحا بالسيوف رسم الفجور
ذاك مولاي قاسم وإمامي وإمام الأنام عند النشور
وابنه ذلك المؤيد بالله إمام معظم في الصدور
جمع الزهد والجهاد وعلماً نافعاً واسعاً كفيض البحور
وكذاك الإمام أفضل ماش بعد آبائه الكرام البدور
ذلك الحبر خير فذ كريم من بنا في الفخار أعلى القصور
شاده وارتقاه حتى علاه وسماه لعصبة المنصور
شأنه الفضل والتوكل حقاً فلذا ساعدته زهر الزهور
ذاك مهدي عصرنا خير داع لرشاد ومنقذ وغيور

من تحلى بفتح ثغر الأعادي مذ نشأ مولع بفتح الثغور
فهو في صهوة الجياد مقيم وبنقع تراه كالمغمور
باذل نفسه لطاعة مولا هـ بضرب بسيفه المشهور

ومنها:

وبطعن الكلى بسمر العوالي فوق جرد كريمة كالصقور
هؤلاء الكرام من قد دعونا وبنوهم أولوا التقى والنور
فعليهم من الإله سلام ما تغنى الحمام فوق الزهور

ومنها:

وعليهم انجاد كل فقير فهم المنجدون كل فقير
كم رأينا في دهرنا من ضعيف صار للاحتياج كالمخمور
ذاهل لبه تراه كئيباً يتمنى أن يكتفي باليسير
قل لهم يطلبون منه دعاء ويجيبون دعوة المحرور
وعليهم حساب أهل الولا يات على جمعهم بمال كثير
من حلال ومن حرام أتوه لم يخافوا من هول يوم النشور
ما سمعنا من الولاة برفق بل ولا يذكرون يوماً بخير
ما خلا عصبة نشير إليهم فهم الأطيبون عن ذا الشرور

إلى أن قال مقرراً لتقريظ القاضي المجيد أحمد بن صالح بن أبي الرجال:

وأرى ما رآه قاض مجيد من مقال في نظمه المزبور
فهو الحق ليس حق سواه فعليهم بقوله المذكور
فجزاه من الإله نعيم في جنان ونعمة وحبور

وكانت وفاة صاحب الترجمة ظهر يوم الخميس سادس وعشرين شهر ربيع الأول سنة ١٠٩٩ تسع وتسعين وألف وعمره ثمان أو تسع وأربعون رحمه الله تعالى. ورثاه السيد الحسن بن صلاح الداعي المنقول عنه تاريخ الوفاة بمرثية طويلة أولها:

دعواك أنك محرق لا تسمع أبداً وأنت على الأرائك تهجع
كيف الهجوع وقد ترى ما قد جرى من حادث جلل وخطب تفجع

فاسكب دموعك إن صدقت بها دماً لا بالمياه فإنها لا تنفع
بل ربما سكنت لواعج محرق بِجري ماء من عيون تدمع
أين القرار ولا قرار وإنما من تبتغيه بما يؤمل يخدع

ومنها:

عجباً لنفسي بعد أحمد كيف لم تفنى وقلبي كيف لا يتصدع
أيطيب عيشي والمنام وقد مضى من كان لي عند النوائب مرجع
من ذا يعلل بالسلو فؤاده أو في الإقامة بعد أحمد يطمع
هيهات ذاك وإنما كل الورى ما بين آجال تمد وترفع
هذا الفتى الشمسي عين زمانه لم يبق وهو الزاهد المتورع
ملك من الأملاك حط بسوحه أمر يهول وحادث لا يدفع
شمس الهدى بحر الندى بدر الدجى من كان حقاً للمكارم يجمع
كهف الأرامل واليتامى والذي يأوي إليه المستضام ويرجع

ومنها :

قل للعواذل طولوا أو قصروا إني لهول مصابه لا أهجع
ولئن سلوت فما سلوت وإنما لي زفرة تعلو وعين تدمع
فأقول من حزني وحاصل لوعتي وتفكري فيما يضر وينفع
من للعلوم يفك حادث مشكل فيها وللكتب الشريفة يسمع
من للأعنة والسيوف وللقنا من للدروع وللأسنة يشرع
من للمكارم والمعالم والعلا من للمسامع بالمواعظ تقرع
من للمنابر والمحابر أخبروا من للوفود إذا دعوه يسمع
لهفي على حاوي الكمال بأسره لهف امرء لفراقه يتوجع
آه على النجم الذي من برجه هوّى وكان لنا ضياء يصدع
آه على البدر المغيب في الثرى فالليل داج بعده لا يقشع
آه أكررها على طول المدى حتى أموت ويحتوني المضجع
لا جازعاً أبداً ولا مستسخطاً حكم الإله وليس مثلي يجزع

أرضى بما يرضى الإله وإنما أبكي عليه ومن عيوني أدمع
دراً حشاه بمسمعي فتراه من عيني يجري لؤلؤاً يتقطع

إلى آخرها وهي طويلة. وقبره رحمه الله تعالى في العشة من أعمال صعده وعليه قبة معمورة قبلي مسجد غافل وعلى الضريح قصيدة مطلعها:

هذا ضريح إمام العترة الفضلا من آل يحيى بن يحيى بهجة النبلا
شمس الهدى الحبر بدر الآل عن كمل في ذي ربيع إلى دار البقا أفلا

(العشة)

بفتح العين المهملة وتشديد الشين المعجمة وفتحها ثم هاء، وتسمى عشة ابن الحصين وهي من مخاليف صعده في الشمال الشرقي منها بنحو أربعة أميال تتبع عزلة الأبقور من أعمال ناحية سحار، ولها ذكر في كتب التاريخ وبالأخص في القرن الثالث والرابع الهجري فقد ارتبط ذكرها بذكر بني فطيمة من قبائل خولان بن عمرو بن إلحاف القائل فيهم ابن الحائك الهمداني:

هم قحطان لا قحطان إلا فطيمي نمى في عرق سعد

وذلك أنهم أخوال بني سعد بن سعد بن خولان وفي العشيين يقول إبراهيم بن محمد الجدوية الصنعاني وكان أشعر زمانه وكان يتنزر:

تعاتبني حسينة في مقامي بأرض العشِّيين فقلت خبتِ
أفي قوم أحلوني وحلوا على ظهر الثريا اليوم لمتِ
بعزهم علوت الناس حتى رأيت الناس والثقلين تحتي
وإن شهدوا الحروب فأسد غاب غضاب دون أشبلها بخبت
وإن طلبوا المكارم أدركوها بكل مقدم العرنين صلت
فقد طابت مغارسهم وطابوا وزادوا في المدائح فوق نعتي
سلي الدنيا ومن أضحى عليها تنبئك اليقين إذا سألت
أحقا يا سماء رأيت قوماً مشوا من تحت ظلك مذ رفعت
وهل يا أرض كان لهم نظير على أكتاف ظهرك مذ سطحت
ويا شمس النهار عليك أولى يمين الله ربك هل طلعت
على قوم كمثلهم لجارٍ غريب، أو لأرملة ومشت
وللحرب العوان إذا إزبأرت نواصي الخيل من شقر وكمت

وفي عصر الدولة القاسمية في القرن الحادي عشر كانت العشة مخرفاً ومتنزهاً للعلماء الفطاحل والأديب الحلاحل ولسائر أهالي وتجار مدينة صعده وكان بها دار للقاضي أحمد بن يحيى حابس ويسكنها اليوم السادة آل المؤيد منهم آل حوريه وآل الشيبة وآل داود وآل قهادة وآل القطلي وقبائل من الأبقور من سحار.

وفي العشة مساجد عديدة قيل أنها بلغت في بعض الأزمنة إلى ٢٨ مسجداً، ومن تلك المساجد التي وقفت على أسمائها: مسجد البطحاء ومسجد الهبي ومسجد المبرك ومسجد الهنود ومسجد بير السفلى ومسجد بير العليا ومسجد بير قاسم ومسجد الوسط ومسجد الوطط ومسجد الشعاب ومسجد الشعبة ومسجد المنصور ومسجد الفنود ومسجد الزعبري ومسجد غافل ويسمى الآن غافر بالراء بدلا عن اللام، وقد ابتنى بالقرب من المسجد المذكور في منتصف القرن الرابع عشر الهجري السيد المولى العلامة محمد بن إبراهيم حوريه المتوفى ١٣٨١هـ دارا عامرة، واسعة مهيئة، وفيما يحكى أن بنائه لتلك الدار كان من دواعي الوشاية التي سببت توقفه في قصر غمدان بصنعاء عن أمر الإمام يحيى بن محمد حميدالدين تخوفا من المعارضة والله أعلم.

قلت: وقد تم التلويح من قبل السيد العلامة الحسن بن صلاح الداعي بتسمية المسجد وموضع قبر صاحب الترجمة منه بقوله:

رحم الله أعظما دفنوها شرق محراب مسجد الله غافل
فهو ضد اسمه على العمر ظاهر وهو بالجمع بالبرية حافل
قبر شمس الهدى وبدر المعالي ورضيع العلى وغوث الأرامل

ومما قاله الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد البهكلي قصيدة أنشاها في شهر صفر سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف يمتدح محروس العشة ومطلعها:

يا حبذا العشة روضاً طيبا فائقة على الوهاد والربا
أيامها غرة أيام الصبا فكل صب لهواها قد صبا
شوقاً لها من ولهٍ وفقد
أرض بها سؤل النفوس والمنى كأنها جنات عدن في الدنا
نذرت أن أنشد فيه معلنا يا روضة عانقها مزن الجنا
زارك هتان صدوق الوعد
إني قرير العين مسعود الزمن سال عن الهم لعمري والحزن
إذ صيّرتها نيتي دار وطن لحب سكان الديار والوطن
فكم كتمت لوعتي ووجدي

حق لمثلي في الزمان أن يرى لفضل ذي الطول العريض شاكرا
مسبحاً بحمده مكبرا إذ لم شعثي بالكرام الكبرا
أهل المعالي وبناة المجد
أكرم قوم في البرايا وملا بدور تم وكمال مجتلى
مفخرهم على السماك قد علا أكرم بهم إذا نعد الفضلا
من مضر في الناس أو معد
بني الإمام الماجد المؤيد واسطة العقد النفيس المفرد
لم يلق منهم غير زاكي المحتد كريم أصل وكريم مولد
نفسي لهم من الشرور تفدي
ما خاب عاف لنداهم قد رجا ولا استكان من إليهم قد لجا
رواسخ الأحلام من رجح الحجا أعددتهم للنائبات فرجا
لي ولأهل صحبتي وودي
نزيلهم لا يخشى من سهم الردى وجارهم في منزل النجم غدا
تجاوزوا إلى العلى حدّ المدى فأحرزوا المجد ونالوا السؤددا
وليس يحصى فضلهم بعد
البلغاء أن تعد الخطبا والصُبر الشم إذا الدهر كبا
لا ينقضون للملمات الحبا ولا يدينون لخطب إن نبا
أسد الشرى فيا لهم من أسد
هم الليوث في الوغا إذا التقا تخطروا السيف معد للفنا
لا يستكينون لجان إن جنا حسبك هم عمن نأ ومن دنا
فارض بهم لتنثني بالسعد
جاءوا على أس من الفضل بني فشيدوه بالفخار الحسني
ومهدوه بالفعال الحسن فهل لهم من مشبه في الزمن
كلا فخذ عني وسل من بعدي

إن عد أهل الفضل كانوا الأمرا أو سوبقوا كان سواهم من ورا
أبحر علم إن زمان غيرا حلوا من الخطب وثيقات العرى
أكرم بهم منتجعاً لوفد
إن رمت أحصي ثناءهم في البشر أو نشر ما كان لهم من مفتخر
قيل لي اكتف بالكتاب والأثر إنهم أشرف بيت من مضر
فأين مدحي وقصارى جهدي
يا أهل بيت المجد والنبوة ومعدن الرسالة المتلوه
ومنبع الإمامة المحبوة بخ بخ ذا شرف الأبوه
وراثة من والد وجد
وأنتم فرع لذاك الأصل وأبحر من بحر ذاك الفضل
زانكم الله بحسن الفعل وزادكم منه مزيد البذل
مكارماً مأهولة للرفد

إلى آخرها وسيأتي من أبياتها في شتيت التراجم.

٥ ـ السيد أحمد بن الحسن طالب الخير

السيد النبيل الرئيس الفارس أحمد بن الحسن طالب الخير بن أحمد بن المهدي بن الإمام الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد الحسني المؤيدي.

هكذا نقلت نسبه عن مشجر أبي علامة وعن كتاب ذروة المجد الأثيل. وصاحب الترجمة كما نقل عن قلم بعض علماء بني المؤيد: هو السيد الشهيد الرئيس المجاهد، كان من أهل الجهاد والشجاعة حسن الأخلاق من أهل الطرائق الحسنة والأفعال المستحسنة، شارك في حصار صنعاء على الأتراك مع الحسنين أولاد الإمام القاسم بن محمد واستشهد في حروب حدة من أعمال صنعاء ودفن بها في سنة ١٠٣٧ سبع وثلاثين وألف عن ٥٨ سنة لأن مولده في سنة ٩٨٠ ثمانين وتسعمائة انتهى. وهو الذي استطرد ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور أثناء ترجمة السيد أحمد بن الحسن المعروف بطالب الخير الآتية ترجمته قريباً فقال: وفي آل المؤيدي من اسمه أحمد بن الحسن طالب الخير من أعيان الرؤساء شجاع باسل واكتفى بذلك.

وفي اللآلي المضيئة للسيد المولى الكبير أحمد بن محمد الشرفي يذكر حادثة استشهاده ما لفظه:

وفي يوم من جمادى الآخرة من السنة المذكورة خرج الأتراك من صنعاء إلى نواحي حدة أرادوا إخراب قصبة كان أمر بعمارتها شرف الإسلام الحسين بن أمير المؤمنين أيده الله، فوصلوا إلى حول القصبة فلم يجدوا فيها غير العمار

فهربوا عنها فأخربها الأترك، ثم وقع الصريخ في الناس فأغاروا من كل مكان، واجتمع خلق كثير، وتناوشوا الحرب في القاع، فاستُشهِدَ من أصحاب الإمام عليه السلام واحد من جبل حضور، والسيد الهمام المجاهد المقدام أحمد بن الحسن بن أحمد بن المهدي بن أمير المؤمنين عز الدين بن الحسن بن علي بن المؤيد عليه السلام وقع فيه رصاصة فبقي ثلاثة أيام ومات رحمه الله تعالى يوم الجمعة لعشرين يوم خلت من شهر جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين بعد الألف وكان هذا السيد من عيون السادة آل المؤيد، وكان له رغبة في الجهاد وهمة عالية فرزقه الله الشهادة التي هي أعظم درجة الأجر انتهى بلفظه.

قلت: ومن ذريته السادة بيت الدخنان وبيت الطالبي وهم غير بيت الطالبي الذين هم من ذرية الإمام القاسم بن محمد لقبوا بذلك نسبة إلى ولده الحسن الملقب الطالبي بن محمد بن أحمد بن الحسن طالب الخير.

٦ ـ السيد أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود

السيد الأمير أحمد بن الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد الحسني المؤيدي اليمني الصعدي. مولده تقريباً في سنة ٩٧٥ خمس وسبعين وتسعمائة. أخذ عن القاضي العلامة أحمد بن صلاح الدواري وعن الإمام القاسم بن محمد ومن مسموعاته عليه مجموع الإمام زيد وغيره. وقد ذكره السيد الحسن بن صلاح الداعي في منظومته الدامغة الكبرى فقال:

كابن الأسير صفي الدين أحمدنا سبط الإمام الذي للمكرمات ولي

وقال في شرح هذا البيت في التعريف به: هو السيد المقدام الهمام الليث الضرغام أحمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود، له الجهاد المحمود مع الإمام القاسم بن محمد. وترجم له أيضا العلامة عبدالله بن علي الضمدي في العقيق اليماني فقال:

وفيها يعني سنة ١٠٢٤ أربع وعشرين وألف توفي السيد الجليل رئيس المجاهدين وابن امير المؤمنين أحمد بن الحسن بن علي المؤيدي وكان من أعيان مقادمة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد عادت بركاته وله معه جهادات كبيرة في بلاد صعدة رحمه الله انتهى.

قلت: وصاحب الترجمة كان من رؤساء أهل وقته وساداتهم وكان الإمام القاسم بن محمد عليه السلام يرعى جنابه ويحفظ فيه حق شيخه عليه الإمام الحسن، وزيادة في ذلك تزوج بأخته الشريفة فاطمة بنت الإمام الحسن بن علي بن داود وذلك عند انتقال الإمام إلى السودة في سنة ١٠٠٧ سبع وألف لاستقرارها عند أخوالها أولاد الأمير عبد الله بن يحيى المعافى وأما المترجم فأخواله من بني المؤيد قال السيد داود بن الهادي عند ذكر أولاد الإمام الحسن: وله من الولد ثلاثة السيد المقام الصدر القمقام شمس الدين أحمد بن أمير المؤمنين وأمه الشريفة المطهرة شمس بنت الحسن بن بدر الدين، وأما السيد الأمجد عز الدين محمد بن الإمام وكريمته فاطمة وأمهما الحرة المكرمة ملوك بنت الفقيه عبد الله بن يحيى المعافى. وبعد هذا التاريخ سنة ١٠٠٧ رافق صاحب الترجمة الإمام القاسم وقرأ عليه وخرج معه إلى برط لما شدد الأتراك عليه الحصار في شهارة سنة عشرة وألف، وبعد ذلك استنهضه للجهاد

وبعثه لمصادمة الأتراك ومنازلتهم في عدة من الجهات في صعدة وبلاد خولان والأشمور وحجة وغيرها، وكانت المقتلة على الأتراك التي اتفقت في جبل وضرة في بلاد حجة على يد صاحب الترجمة وعساكره وذلك في سنة ١٠٢١ إحدى وعشرين وألف ثم كان أحد الحاضرين لوقعة الشقات الآتي ذكرها لاحقا وبالجملة فأخباره كثيرة يجدها المتطلع في اللآلي المضيئة للعلامة الشرفي وفي النبذة المشيرة للجرموزي وفي غيرهما من كتب التواريخ، وكانت وفاته رحمه الله في المركز الإمامي بالحضاير غربي صعدة وهو يحرب محطة الأتراك بألم السابع شهر رمضان سنة ١٠٢٤ أربع وعشرين وألف وحمل لدفنه إلى هجرة فلله فقبره في القبة التي شرقي مصلى العيد شامي القرية، وعلى ضريحه أبيات حسنة.

قال المولى العلامة أحمد بن يحيى العجري وقد ترجمته ونقل بعضا من أخباره في كتابه ذروة المجد الأثيل ما لفظه: ومن ذرية مولانا أحمد بن الحسن السادة الفضلاء النبلاء الكملاء المعروفون بآل الهاشمي سكنوا رحبان وصعدة وفيهم العلم والزهادة ولم ينقطع العلم منهم انتهى ما أردنا نقله وسيأتي في هذا الكتاب ذكر الأعلام العلماء من أهل هذا البيت وتراجمهم وأول من لقب بالهاشمي منهم في موضعه إن شاء الله.

وقد ذكر في مشجر أبي علامة أن أولاد المترجم له ثلاثة هم: محمد وحسن وعلي وستأتي تراجمهم في هذا القسم من الكتاب، وقد ذكر العلامة الضمدي رحمه الله في العقيق اليماني كما سيأتي إيراده لاحقا: أن إحدى بنات الإمام القاسم بن محمد كانت تحت صاحب الترجمة، قلت: نعم وهي الشريفة الطاهرة خديجة بنت الإمام القاسم بن محمد كانت ذات صلاح وتصدق ولها وصية معروفة، وقفت عليها في درج الأوقاف، ووقفت أيضا على قبرها بمشهد آل الهاشمي في مقبرة القرضين بصعدة، فهي جدتهم وكان وفاتها خامس شهر القعدة سنة ١٠٧٠ سبعين وألف رحمهما الله وإيانا والمؤمنين.

٧ ـ السيد أحمد بن الحسن المعروف بطالب الخير

السيد العلامة المتضلع الفاضل أحمد بن الحسن بن علي بن صلاح بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني اليحيوي المؤيدي المعروف بطالب الخير.

مولده في سنة ٩٤١ وأخذ العلم عن علماء عصره ولعله تتلمذ على السيد العلامة الكبير محمد بن عز الدين صاحب الحاشية في النحو المعروفة بحاشية السيد المتوفى ٩٧٤ أربع وسبعين وتسعمائة. قال القاضي ابن أبي الرجال في تاريخه مطلع البدور مترجما له: كان من أعيان وقته وعلماء زمانه صحب الإمام الحسن بن علي بن داود ثم الإمام القاسم بن محمد عليهما السلام وهاجر إلى العصيمات واتفق له هنالك كرامَة وهو أنَّ بعض الناس سبّه رحمه الله فجاء كلب جرّ لسانه أخبرنا بذلك ولده السيد الفاضل محمد بن أحمد وكان من الفضلاء وله معرفة وتعمّر كثيراً رحمهما الله جميعاً. ولصاحب الترجمة شرح على الحاجبية وهو في التحقيق حاشية السيد محمد بن عز الدين إلا أنه هذَّب وزيَّد ونقص وهيَ أجمع للفوائد ولعله ما فعل ذلك إلا لوصية السيد محمد بن عز الدين فإنه ذُكر ذلك انتهى.

وأفاد السيد العلامة أحمد بن يحيى العجري المتوفى سنة ١٣٤٧ أن قبر صاحب الترجمة في مقبرة ضحيان من القرية وغرب معروف مشهور والدعوة عند قبره مستجابة وأن وفاته في شهر القعدة سنة ١٠١٧ سبع عشرة وألف رحمه الله وإيانا والمؤمنين. ومن ذرية صاحب الترجمة السادة الأماجد بيت العنثري وبيت شرويد وبيت الطويل وستأتي تراجم أعلامهم في مواضعها من هذا المعجم.

(مصنف الحاشية على كافية ابن الحاجب)

هو السيد العالم الضليع المحقق إمام العربية في المئة العاشرة باليمن محمد بن عز الدين بن صلاح بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد الحسني المؤيدي الصعدي.

صنف في النحو الحاشية المشهورة على كافية ابن الحاجب في اليمن واسمها (مصباح الراغب ومفتاح حقائق المآرب شرح كافية ابن الحاجب) وعرفت واشتهرت بحاشية السيد نسبة إليه قال السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة في ترجمته: هو السيد الإمام العالم كان من العلماء المبرزين والشيوخ المحققين وانتفع الناس في قطر اليمن بحاشيته على الكافية أحسن من انتفاعهم بغيرها، وفيها قراءة الناس إلى اليوم على العموم، وتوفي رحمه الله ليلة الخميس السابع من شهر ربيع الآخر سنة ٩٧٣ ثلاث وسبعين وتسعمائة وقبره في مشهد الإمام الهادي بصعدة يماني قبة الإمام الناصر انتهى.

قلت: ويقال له المفتي الكبير تمييزا له عن حفيده المفتي الصغير وهو السيد العلامة الشهير محمد بن عزالدين بن محمد بن عزالدين المتوفى بصنعاء سنة ١٠٥٠هـ وسوف تأتي لهذا الحفيد ولوالده السيد عزالدين ترجمة بحرف العين من هذا الكتاب، قال في مشجر أبي علامة: والمفتي لقبه ولقب ولده ولقب حفيده. والآخذين عن صاحب الترجمة المفتي الكبير جم غفير وقد ذكر منهم القاضي العلامة أحمد بن صلاح الدواري والعلامة أحمد بن يحيى بن سالم الذويد، وله مؤلفات غير الحاشية المذكورة منها ورقات عيون الأفكار شرح مقدمة الأزهار وسيرة كتبها لجده الإمام علي بن المؤيد عليه السلام في نحو ٥٦ صفحة وسوف يكثر الذكر له ولحاشيته في عموم التراجم فلذلك استطردناه في هذا الموضع.

٨ ـ القاضي أحمد بن صالح الهبل

القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن صالح الهبل بفتح الهاء والباء الموحدة اليمني القضاعي الخولاني الأصل الصنعاني الدار الصعدي الإقامة والوفاة.

كان صاحب الترجمة من أعيان وقته المتصدرين للتدريس بصعده، وقد ذكره السيد المطهر بن محمد الجرموزي في مواضع من السيرة المتوكلية وأثنى عليه. وترجمه صاحب بغية الأماني والأمل نقلاً عن الطبقات فقال: كان عالماً فاضلاً محققاً قرأ على القاضي عبد القادر بن سعيد الهبل وعنه ولده محمد بن أحمد الهبل انتهى. وترجم له السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى فقال:

كان من العلماء الأخيار الأبرار وكان قاضياً في حوزة القاضي محمد بن علي بن جعفر الزبيدي ووفاته بصعده

في شهر رجب سنة ١٠٨٧ سبع وثمانين وألف وقبره بالقرضين رحمه الله تعالى.

٩ ـ القاضي أحمد بن صلاح الدواري

القاضي العالم المحدث الفاضل الزكي شيخ الشيعة ونبراس الشريعة شمس الدين أحمد بن صلاح بن حسن بن محمد بن علي بن مهدي بن علي بن حسن بن عطية بن محمد بن المؤيد الدواري المعروف بالقضعة بالضاد الموحدة. مولده كما ذكر الحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري بالهند بموضع يسمى كنبايه وأمه جارية هندية لأن والده كان كثير السفر إلى الهند. قلت: لعل ذلك في سنة ٩٤٧ سبع وأربعين وتسعمائة فهو من أتراب الإمام الحسن بن علي بن داود.

ونشأته بصعدة وتنقل إلى عدة بلدان لطلب العلم، فأخذ عن جماعة من مشاهير سادات العترة وعلماء الشيعة في العلوم الفقيهة والأدبية والأصولية ففي أوائل الطلب أخذ على القاضي العلامة الحسين بن محمد المسوري وهو الذي خرجه وهذبه وأدبه، ولازم من بداية الطلب السيد العلامة المحقق محمد بن عز الدين المفتي صاحب الحاشية المعروفة بحاشية السيد حتى وفاته بصعدة سنة ٩٧٣ ثلاث وسبعين وتسعمائة قرأ عليه كافية ابن الحاجب وحاشيته المذكورة عليها وبعض المفصل وبعض مقدمات البحر والأزهار والتذكرة ومجموعاته مقدمة عنوان العناية في الأدب وشرحه على مقدمة الأزهار وشرع عليه في كتاب الأحكام من البحر الزخار فعاق الحمام عن التمام.

ثم أخذ عن السيد فخر الدين المطهر بن تاج الدين الحمزي كتاب تاج علوم الأدب ثم قرأ التاج بعده على حي القاضي العلامة علي بن نسر الأهنومي وهو قرأه على الإمام شرف الدين ثم قرأ على السيد على بن الإمام شرف الدين سمع عليه في أصول الأحكام شطراً صالحاً وشرع عليه في قراءة شرح المعيار ولم يتم لوفاته فانتقل لإكماله على ولده السيد إبراهيم بن علي بن الإمام شرف الدين ولم يتم له ثم أخذ عن السيد الحافظ أحمد بن عبد الله الوزير قرأ عليه الفصول اللؤلؤية لصارم الدين الوزير وكذلك مصنفه في علوم الحديث وقصيدة البسامة المسمى جواهر الأخبار وفي بعض يواقيت السير للإمام المهدي ثم سمع عليه أصول الأحكام وأجازه له وأجازه أيضاً في كتاب تنقيح الأنظار في علوم الآثار للسيد الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير ثم أخذ عن السيد العلامة المعروف بشيخ البحر الزخار أحمد بن محمد المنتصر في الكتاب المذكور وأجازه له ثم قرأ على الفقيه العلامة إبراهيم بن أحمد الراغب في شرح المعيار ثم قرأ على الإمام الحسن بن علي داود في عدة من الكتب منها في شرح العضد على المنتهى وفي التلخيص وسمع عليه في الكشاف ولم يتمه. وتكررت قراءته في الأزهار والتذكرة وشرح النجري على القلائد وفي شرح الأزهار والبيان على كثير من المشايخ المعتبرين.

ومن مشايخه المجيزين: القاضي العلامة حاكم المسلمين عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران الصعدي والسيد الحافظ أحمد بن عبد الله الوزير وله منهما إجازة عامة عن مشايخهما. **وبالجملة فهو من أعيان الشيعة الأفاضل** ترجمه غير واحد منهم القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

القاضي العلامة بصري زمانه بلخي أوانه حاتم السماح وأحنف الرجاح عمار التشيّع كان من كبار العلماء

الأخيار زاهداً في الدنيا كثير الإحسان صادق المودة لأهل البيت ولقي لذلك تعباً شديداً حتى أنه كسر ظهره بعض الأروام في محبتهم، وكان لا ينظر إلى الظلمة دخل كراراً إلى أمير صعده المحروسة وجرى بعض العتابات بينهم ومع ذلك لم يعرف وجه الأمير أشاب أو لما يشب. ثم قال: وكان يسمَّى المقشقش بقافين وشينين معجمات لأنه كان إذا حضر طعامه بصعده أمر رسوله يحفل بمن في الجامع من الغرباء وكان في العلوم بحراً لا يجارَى سيما في علوم أهل البيت ذكر القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس أنه كان عند الإملاء في علم الكلام يزبد من أشداقه وكان مع الإمام الحسن بن علي بن داود في سماع شرح الرسالة الشمسية على الرجل الشيرازي القادم إلى صعده وكان يقول الشيرازي: إن عاش السيد وقاضيه كان لهما شأن عجيب. قلت: وصدقت فراسة الرجل الشيرازي فإن الإمام الحسن لما دعا سنة ٩٨٦ ست وثمانين وتسعمائة كان صاحب الترجمة قطب رحى دعوته الميمونة وصاحب رسائله والمقدم تدبيره وإشاراته كما هو معلوم في السيرة. قال: وصنف كتاباً في أنواع الحديث مبسوطاً وله كلامات متفرِّقة في علوم متعددة انتهى.

وذكره القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري فقال:

القاضي العلامة شمس الدين شيخ الشيعة الأمجدين أحد أعيان أصحاب الإمام الحسن بن علي بن داود ومشاهيرهم وخطبائهم. وفي المستطاب للسيد عماد الدين يحيى بن الحسين بن القاسم ما لفظه:

القاضي العلامة الفاضل الفهامة عاصر الإمام الحسن بن علي وحضر بيعته وقال بإمامته وامتد عمره إلى زمن جدنا المنصور بالله القاسم بن محمد وولاه وناصره وسعى في اعانته سراً وجهراً وكان مقيماً في صعده المحروسة والسلطان للأتراك ولكن على تواطىء بينه وبين الإمام فكان يقبض الواجبات من أهل الأموال خفية ويوجه بها إلى الإمام وربما اطلع أمير صعده على كتاب من الإمام إلى القاضي فحبسه وصادر بعض ماله فلا يخرج إلا بضمانة عدة من رؤساء صعده على أن لا يكاتب الإمام ولا يواصله وبقي على تلك الحال يقبض الواجبات من أهلها ويرسل بها إلى الإمام. وكان على يديه تنحي الإمام المتوكل على الله عبدالله بن علي المؤيدي والندم على منازعته والله أعلم. ثم قال: وكان القاضي المذكور عالماً فصيحاً وكان قد أشار إليه الإمام القاسم بشرح الأساس على ما يقتضيه الأصل ولكن عاقه الحمام انتهى كلامه.

قلت: وقد وقفت على كتابه الذي صنفه في علوم الحديث سماه (تعريف أولي الألباب بالثقة والمجروح من الأصحاب). وله أيضاً صيغة الإجازة التي أجازها للإمام القاسم بن محمد كان فراغه من تحريرها ثالث عشر ربيع الأول سنة ١٠١٠ عشرة وألف، ومما جاء في ديباجتها قوله:

فإنه طلب مني مولانا حفظه الله وأيده ومكن بسطته وأهلك معانده وأصلح بحميد سعيه وجده واجتهاده أمور الإسلام والمسلمين ما لم يكن مثلي أهل له في حقه لقصور همتي وتقصيري وركة عزمي عن التنقل والارتحال للقراءة والسماع على أهل العلم والكمال ولجلالة قدره وعلو همته وتوفر رغبته وجده واجتهاده في التنقل للقراءة والسماع على مشاهير الرجال مع ما خصه الله من شدة الذكاء والفطنة وإلهام العلم والحكمة فلذلك اقتعد تخت الكمال

والاجتهاد وارتقى إلى مرتبة الخلافة والزعامة وزاد. إلى أن أنشد:

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وهو إجازتي له في جميع ما قد ثبت لي فيه طريق من سماع أو إجازة من كتب إئمتنا وشيعتهم خصوصاً ومن كتب غيرهم عموماً لزمني وتحتم علي امتثال أمره ومطابقة قصده إلى آخر كلامه في الإجازة المذكورة حيث وقد نقلنا عنها مقروءاته ومسموعاته ومستجازاته في صدر الترجمة. وكانت وفاته رحمه الله ليلة الثلاثاء ثالث وعشرين شوال سنة ١٠١٨ ثماني عشرة وألف وقبره بصعدة في المشاهد اليحيوية بجامع الإمام الهادي.

(بيت الدواري)

القضاة حكام مدينة صعدة المعروفين ببني الدواري بالدال المشددة المفتوحة ثم الواو والألف فالراء المهملة من بيوت العلم بصعده يرجع نسبهم إلى بني عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن معن بن مالك ملاعب الأسنة بن ربيعة بن كعب بن الحارث الأكبر بن كعب بن علة بن جلد بن مذحج. ومنهم في الأزمنة المتقدمة العلماء الأكابر والفقهاء النحارير وكانوا حكام المدينة لعدة قرون، وقد انقرضت هذه التسمية في أيامنا لكن لا زال لهذا البيت بقية يلقبون بآل حابس وآل القاضي وآل بشير.

وقد ذكر في شرح بسيط على قصيدة السيد العلامة الكبير الهادي بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٢٢ المسماه (رياض الأبصار في ذكر الأئمة الأقمار والعلماء من السادة والشيعة الأخيار) أن جد آل الدواري هو أبو العمير بن طاهر المداني وذلك على قوله في القصيدة المذكورة:

وبالمشتري صوت الآذان بماله فيا نعم مشريا جزيل التمول

وقد ترجم لأبي العمير هذا في مطلع البدور وفي كتاب المستطاب نقلا عن تاريخ الشيخ مسلم بن محمد اللحجي، ولم أنقل ذلك مراعاة للاختصار.

وأول من ذكر بصعدة من بيت الدواري في كتب التواريخ القاضي الجليل محمد بن المؤيد الدواري وكان المذكور من أعيان القرن السابع الهجري وممن تولى للإمام الشهيد المهدي لدين الله أحمد بن الحسين صاحب ذيبين ولم يفصح مَنْ ذكره ما نوع الولاية المسندة إليه إلا أنه ذكر أن القاضي العلامة عبد الله بن زيد العنسي صاحب الارشاد والمحجة البيضاء لما تولى أمر صعده عن أمر الإمام المهدي في سنة ٦٥٤ أربع وخمسين وستمائة قالوا: كتب إلى قاضيه الجليل محمد بن المؤيد الدواري برسالة جيدة انتهى.

فلعله أول المستوطنين مدينة صعده من أهل هذا البيت والله أعلم.

وقد أحيا هذا البيت في القرن الثامن الهجري ورفع من عموده بالعلم والعمل وتولي قاضي قضاة الإسلام في أيامه شيخ الإسلام سلطان العلماء الأعلام القاضي فخر الدين عبد الله بن الحسن بن عطية بن محمد بن المؤيد الدواري اليمني الصعدي الزيدي المولود سنة ٧١٥ والمتوفى سنة ٨٠٠ ثمانمائة صاحب التصانيف الفائقة في الفقه والأصولين التي منها (الديباج النضير شرح لمع الأمير) و(شرح الزيادات) و(تعليق الجوهرة) في أصول الفقه وغير

ذلك الكثير، فقد كان هذا القاضي رئيس علماء أهل وقته على الإطلاق، وعليه أخذ جملة وافرة من الأعيان منهم السيد الإمام جمال الدين الهادي بن إبراهيم الوزير وصنوه الحافظ محمد بن إبراهيم وغيرهما. وفي وصفه يقول السيد جمال الدين في آخر نظمه الذي نظم به الخلاصة في أصول الدين فقال:

وهذه خلاصات المسائل لم تكن ... عليَّ عزيز نظمها لك في شعري
هرقت لها كأس الكرى بقراءة ... وبحث وتحقيق على العالم الصدر
هو القدوة العلامة الحبر إنّه ... ليبهر فضلاً كلّ علامة حبر
وقاضي قضاة المسلمين وسيّد ال ... أكابر والشمس المضيئة في عصر
مؤيَّدة أقواله بأدلةٍ ... تقوم مقام النصر للعسكر المجر
هدانا إلى سبل الرشاد ولم يزل ... يبيح لنا وفراً يزيد على الوفر
جزاه إله العرش من فيض علمه ... وتعليمه المشكور من أفضل الأجر

وقد تكاثر العلماء في القرن التاسع الهجري من أهل هذا البيت، إذ ذكر منهم بالعلم وتولي القضاء بمدينة صعدة عصبة وافرة، من أجلهم أولاد القاضي سلطان العلماء: كالقاضي أحمد بن عبدالله الدواري صاحب التلفيق بين اللمع والتعليق المتوفى محرما بمكة سنة ٨٠٧ وصنوه القاضي العلامة حاكم المسلمين يحي بن عبد الله بن الحسن الدواري كان موجودا سنة ٨١٦ وصنوه القاضي العلامة الحسين بن عبد الله الدواري المتوفى سنة ٨٣٩ والقاضي العلامة حاكم المسلمين علي بن محمد بن علي الدواري كان موجودا سنة ٨٤٨ والقاضي العلامة حاكم المسلمين محمد بن أحمد بن عبد الله الدواري كان موجودا سنة ٨٨٣ والقاضي العلامة حاكم المسلمين أحمد بن حابس الدواري كان موجودا سنة ٨٠٢ وغيرهم، وإنما اشتهر منهم بالتحقيق القاضي العلامة البارع المحقق جمال الدين علي بن موسى الدواري الصعدي المتوفى شهر صفر سنة ٨٨١ فقد وصفه مترجموه بأنه كان خاتمة المحققين وشيخ أهل زمانه تتلمذ على يديه المشاهير منهم الإمام عز الدين بن الحسن والشيخ عبد الله بن محمد النجري والسيد الإمام صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير وللأخير إليه هذه القصيدة السينية التي أولها:

أما العلوم فقد أقوت مدارسها ... وقلّ في الناس واعيها ودارسها
وأعرض الصيد عنها وارتضوا بدلاً ... عنها الملاهي وألهتهم مجالسها
حتى عفت بعد عمران معالمها ... وهدمت بعد بنيان نفائسها
فالبوم فيها ووحش الطير ساكنه ... من بعد ما سكنت فيها أوانسها

ومنها في مدحه:

إلى ابن موسى الذي طابت أرومته ... بحر العلوم وداعيها ودارسها

من للضلالة نافيها ودافعها وللجهالة ماحيها وطامسها
شيخ العلوم ومحييها بصعدته ومن به ينجلي عنها حنادسها

وهي طويلة رحمهم الله وإيانا والمؤمنين.

١٠ ـ السيد أحمد بن صلاح سند

السيد العلامة أحمد بن صلاح سند الحسني الهادوي. من السادة العلماء المشايخ بصعده قرأ عليه الفقيه العلامة محمد بن قاسم الخباط في بعض المقروءات ولعل وفاته أواخر القرن الحادي عشر رحمه الله تعالى.

١١ ـ الفقيه أحمد بن صلاح مرغم

الفقيه العلامة الورع أحمد بن صلاح مرغم اليمني الصعدي، من فقهاء المدينة الصعدية ترجمه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

كان هذا القاضي آية من آيات الله في ورعه ودينه عالماً بالفقه محققاً قرأ في التذكرة أربعين سنة وكان من القائمين بالقسط الصابرين على ما أصابهم في جنب الله لا تأخذه في الله لومَة لائم وكان من الزهد بمكان لا يلحق وكان يأتزر رحمه الله ويلتف بكساء ويعتم في العام القابل بفضل كسائه الذي كان يلتف به في العام الأول، وكان يتورع من أخذ الزكاة لأن نسبه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقد قال صلوات الله عليه وآله وسلم: سلمان منّا. وبنو مرغم بصنعاء نسبهم غير هذا النسب انتهى. وفي المستطاب أثناء ترجمته له:

من العلماء الفضلاء الزاهدين الأبرار وكان سكونه بصعده وكان حاكماً فيها وكان ينفق على نفسه وأولاده من كد يده بالخياطة، ووصل إليه من بعض ولاة الإمام عشرة أقدح حنطة فردها ولم يقبض منها شيئاً مع حاجته، وهذا هو الفضل الكبير انتهى. ونقل ترجمته صاحب بغية الأماني والأمل وذكر أن وفاته بصعده شهر القعدة سنة ١٠١٨ ثماني عشرة وألف وقبره بمشهدهم وسط القرضين رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

١٢ ـ السيد أحمد بن عبد الرحمن المؤيدي

السيد العارف شمس الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المؤيدي اليحيوي الصعدي اليمني. ترجم لصاحب الترجمة في مطلع البدور فقال:

كان من عيون الدوحة المصطفوية وعيون الأسرة المرتضوية كان مطلعاً على الأخبار والأذكار مهيمناً على أخبار أهله حفظة لآثارهم، وله معرفة بالعربية والفقه وعاجله الموت ولم يقض وطره من الفقه. وله شعر حسن في أنواع مختلفة ولم يحضرني منه إلا بيتان لاطف بهما بعض أترابه من السادة لما كثر عليه ذلك السيد كتابه اسمه في بعض كتبه العلمية فقال:

يا كتاباً لست أدري كم به كم رسوم ضاق عنها الورق
إن تكن تقبل منه فدية فقليل منه يعطى الورق

ولم يؤرخ لوفاته رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

١٣ ـ الفقيه أحمد بن عبد القادر الطحم

الفقيه الأديب الصفي أحمد بن عبد القادر ويدعى باسم أحمد بن عبده الطحم الحافي الصعدي. كان صاحب الترجمة فقيهاً نبيلاً أديباً فاضلاً، ذكره القاضي شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال استطراداً في ترجمة القاضي العلامة أحمد بن يحيى الذويد المتوفى ١٠٢٠ الآتية ترجمته قريباً وقال: إنه جمع بعد وفاته في السنة المذكورة ما تبقى من خزانة كتبه التي كلف بتحصيلها وكانت من غرائب الكتب فاجتمع لصاحب الترجمة أربعمائة وخمسون مجلداً انتهى.

ورأيت لصاحب الترجمة الفقيه أحمد بن عبد القادر الطحم إجازة من الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم تدل على العلم والفضل وهي محررة له بالاشتراك مع السيد الإمام إبراهيم بن محمد المؤيدي والفقيه عبد القادر بن سعيد الهبل كتبها إليهم إلى صعده سلخ شعبان عام ست وأربعين وألف جواباً على مكاتبة وصلت منهم إلى مقام الإمام في ذلك. فقال في أثناء تلك الإجازة بعد الديباجة والبسملة:

فإن السيد العلامة الفهامه إبراهيم بن محمد بن عز الدين والفقيه الأجل وجيه الشيعة الكرام عبد القادر بن سعيد الهبل والفقيه الفاضل المشايع الطاهر أحمد بن عبد القادر الطحم الصعدي عرف بالحافي تولى الله إسعادهم ومنحهم في كل خير إرشادهم وأصلح أحوالهم وبلغهم في مرضاته آمالهم وحق لمثلهم ممن رزقه الله فهماً وعلماً وقد سمعوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم. وقوله: رحم الله امرءاً سمع مقالتي فحفظها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه؛ ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة المسلمين ولزوم جماعة المسلمين. وقوله: يسمعون ويُسمع ممن يَسمَع. فتعلموا ولو جدّ بنا واحداً من الخير أن يسأل وأن يأتيه ما أمكنه بأعلى الطرق وأرفع الأسانيد. طلبوا مني أن أجيز لهم كتاب الشفاء للأمير الحسين فاستخرت الله سبحانه وأجزت لهم روايته بتتميته وأذنت لهم في تحميله أهله وتبليغه محله بمالي فيه من طرق السماع والإجازة التي أحدها إجازة والدي أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بماله من سماعه على بقية العترة المطهرة أمير الدين بن عبدالله بن نهشل. وأضفت إلى ذلك إجازة ما يفتقر إلى السماع من علوم آل محمد وأوضاع أشياعهم وما في تضاعيف ذلك من السنن والأخبار وبما انتهى إلينا من طرق سائر أئمة الهدى وكذلك كتب العامة بطرقها الموصلة إلى مصنفيها من أئمة أهل المذاهب وغيرهم وما يصح به الاحتجاج من السنن والآثار وكذلك ما في الأجوبة والرسائل. ولا اشترط عليهم إلا ما شرطه أولو العلم على مثلهم، وإلا ما يتضمن خلاف ما أجمعت عليه قواعد هذه الشريعة والعترة الطاهرة أو يتضمن جبراً أو تشبيهاً فأنا أبرأ إلى الله من ذلك إلى آخر كلامه في الإجازة المذكورة.

ولم أضبط سنة وفاته وهي في القرن الحادي عشر رحمه الله.

و(**بنو الطحم**) من بيوت صعده ولا زال لهم بقية إلى عصرنا الحاضر في صعده وبلاد خولان وقد نسبهم في

المشجر المنقول عن كتب القضاة آل أبي النجم هم وبنى البرش بالموحدة التحتية ثم المهملة والشين المعجمة إلى الفرس من الأبناء والله أعلم.

١٤ ـ الفقيه أحمد بن علي دباش

الفقيه العلامة أحمد بن علي دباش الصعدي المعروف بعارضة.

استطرد ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال صاحب مطلع البدور في ترجمة القاضي العلامة أحمد بن يحيى بن سالم الذويد الآتية ترجمته قريباً فقال:

الفقيه العلامة سيبويه زمانه كان منقطعاً إلى القاضي أحمد بن يحيى الذويد يكتب له الكتب ويحشيها وكان من آيات الله في علم العربية لا يلحق، ولقد رأيت له تحشية على الموشح وافية من كتب لا يعرفها أهل اليمن، ومن الدائر على الألسنة أنه حفظ الكشاف غيباً ولكنه غير ستير الحال ولا سالك مسالك العلم ألقى نفسه ببير الدرب بصعده انتهى. ولعل وفاته كانت قبل وفاة شيخه القاضي أحمد بن يحيى الذويد في سنة ١٠٢٠ عشرين وألف أو بعدها بقليل. وآل دباش بفتح الدال المهملة وتثقيل الباء الموحدة من أسفل من بيوت صعده ولا زال لهم بقية إلى أيامنا هذه.

١٥ ـ السيد أحمد بن علي الداعي

السيد العلامة شمس الدين أحمد بن علي الداعي والسادة آل الداعي ينسبون إلى الإمام الداعي يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى.

وصاحب الترجمة كان سيداً عالماً هماماً لوذعياً من معاصري السيد شرف الدين الحسن بن أحمد الجلال الآتية ترجمته، وله معه مكاتبات تدل على ما وصفناه به من النعوت، من ذلك مكاتبة جرت من السيد شرف الدين جواباً على كتاب وصل إليه من صاحب الترجمة ولفظه:

حضرة العلم والعمل، ومقر الفضائل والمكارم عن كمل، لمن تبوء من بحبوحة الشرف مقاماً عالياً، وتردى من ملابس المفاخر ثوباً غالياً، الصنو السيد المقام العلم العلامة الهمام شمس الملة والإسلام أحمد بن علي الداعي أعلى الله قدره، وشرح بالاعانة والتوفيق صدره، وأهدى إليه سلاماً يشاكل أخلاقه التي تزري بالرياض الممطورة، وشيبته التي هي على حسن الوفاء مجبولة منظورة، مقروناً بسعد يتجدد، ونعيم يتأبد ولا ينفذ وبعد: فإنه وصل كتاب صنوي وصل الله سبحانه مجده وأقطعه غور الإكرام ونجده، منبئاً بلسان فصيح عن أكيد ود صحيح، وتحقيق شافي وتبيين بما كان في النفس وافي. لأنه فصّل لنا ما كان مجملاً، وذكر ما كان في فترة مهملاً. فلقد تفضل حماه الله بتلك الأخبار التي شرحها، والأعلام التي بينها ووضحها، والله يهنيه ما يلقى من الفخر الذي يغدو إليه ويروح، والذكر الطيب الذي تضوع بنشره الأمصار وتفوح، ولقد حمدنا الله على عافيته وسلامته، وصلاح حاله وانتظام أموره في إقامته وارتحاله. وهو المسؤل أن يزيده سمواً وفخرا، ويمكنه من نكاية الأعداء ما يكون له إلى يوم القيامة ذخرا، ويصلح به حالتي الدنيا والأخرى، وله الفضل بأن لا تنقطع عنا كتبه الشافية وتحقيقاته التي لما سنح من

دقائق الأخبار وافية، فإن الأخبار من عند سيدي حماه الله تعالى قد لا تحصى، وتفضلات الله على الإسلام لا تستقصى والله سبحانه وتعالى يصلح لنا ولكم الأعمال، ويبلغنا وإياكم منتهى الآمال، ويحسن العاقبة والمآل بمنه وطوله وبفضله وحوله، بعد شريف السلام الأرج النفحات البهج الصفحات عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٦ ـ الشيخ أحمد بن علي كباس السحاري

الشيخ الأجل المجاهد شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد كُبَاس العلافي نسبة إلى وادي علاف السحاري اليمني. كان المذكور أحد أعيان أهل وقته المشايخ، وله أخبار مذكورة في جهاده مع الإمام القاسم بن محمد ضد الأتراك ووقائع هائلة، قد ذكرها مصنفي سيرته عليه السلام.

ولما كانت وقعة الشقات غربي جبل تلمص الكائنة في سنة ١٠٢٣ والتي سقط فيها شهيدا علي بن الإمام القاسم بن محمد كان صاحب الترجمة الساعي في حمل جسده الشريف بعد أن قطع الأتراك رأسه وكفّنه ودفنه عنده في قريته بشُرْح علاف جنب مسجد القرية وابنتى عليه مشهدا فهو هناك مشهور مزور، وأوقف على هذا المشهد ما يقوم بإحيائه من خالص ماله. ورأيت في درج الأوقاف لهذا الشيخ وصية تشهد له بالمعرفة والديانة جعل وصيه فيها السيد المقام صفي الدين أحمد بن الإمام القاسم بتاريخ شهر صفر سنة ١٠٣٧ فيكون تاريخ وفاته بعد تلك السنة، وأخباره تجدها في سيرة الإمام القاسم بن محمد وولده.

ثم إني وقفت في إحدى شهور سنة ١٤٣٣ على قبر صاحب الترجمة رحمه الله تعالى وهو بجنب قبر الأمير علي بن الإمام القاسم بن محمد وفي مشهده الذي ابتناه عليه بشُرْح علاف، ذكر في حجرة على شاهد القبر أن وفاته في جمادى سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين بعد الألف رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

(وادي علاف)

وعلاف بلدة وواد بالجنوب الغربي من مدينة صعدة بينه وبين صعده مسافة ١٨ كيلومتر تقريباً، يتبع ناحية سحار وأهله من الكلبيين أحد بطون قبيلة سحار وهما مالك وكليب. وفي صفة الجزيرة للحسن بن أحمد الهمداني المتوفى نحو سنة ٣٣٥ ما لفظه: وعلاف خير أودية خولان أكرمها كرماً وأكثرها خيراً وزرعاً وأعناباً وماشية وهو لبني كليب والصعديين انتهى.

ومن قرى وجبال وادي علاف: ألت مجزب والبقعة وشُرْح وجعدب والركوب وألت الصعيب ووادي الملحة والحضاير وغيرها. وفي الركوب بالراء المشددة المفتوحة وضم الكاف كانت هجرة لليوسفيين من بني الهادي ينسبون إلى السيد الأمير أحمد بن إبراهيم بن يحيى بن قاسم بن حسن بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الإمام يوسف الداعي. ومن أمرائهم وعلمائهم في القرن التاسع والذي يليه الأمير محمد بن يحيى بن قاسم بن الأمير أحمد المذكور وولده السيد العالم الأمير الباقر بن محمد وهو تلميذ السيد صارم الدين الوزير مؤلف الفصول وهداية الأفكار وابن خاله واهتدى بهديه.

١٧ ـ المولى أحمد بن الإمام القاسم

المولى السامي النبراس الأمير الشهير أحمد بن الإمام القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين الأملحي بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأصغر الملقب بالأشل بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني اليمني.

مولده في العشر الأواخر من شهر صفر سنة ١٠٠٧ سبع وألف بالشاهل من بلاد الشرف بعد دعوة والده الإمام بعام واحد، وهو شقيق أخيه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وأمهما الشريفة مريم بنت السيد ناصر بن عبدالله الغرباني. ترجمه السيد صارم الدين إبراهيم بن القاسم الشهاري في الطبقات وترجمه صاحب الدامغة الكبرى وصاحب بغية المريد وصاحب بغية الأماني والأمل والمؤرخ زبارة في خلاصة المتون وغيرهم وترجمه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

السيد السامي النبراس المهيب شمس الدين. كان رئيساً جليلاً سامياً مهيباً من أعضاد الدين وأعمدة المسلمين، من أهل الحميّة على الإسلام، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وتولى الأعمال الكبيرة في صعده لوالده ولأخيه المؤيد، وكمل وسارت بذكره الركبان، وقد كان تولّى الشرف ثم تولّى صعده المحروسة، وكانت أيام الشدة وهو أميرها وسلطانها، فأجفل إليه القريب والبعيد، وآوى إليه أرباب البيوت، فأنزل الجميع منازلهم وأطعم الطعام، وكان وجوده من رحمة الله بخلقه في تلك الشدة، وكان يأمر باصطناع الطعام الواسع ثم يأمر بتفريقه بالليل على أيدي أهل الفضل، وممن أحب أن يتولى ذلك القاضي الرئيس الحسن بن علي الأكوع والفقيه الفاضل صالح العفاري، واستمرّ على ذلك الإحسان حتى عطف الله بعواطفه، ومع ذلك فهو يجيز الشعراء بالمنح والرغائب إلى صنعاء وغيرها، ومدحه الكثير من الفضلاء وادّخر عدة للحرب كاملة انتهى كلام القاضي.

وكان في صغر سنه ساكناً عند أخواله في الشرف ثم انتقل إلى شهارة وأقام مع صنوه المؤيد بالله أيام الحصار عليها من قبل الأتراك ثم في كوكبان تحت الإقامة الجبرية، ولما انعقد الصلح بين الإمام وبين الوزير جعفر باشا وتم خروج جماعة المأسورين بما فيهم المترجم شهر رجب سنة ١٠١٧ كان حينها لا يزال في العاشرة من عمره، فانتقل إلى شهارة وهناك شب عوده ولازم أخيه المؤيد بالله وأخذ عنه مؤلفات والده وفي أحكام الإمام الهادي للحق وبعض تفاسير جده الإمام القاسم بن إبراهيم ووضع له ثلاث إجازات كتبها بخطه لكل ما له فيه طريق. ومن مشايخه القاضي على بن الحسين المسوري وصنوه العلامة سعدالدين بن الحسين المسوري قرنه بهم والده أيام ولايته على صعده.

وكانت ولايته على صعده أيام والده في سنة ١٠٢٧ وكانت أيام الشدة التي تحدث عنها القاضي ابن أبي الرجال في ذات السنة وامتدت إلى أواخر أيام الإمام القاسم وكان محفوفاً أيام ولايته تلك بعلماء أكابر كالسيد داود بن الهادي والسيد علي بن إبراهيم الحيداني ومن أهل الرأي والحرب الحاج الكامل أحمد بن عواض الأسدي

وأحمد بن علي بن دغيش الصريمي وكان إليهما النهاية في الحزم والكمال واستمر على ولايته إلى وفاة والده وأخذ البيعة من علماء صعده لأخيه المؤيد بالله في سنة ١٠٢٩.

وفي ربيع الأول من سنة ١٠٣٢ رأى الإمام المؤيد بالله تجهيز صنوه سيف الإسلام الحسن بن الإمام القاسم إلى بلاد الشام صعده لحصول اضطراب من بعض قبائل خولان وامتناعهم من تسليم الحقوق فلما وصل الحسن أقام الأود والاعوجاج من تلك القبائل واستوفى الحقوق وأمن السبل وفي خلال ذلك وصله من صنوه الإمام المؤيد بالله عهد بتولي الجهات الصعدية فكتمه أياماً حياء من أخيه أحمد ثم إنه ظهر ذكره وعرف به أخوه أحمد بن القاسم فامتثل واكتفى بأخيه وكانا كما ينبغي من مثلهما وكما يليق بشريف منصبهما من التعاون ورعاية الحقوق ورجع بعد مدة إلى شهارة فمكث هناك في الحضرة المؤيدية.

قال صاحب بغية المريد في أثناء ترجمته له:

كان سيداً جليلاً فاضلاً مجاهداً طاهر النشأة مذاكراً في العلم غير خالياً منه كان تولى صعده وأعمالها بعد قتل صنوه علي بن الإمام القاسم، ولما وصل إلى صعده أصلح أعمالها وساس البلاد وحصل من الأعمال من آل عمار في ولايته تخبط في قضية كانت منهم مع القاضي سعد الدين بن الحسين المسوري وهو أنه وصل إلى صعده لأغراض للإمام القاسم، فلما وصل إلى آل عمار عدا عليه جماعة منهم فسلبوه وأخذوا ما معه، ولما استوعبوا ما في أيديهم قال لهم القاضي وهم لا يعرفونه: بقي لكم الخاتم وكان في يده يريد منهم الرضا خشية القتل، ولم يبقوا عليه شيء حتى بعض ما يستر العورة وأصحابه كذلك، ولما وصل قريباً من صعده الزم القاضي أصحابه أن يصيحوا قائلين: نصر الله آل عمار وعلى أحمد بن القاسم كذا ولم ينكر عليهم أحد، فعرف القاضي بعض أهل صعده فطرحوا عليه وعلى أصحابه ما أمكن من الثياب وهم على ذلك حتى وصل إلى باب القصر الدار التي ينزل بها صاحب الترجمة، فنهوه الخدم وبلغه أنه القاضي سعد الدين، فواجهه وقال: مثل هذا يجري يا قاضي مالي في هذه يد ولا إرادة وإن ذلك يسؤني. فقال القاضي: مثلك وأمثال أصحابك يقرب الظالمين عندك وجهالهم يأخذون الناس في الطرقات ويقتلونهم وأنت تستطاب لك الألوان، هذه من المنكرات. وكان جل المشايخ عنده فلا زال القاضي يتحمس وأحمد بن القاسم يسكن غضبه، ثم كساه وكسا أصحابه واستعلمه عن قضيته فأخبره بما فعله آل عمار، فأسر أحمد بن القاسم ما في نفسه، وكان قد صدر منهم غير ذلك وإن للمشايخ في ذلك رأي ويدافعوا عن أصحابهم برد شي ويأكلون ما أرادوا، فطلب المشايخ وكانوا جماعة أظنهم ستة أنفار وقيل اثني عشر وظنوا أنه سيطلبهم من أجل ذلك ويصالحوا برد البعض على العادة، فلما دخلوا أفرد كل واحد منهم وضرب أعناقهم جميعاً حتى اجتمعت وطرحت جثثهم إلى الميدان في صعده. فلما عرفت القبائل ذلك عظم عليهم هذا الفتك وهابته القبائل، وصلحت البلاد وأمنت الطرقات، ولما بلغ الإمام القاسم صوب ذلك وقال أن كانوا فاعلين وراضيين أو متمالين فهم شركاء مستحقين للقتل. هذه رواية صاحب بغية المريد في تصويب الإمام لفعل المترجم له، وقد روي في بعض المصادر خلافه، فبقي أياماً ومات الإمام القاسم عليه السلام وهو في صعده ثم أخذ البيعة لشقيقه الإمام

المؤيد بالله من قضاتها انتهى.

ولما انتقض الصلح بين الإمام المؤيد بالله والأتراك وهو الصلح الذي أبرم في آخر مدة الإمام القاسم وذلك بسبب قتل الأتراك للفقيه حسن العلماني في سنة ١٠٣٦ بصنعاء بدأ الإمام المؤيد بالله بدق طبول الحرب واستعداده لها وتقرير أمورها بأن فتح عليهم الحرب في جهات عدة لتشتيت شمل قواهم، فجعل إخوته الثلاثة قلباً وجناحين، فجعل هذا الشمسي في أوساط الجهة في السمت ما بين صعده وصنعاء، وجعل صنوه الحسن في الجانب الشرقي، وصنوهما الحسين في الجانب الغربي. فكان من صاحب الترجمة التقدم بجيشه وفتح جبهة للقتال من بلاد خمر وتقدم زاحفاً إلى جبل عيال يزيد فضرب الحصار حول عمران وضايق متولي الأتراك (عمر كيخيا) الذي قطع المدد عليه من صنعاء، وفي خلال الحصار توالت القبائل وأقبلت للدخول في الطاعة الإمامية، فتوالت الانتصارات حتى أدرك الوالي التركي عجزه وأنه صار بمفرده فطلب الأمان له ولأصحابه وما يحتاجه لخاصة نفسه، فأجابه صاحب الترجمة إلى ذلك، وبقي بعمران حتى انتهى إلى أخويه في الحطاط على صنعاء فتقدم صوبهما فكان إلى جانبيهما، وأوقعوا بالأتراك الوقائع وأنزلوا بهم الروائع حتى استقامت القناة العلوية. وفي ذلك يقول المولى عبد الله بن علي الوزير في ذيل البسامة:

صف المؤيد من صنويه أجنحة والباز لولا اصطفاف الريش لم يطر

فاستنزلا كل عال عن شواهقه واستأسرا من سرايا الملك كل سري

وبعد إجلاء الأتراك العثمانين في سنة ١٠٤٦ وخروجهم من زبيد واليمن نهائياً رجع صاحب الترجمة إلى مقام أخيه الإمام المؤيد بالله بشهارة، ثم سكن صنعاء وقرن إليه صنوه المؤيد بالله مشايخ العلم، فقرأ على القاضي العالم خطيب الجامع الكبير إبراهيم بن يحيى السحولي والقاضي أحمد بن سعيد الهبل.

وكان لا يزال متنقلاً ما بين صنعاء وشهارة، واتفق أثناء إقامته بشهارة شهر رجب عام ١٠٥٤ أربع وخمسين وفاة شقيقه الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم فكان منه أن دعا إلى نفسه دعوة اختلفت ساحَاتها بالإجابة، وخطب له على المنابر جميعها إلا ما كان بالمدن الوسطى من اليمن وضوران فقد تعقب فيها دعوة أخيه المتوكل على الله، فكانت أمور عادت إلى التوافق والتنحي من قبل المترجم، ووصل إلى مقام أخيه الإمام المتوكل على الله الذي أنس بوصوله وأكرمه وأعظمه، ثم بايع وتابع وخيره الإمام بأي الجهات يحب البقاء فأختار البلاد الصعدية لما كان سبق له من توليها. فبقي بها حتى فارق الحياة وكان وصوله إلى صعده شهر محرم غرة سنة ١٠٥٥ خمس وخمسين وألف. وكان صاحب الترجمة في أيامه وفي سجاياه كريماً مضيافاً لا يرد سائلاً ولو يعطيه من ثيابه حتى سمي أبو طالب لذلك المعنى، وللعلماء الأجلاء والأدباء فيه مدائح كثيرة فإنه كان ممدوحاً على ألسنة أهل زمانه يجيزهم بالمنح والرغائب وأحيى مدارس العلم حتى قال بعض أدباء صعده وقد فرغ من نساخة أحد الكتب العلمية يمدحه بقوله:

ورقمته بعناية العلم الذي أحي مدارس صعده الغراء

شمس الهداية والولاية من غدت تثني عليه أكابر الكملاء
بدر المفاخر أحمد بن القاسم بن محمد ذي السيرة الحسناء
أبدى الهدى في صعده ورمى العدى حقاً بكل كريهة سوداء
الفضل يحيى خالداً في كفه فلكم له من منة عظماء
لا غرو إن فخر الأنام وسادهم فنجابة الأبناء كالآباء

وممن مدحه السيد العلامة الأديب صلاح بن عبد الخالق جحاف فقال:

ما أصبح الجود يدعى أشرف الرتب إلا وفي نيله الأقصى من التعب
ولو حوى كل مجدٍ غيره ملك من السياسة والإقدام والأدب
لعد عطلاً من المجد الرفيع وإن حوَى يسيراً فليس الرأس كالذنب
هي المواهب للجزل النفيس على حرص الملوك على الأموال والنشب
وما رأيت مدى عمري ولستُ أرى أهدى لمجدٍ على لطف من السبب
ولا أقل اعتلالاً حين يسأله وقد توارى الملوك الصَّيد بالحجب
ولا أهش لبذل العرف حين غدا من يسأل العرف يخشى ذروة النوب
ولا أشد ادكاراً للصَّديق وقد جرَى التناسي من ابن مشفق لأب
من أحمد بن أمير المؤمنين ومن سارت مناقبه في العجم والعرب
الأشرف النسب بن الأشرف النسب بن الأشرف النسب بن الأشرف النسب
مؤيّد الرأي ماضي العزم إن وقفت سياسة الغِر بين العجز واللعب
قد جرّبته خطوب الدهر فانفرجت عن فارج لم يخف خطباً ولم يهب
وهزَّ منصله المنصور والده فما مقالك في الصمصام ذي الشطب
ثم المؤيد مولانا المؤيد مُذ دعاه كشّف عنه ظلمة الكرب

ومدحه القاضي العلامة العابد علي بن الحسين المسوري فقال:

أنت لهذا الأنام سيده وأنت في ذا الزمان أوحدُه
وأنت شمس الهدى المضيَّة إن ليل ظلال أظل أسوده
وأنت سيف الإله سلك في رؤوس أهل العناد يغمده
ليث على المعتدين مرتعه لحومهم والدماء مورده

سهم إله السماء رائشه إلى نحور العُدَى يسدده
إن طال من فاسقٍ تمرُّده فأنت تعنته ثم تنجده
جودك في العالمين ينعش من كانت خطوب الزمان تقعده
فطالب العرف أنت ترفده وخائف الجور أنت تنجده
أنت الذي فعله علا وزكا كمثل ما طاب قبل محتده
صفات علياك لستُ أحصرها والرمل والقطر من يُعدده
ألبسك الله ثوب مفتخرٍ ما الدهر يبليه بل يجدده
كفاك فخراً بأن نماك إلى الـ ـعلياء من ذا الأنام أسعده
إمامنا من سمت مكارمه أجلَّ هذا الورى وأرشده
خير بني أحمد النبي ومن لدينه لم يزل يشيده
القائم القاسم معدومة لباب أوصافه وسؤدده
واسمح الناس بالعطاء إذا عضّ زمان بما حوت يده
يبذل ما ليس ينتهي أمل إليه ممن أتاه يقصده
أيده الله من بنيه لمن طاب علاه وطاب مولده
فمن إذا قيل من لحاجتنا قلنا وحيد الزمان أوحده
بلغه الله ما يؤمِله وشاد بنيانه وخلده

ومما قاله السيد العلامة البليغ محمد بن عبد الله الحوثي يمدح الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام وولده أبا طالب أحمد بن الإمام القاسم لما ولاه الإمام صعده وأرسل بها من صنعاء سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف ومستهلها:

تاهت على الأقطار صعده وتنبهت من بعد رقده
وافى لها ما ترتجي وهو الرخاء من بعد شده
وتداولت أيامها وهي العواري المسترده
وتغيبت عنها النحوس وأطلع الإقبال سعده
وتبدلت بعد الهوان ثياب عز مستجده
فاقت بأحمدها حمي ـد السعي حقا كل بلده

نجل الخليفة قاسم من للورى في الآل عمده
ذخرا طواه لنا الإله على أعادينا وعده
بالنصر والإقبال رب العرش فينا قد أمده
عطف الإله به على الد ين الحنيف لنا وردّه
عهد الزمان إليه أن لا خانه وأتم عهده
نصر الإله أبا محمد في مواطنه وجنده
فالرأي في توجيه أحـ ـمد صعده يا ما أسده
باب المفاسد كان مفـ ـتوحا بها فأتى فسده

إلى آخر أبيات القصيدة وهي طويلة.

ووفاة صاحب الترجمة بصعده المحروسة في الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ١٠٦٦ ست وستين وألف عن تسع وخمسين من مولده وما في الطبقات من أن وفاته في سنة ١٠٧٦ وهمٌ لا غير. ومن كراماته الحاصلة بعد وفاته ما وجد بقلم بعض السادة العلماء في هامش ترجمته بمطلع البدور ونصه:

ومن كراماته ما روي عن السيد العلامة إبراهيم بن محمد الملقب ابن حورية وذلك أنه كان بينه وبين الوالد أحمد بن القاسم رحمهم الله في الحياة شيئاً وكان السيد إبراهيم بعد موت الوالد أحمد إذا دخل صعده لا يزوره ويتعمد ترك دخول قبته فرأى في بعض لياليه في منامه كأنه مار من تحت قصر من عقيق أحمر لم ير مثل ذلك العقيق. فعجب في نفسه ثُمّ رفع نظره فإذا أحمد بن القاسم رحمه الله في كوةٍ مشرفة فسأله لمن ذلك القصر. فقال: لي أكرمني به بسبب إطعامي الطعام في سنة المجاعة وما عَدَّ لي الله على عمارة جامع الروضة فوق ذلك. فدخل السيد إبراهيم رحمه الله صبح تلك الليلة قاصداً زيارته وزاره فلما خرج منها سأله بعض من كان عنده فأخبره السبب ولله الحمد كثيراً.

(ومن مآثره الباقية حتى يومنا هذا)

عمارة الجامع المقدس في الروضة خارج صنعاء اختطه في سنة ١٠٤٦ ست وأربعين وألف. قال صاحب مطلع البدور في أثناء ترجمته: وهو من عجائب الدنيا أمَّا في الإقليم اليماني فما له نظير وإن كانت البلاد اليمنيّة المباركة معمور فيها المساجد الكبار فهذا فيه كيفيّات وما ترك وجهاً محسناً إلا فعله فهو في الغاية ووقف له أوقافاً واسعة أعاد الله من بركته وتولَّى قبلة ذلك الجامع الفضلاء وهو الآن نقطة البيكار ودرة التقصار. وكما يقال: روضة في الروضة بلغنا أن الأعاجم يكتبون في نقوشهم صُورته انتهى.

وفي خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون في حوادث ١٠٤٩ ما لفظه:

وفي هذه السنة شاع أن المولى أحمد بن القاسم أصاب في دار الكيخيا التي سكنها المولى أحمد كنزاً من الذهب

الأحمر ولعله كان من دفين عبد الله شلبي لأنها كانت مستقره لما حاصره حيدر باشا أيام ولاية جعفر باشا ففعل منه المولى أحمد جامع الروضة وأوقافه وغيره من المحاسن انتهى. وقد تجاذب الأدباء وصف الجامع وأخذوا المعنى في قوله: روضة في الروضة فقال أحد أدباء القرن الحادي عشر:

لجامع الروضة حسن غدا يروق للناظر والسامع
لا تحسبوا الجامع في روضة إنما الروضة في الجامع

وللأديب شعبان سليم فيه يقول:

محاسن الروضة لا تنتهي يكاد أن ينكرها السامع
قد جمعت من كل ما تشتهي وجامع الكل بها الجامع

وللقاضي علي بن محمد العنسي المتوفى ١٢٣٩ فيه يقول:

يشبه الجنة في روضتكم جامع يعلوه نور ساطع
أي تشبيه علمتم قبل ذا طرفا التشبيه منه الجامع

وعلى الجملة فمآثر صاحب الترجمة ومحاسنه ممن تتزين بها الأوراق وقد عمرت عليه قبة في جامع الإمام الهادي بأمر صنوه الإمام المتوكل على الله وعناية الفقيه محمد بن قاسم العبدي الآتية ترجمته فكانت قبة فائقة الشكل شرقي قبة الإمام الهادي رضوان الله عليه.

١٨ ـ السيد أحمد بن محمد المؤيدي

السيد العالم الزكي الفاضل الشمسي صفي الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد الحسني المؤيدي. من الأعيان الذوات وأهل العلم والثبات، ترجم له عدة من العلماء منهم المولى العلامة محمد بن أحمد الشرفي في اللآلي المضيئة فقال:

وفي يوم الاثنين عاشر شهر جمادى الأخرة من سنة أربعين بعد الألف كانت وفاة السيد الأجل الأفضل الأعلم شمس الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن من آل المؤيد رحمه الله تعالى في مدينة صعدة وحُمِلَ إلى هجرة فللة فقُبِرَ عند والده رحمه الله تعالى بوصية منه. وكان هذا السيد ناشئاً منشأ الصالحين، وبلغ في العلم درجة عالية، ونال في الجهاد حظاً حسناً، وكان فقيه في وقته، راغباً في علم آبائه عليهم السلام انتهى بلفظه.

وترجمه أيضا القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

السيد الزكي العلامة الأزهد شمس الدين. كان من العلماء الأخيار أهل الهمة في تحصيل العلم والرئاسة وحصّل كثيراً طيّباً، وقد كان أراد وضع شرح على الشافية، وكان فضله رحمه الله كلمة إجماع منقطع القرين في أهل زمنه، وسمعت السيد العلامة أحمد بن الهادي بن هارون رحمه الله مع كونه من الكمال ومعرفة أحوال الناس بحيث هو

يقول فيه: عندي أن السيد أحمد بن محمد رجل اليمن ما كان في وقته من يبلغ حيث بلغ، فذكرت له رجلاً كان السيد يثني عليه فقال: لا ولا فلان، وكان ورعاً لا يأكل إلا من الحلال الطيِّب وكان إذا خرج بالعساكر إلى البلاد الشامية بني جماعة وبني خولي والعر لا يأكل إلا من طعام يخصّه، ويفعل للجند الموائد الواسعة، ولقد كانت توضع بين يديه قطعة لحم منتنة لأنه كان يذبح لنفسه ويقسم له ذلك في أيامه، وله شعر عظيم ثم بيض لذلك قال: ورثاه صنوه السيد الإمام المجتهد صارم الدين إبراهيم بن محمد حوريه المؤيدي مطلعها:

صبٌ بأهل الحما هاجت صبابته فدمعه لا يرى إلا صُبَابته

قلت: ولعلها توجد فتنقل في هذا الموضع إن شاء الله.

ورأيت له ذكر في كتاب العقيق اليماني وفيات عام وفاته ١٠٤٠ قال ما لفظه: وفيها توفي السيد العلامة المجتهد والإمام الفهامة المصقع شمس الدين أحمد بن محمد حوريه المؤيدي وكان رحمه الله إماما جليلا ورعا رحمه الله وأعاد من بركاته قال في هامش تلك الترجمة: وحوريه المذكورة سيدة جليلة صالحة وهي أم والده محمد بن أحمد نسب إليها لفضلها وشرفها على عادة أهل ناحيتهم من الجبال انتهى بلفظه.

(عبرة وآية)

قال صاحب غاية الأماني في أخبار القطر اليماني في حوادث سنة ٦٤٥ ما لفظه:

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان من السنة المذكورة وقعت قضية عظيمة وموعظة جسيمة رواها القاضي العلامة عبد الله بن زيد العنسي رحمه الله عن الفقيه محمد بن سليمان المنبهي وهي أن بني منبه وبني معين من بلاد شفيا جهة رازح التقوا للقتال فأصيب رجل من بني معين يسمى مسعود بن علي بسهم ثم حمل فمات في الطريق فلما وصلوا به إلى بيته وضعوه على سرير كبير عرضه أربعة أذرع واجتمع أهله ليحفروا له قبراً فخرج إليهم أخوه فقال لهم: ادخلوا لتنظروا الميت. فدخلوا فإذا هو قد صار كقطعة من جبل رأسه كالصخرة ويداه ورجلاه كالأسطوانات وأصابعه مثل السواعد وأذناه كأذني الحمار وأسنانه كزبر الحديد وقد طلع لسانه على صدره واسود وجهه ثم صرخ صرخة عظيمة أفزع من حوله فزعاً عظيماً وانكسر السرير الذي هو عليه لثقله فلما أصبحوا حفروا له حفيرة عظيمة واجتمع لحمله ستون رجلاً فلم يطيقوا حمله فعدلوا إلى إخراجه بالخشب كما يفعل بالصخرات الكبار وهدموا بعض جوانب المنزل الذي كان فيه وأخرجوه على تلك الهيئة حتى ألقوه في حفرته ثم سقفوها بالخشب والأحجار والتراب وجعلوا على الجميع صخرة عظيمة ثم لم يلبثوا أن بدت رجله من الحفرة كأعظم خشبة فأزالت جميع ما وضعوه عليه فاستأنفوا التسقيف وفعلوا أضعاف ما فعلوه أولاً حتى صار ما فوق الحفرة مثل القبة ثم قعدوا متفكرين في أمره فبينماهم كذلك إذ سمعوا صارخاً أعظم من الأول ففزعوا وفروا من الموضع وما زالوا يسمعون صراخه أربعة أيام ثم انقطع ففتحوا جانب الحفرة فلم يجدوه فيها وقد اسودت جوانبها من آثار النار نعوذ بالله منها ومن شر عذاب القبر ونسأله السلامة وحسن الخاتمة بمنه وكرمه.

١٩ ـ السيد أحمد بن محمد بن صلاح القطابري

السيد العالم الفاضل الجليل شيبة الحمد أحمد بن محمد بن صلاح بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم بن محمد بن الهادي بن إبراهيم بن الأمير المؤيد بن أحمد بن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى وبقية النسب تقدمت الحسني اليحيوي الملقب القطابري.

أخذ في الكشاف عن السيد الكبير داود بن الهادي ولعل له قراءة على والده السيد محمد بن صلاح القطابري الآتي ترجمته بحرف الميم. ترجم لصاحب الترجمة في مطلع البدور فقال:

كان من شيوخ شيوخنا المحققين وأجلاء العلماء المتقنين وكان في العربيَّة إماماً محققاً سيما في شبيبته وكان شيخاً معمراً واتصل بالإمام القاسم وكان من المناضلين عن منصب الإمام والمتكلمين معه وله قصيدة جواب على السيد العلامة عبدالله بن علي بن الحسين المتعارض هو والإمام القاسم وكان في أيام الإمام المؤيد بالله من عيون أهل بيته وتولى جهة بلاد آنس المحروسة ثم استقر ببلاده يعني جهة قطابر وأعمالها منوطة به حتى كانت أيام مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله وأخذ منها بشطر صالح ثم انتقل إلى جوار الله انتهى.

وذكر صاحب الترجمة السيد المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي وعده في النبذة المشيرة في سيرة الإمام القاسم بن محمد المتوفى بشهارة سنة ١٠٢٩ في الطبقة الثانية من أعيان أصحابه الذين نبلوا في خلافته وأثنى عليه في الجوهرة المنيرة سيرة المؤيد بالله وكذلك في سيرة المتوكل على الله إسماعيل..

وبالجملة فكان أحد أعيان السادة العلماء في أيامه.

(رسالة الإمام المتوكل إلى المترجم له)

وهذه رسالة من الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد أجاب بها على هذا السيد صاحب الترجمة تتضمن ألفاظ ومعاني جليلة ولفظها بعد البسملة والحمدله:

الوالد السيد الأمجد العلامة الأوحد شمس الدين أحمد بن محمد القطابري حفظه الله وأتحفه بشريف السلام وأزكى التحية والإكرام وبعد: فإنه وصل كتابكم الكريم وما ذكرتم من دخولكم إلى محروس صعده واتفاكم بالصنو صفي الدين أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله فقد أصبتم وأحسنتم وجزاكم الله خيراً وبارك فيكم وزكى أعمالكم وأصلح بكم، وما ذكرتم من ضعف ثمرة البلاد وأنه لولا ذلك لعولتم على الصنو صفي الدين الخروج بنفسه لإزالة ما بتلك البلاد من المنكرات وأحكام الطاغوت فنسأل الله أن يعين على ما يرضيه وأن لا يؤخذنا بما فعل السفهاء منا ولا بسيئات أعمالنا إنه الغفور الرحيم.

وليعلم الوالد رعاه الله وحفظه أن البداية في هذا الشأن بالجانب الأعلى الذين هم ورثة الأنبياء وأهل بيت المصطفى في استقامة دينهم والتوقف على حدود ربهم وتجنبهم أكل الحرام وتوقفهم على شريعة جدهم سيد الأنام هو المقدم الأهم والمقصد الأعظم فإنه لا يستقيم الناس إلا بإستقامة سراتهم وعلمائهم فإذا كانوا يأكلون ما حرم الله عليهم من الزكوات ويطلبون في ما يجب لهم أحكام الطاغوت ثم يرومون من الناس الاستقامة وهم على هذه

الحال فقد خانوا وخدعوا وكيف يقوم الظل والعود أعوج وقال تعالى: {أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون} فتناصحوا في ذلك ولا تكتموا إلى أن قال: ومن أعظم ما يجب إصلاحه وعدم التهاون أنا رأينا بيان زكاة الجهة الجماعية على حقارته قد صرف عن مصارفه ووضع في غير محله وجعل لجماعة من بني هاشم وهم الفاطميون منهم كأنه قد ضاق عنهم وسيع رزق الله الذي وسع من طلعت عليه الشمس فيما بين مشرق الأرض ومغربها إلا هذا الذي ألزم الله نبيه بتنزيه ولده ومن قرب إليه عنه ولم يقع في ذلك تناه ولا تعقل لمراد الله لهم ولما أراده من وضعه في المصارف التي بينها في كتابه الكريم فعكس المراد في ذلك حتى حرم المصارف عنها بأجمعهم وصرفت فيمن حرمها الله عليها فإنا لله وإنا إليه راجعون. فإن قالوا: الحاجة والفقر ألجأنا إلى تناول ذلك قلنا: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا}. {أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون} هذه بلوى من الله قد اختبر بها عباده وقال تعالى: {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين}. إلى أن قال في آخر الرسالة: ولما كنت أيها الوالد حماك الله وعافاك من أهل التقوى وحملة العلم رأينا أن نجعل هذا الكلام في كتابك لتبلغه إلى كافة من عندك من أهل البيت الشريف ولتكون معيناً على ذلك بما تعلمه من الكتاب والسنة فإنا وإن كنا نرى جواز التأليف منها للهاشمي فإن تبليغ ما أنزل الله على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من أعظم الفروض وآكدها فأردنا الخروج عن العهدة وإبلاغ الحجة وإستظهار ما نهى الله عن كتمانه إلخ الرسالة التي أوردها الجرموزي في السيرة المتوكلية.

ومما ذكره في مطلع البدور من أدبيات صاحب الترجمة أن لما قدم إلى رغافة زائراً للسيد الحسن بن أحمد الجلال قال السيد الحسن الجلال:

فأهلاً بأقدامٍ حبتني زيارة وما كنت أهلاً للنهوض إلى عندي
ولا غَرو إن زار العظيم محقراً فقد ينهض المولَى إلى ساحَة العبد

فأجابه صاحب الترجمة بقوله:

بل أنتم النفر المستوجبون لأن نمشي إليكم ولو مشياً على الخدِّ
لأنكم من سلالات النبي وقد حزتم بفضلكم مجداً إلى مجد

ومن شعره ما رثى به الإمام القاسم بن محمد وقد جمع فيها بين الرثاء والتهنئة لابنه المؤيد بالله وأولها:

خطب ألم بأهل الأرض عن كمل ففرج الله ذاك العسر في عجل
فالعين تبكي من غم ومن حزن والسن تضحك من روح ومن جذل
فاعجب لرزء عظيم الشأن خالطه غوث أغاث بني الدنيا بلا مهل

ومنها:

أمران مالهما ند لعظمهما ضدان قد مزجا كالمر بالعسل
إمام حق قد اختار الإله له فقام من بعده من ليس بالوكل
ذاك الإمام دعاه الله تكرمة وذا إمام دعا أربى على زحل
ذاك الإمام الذي عمت رزيته وذا الذي ذاد عن زيغ وعن زلل
ذاك الذي هد ركن الدين مصرعه وذا الذي شاده بالبيض والأسل
لئن فقدنا إماماً كان قدوتنا فقد وجدنا إمام العلم والعمل
لئن دهينا بخطب جل موقعه فقد شفينا بجبر الحادث الجلل
لئن مضى القاسم المولى الإمام لقد أبقى لنا خلفاً للمؤمنين ولي
يا دهر إن رعتنا فيمن قبضت فقد جادت يداك لنا عن ذاك بالبدل
مثلاً بمثل يداً يا دهرنا بيدٍ فهل لذلك يا للناس من مثل

وهي طويلة وإنما ماثل بها قصيدة السيد الفصيح المقول شرف الدين الحسن بن عبد الله بن قاسم القطابري من أدباء القرن العاشر في جمعه بين الرثاء والتهنئة للإمام مجد الدين بن الحسن الداعي بعد وفاة والده الإمام الحسن بن عزالدين شهر شعبان سنة ٩٢٩ فقال وفيها براعة الاستهلال:

الأمس يبكي وهذا اليوم قد ضحكا وصار يضحك من بالأمس كان بكا
فاعجب لدهر يسر الناس آونة وتارة للرزايا ينصب الشركا
يوماً عزاء وتأبين على ملك ثوى ويوماً ترى من بعده ملكا
كذا الزمان وفي أفعاله عبر والخير والشر في أيامه اشتركا
وهكذا الدهر ما زالت عجائبه حيناً تسر وحيناً تشرق الحنكا
وإن أحسن حزن ما تعقبه بشر وجلى من الأحزان ما نهكا
بالأمس غيب في بطن الثرى قمر واليوم لاح هلال زين الفلكا
لئن فقدنا إماماً كان عمدتنا فقد وجدنا إماماً للفقيد حكا
وإن مضى ناصر الدين الحنيف فقد أعاضنا الله بالداعي وما تركا
جلت خلافة مجد الدين كربتنا حتى كأن أباه اليوم ما هلكا

وهي طويلة أوردها في ملحق مآثر الأبرار. وكانت وفاة صاحب الترجمة في شهر ربيع الآخر سنة ١٠٦٩ تسع وستين وألف وقبره بصرح المسجد بقرية آل يعيش بوادي قراض مشهور مزور رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

(قطابر)

والقطابري نسبة إلى قطابر في الناحية الجماعية شمال مدينة صعده بمسافة ٦٠ كم وهي بفتح المثناة الفوقية ثم طاء مهملة وقد ضبطها صاحب طبق الحلوى بضم القاف على وزن علابط والمشهور على الألسن ما ذكرناه.

وهي هجرة علمية قديمة سكنها في أواخر القرن السادس الهجري تقريبا السادة آل يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله المعتضد بن محمد المنتصر بن القاسم المختار بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق. وفيها مشهد الأميرين الجليلين العالمين الكبيرين شيخي آل الرسول شيبتي الحمد شمس الدين يحيى بن أحمد وبدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى القائل فيهما الإمام عبد الله بن حمزة وكانا ممن بايعاه وناصراه وقاما بدعوته من قصيدة يمدحهما:

شيخان من آل طه كلما نطقا تساقط الدر والأمثال والحكم
بحرا نوال وعلم كلما وهبا مواهباً خجلت من وقعها الديم
ليثا نزال وسيفا كل ملحمة مرهوبة وجباه الخيل تصطدم
أنتم سنام بني الزهراء قاطبة والرأس إذ في بنيها الرأس والقدم

وقد ترجم لهما في الطبقات وفي مطلع البدور وغيرهما توفي الأمير شمس الدين سنة ٦٠٦ عن تسع وسبعين وتوفي الأمير بدرالدين سنة ٦٢٤ وعمره خمس وثمانون ومشهدهما بهجرة قطابر مشهور مزور. وإلى جنبهما جهة اليمن قبر ابن عمهما السيد الأمير العالم حافظ علوم الآل جمال الدين علي بن الحسين بن يحيى بن يحيى مصنف كتاب (اللمع) و(القمر المنير) و(درر الفرائض) وغيرها من المصنفات، ووفاته سنة ٦٤٧ أو السنة التي تليها رحمهم الله تعالى وأعاد علينا من بركاتهم.

قال مؤلف شرح الدامغة الكبرى: وهجرة قطابر أولى الهجر اليحيوية لآل يحيى بن يحيى بل هي أم هجرهم وعنها تفرعت باقي الهجر كرغافة وفلله والروابي والمثة وقراض. قلت: وقد نسب إلى قطابر من ذرية آل يحيى بن يحيى أولاد السيد إبراهيم بن الأمير المؤيد بن أحمد بن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى ومن أعلام هذا البيت السيد الفصيح المقول الحسن بن عبد الله بن قاسم بن محمد بن الهادي بن إبراهيم بن الأمير المؤيد وهو صاحب الأبيات المتقدمة: الأمس يبكي وهذا اليوم قد ضحكا. ومنهم أيضاً السيد العالم المتقن المفلق مجد الدين المرتضى بن قاسم بن إبراهيم بن محمد بن الهادي بن إبراهيم بن الأمير المؤيد الملقب القطابري المتوفى بصنعاء في سنة ٩٣١. وله ترجمة في مطلع البدور والطبقات وغيرهما.

٢٠ ـ السيد أحمد بن محمد المؤيدي نزيل الهند

السيد النبيل أحمد بن محمد بن علي بن الحسين بن الإمام الهادي عز الدين بن الحسن المؤيدي الصعدي. ذكره السيد عز الدين محمد بن عبد الله المعروف بأبي علامة في مشجره وقال: دخل الهند بعد الألف وأولد بها

وتوفي هناك وله عقب بحيدر آباد انتهى.

قلت: وعقبه في اليمن من ولده محمد ومن ذريته السادة بيت غالب منهم في القرن الرابع عشر السيد العلامة الحسن بن يحيى بن محمد بن أحمد بن يحيى بن علي بن أحمد بن محمد لقبه غالب بن علي بن أحمد بن محمد الملقب الأعضب بن أحمد بن محمد بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن.

٢١ ـ الفقيه أحمد بن محمد عقبة

الفقيه العلامة الأوحد شهاب الدين أحمد بن محمد عقبة اليمني الخولاني الصعدي وآل عقبة نسبهم يرجع إلى عمرو بن معدي كرب صاحب الصمصامة كما أفاد في المشجر لأبي علامة.

وصاحب الترجمة كان فقيهاً عالماً أثني عليه بالعلم ووصف بالتوحد على الأقران وكان مسكنه بساقين من البلاد الخولانية ولم أقف على حاله بالتفصيل إلا أنني وقفت في بعض المجاميع على رسالة من الشريف الحسيب أمير مكة في أيامه الحسن أبو نمي كتبها إلى متولي صعده من قبل الأتراك الباشا علي الجزائري يطلب منه ترحيل عيال صاحب الترجمة من ساقين إلى مكة المشرفة.

ومما جاء في عبارات تلك المكاتبة ما لفظه: فإن الفقيه العالم العلامة الحبر الفهامة أوحد العلماء العاملين مخدومنا الشيخ شهاب الدين أحمد بن عقبة نفعنا الله تعالى ببركة علومه التمس من جانبنا أن نلتمس له من حضرتكم الكريمة أن تعينوه بتجهيز أهله لأداء فريضة الحج في هذا العام المبارك وأن ترحلوهم إلى صبيا ويبرز أمركم الكريم بكتابة مكتوب إلى أهل الطريق والأدراك والبلدان لعدم المعارضة لهم وليكونوا مسامحين بالمحابي المعتادة في تلك الأماكن وأن ترعوهم بعين رعايتكم فأجبناه إلى سؤله لعلمنا بحقيقة حاله والمرجو من لطفكم وكمال معرفتكم تتميم مطلوبه ونجاح مأموله وأن تشملوا أخوانه وأصحابه آل عقبة القاطنين ببلد ساقين بلطائف شمائلكم وإحسانكم. إلى أن قال في آخر ذلك الكتاب: تحريراً في أواخر صفر المظفر سنة ثماني وتسعين وتسعمائة انتهى.

(بيت عقبة)

والفقهاء آل عقبة ينسبون كما تقدم إلى عمرو بن معدي كرب أبو ثور صاحب النجدة ومالك الصمصامة وصاحب الأيام الشهيرة في الجاهلية والإسلام وجدهم هو الرئيس الهمام في القرن السادس الهجري عقبة بن أحمد بن علي بن يحيى بن سليمان بن عبد الله بن عمرو بن معدي كرب الزبيدي.

ذكر ذلك في مطلع البدور للقاضي شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال وقال: وعقبة أشهر جدودهم وهو الملك الهمام المتأمّر على مدينة صنعاء وأعمالها في بعض مدته وهو بنى المساجد العظيمة سيما بوطنه ومسقط رأسه بجهة قروي شرقي مدينة صنعاء وداره بها مشهور يسمى دار المناحل بِميم ونون بعدها ألف وبعد الألف حاء مهملة وسط وادي قروَى قبلي قرية الحميرا وغربي مسجده وانحاز عقبه إلى قرية الحميرا لتحصنها عند عدوان قبائل بني بهلول وبني نصر. وارتحل بعض الفقهاء آل عقبة إلى بلاد آنس بهجرة الأريم والبعض ساقين بعد أن سكن المنتقلون إلى ساقين بهجرة معين يماني صعده قرب الحناجر.

ومن أشهر الفقهاء آل عقبة الساكنين بهجرة معين الفقيه النبراس الفاضل محمد بن أحمد بن حسن بن عقبة بن أحمد بن علي بن يحيى بن سليمان بن عبد الله بن عمرو بن معدي كرب الزبيدي قال في ترجمته في مطلع البدور: كان يسكن هجرة معين وشهد له علماء زمانه وصرح به جميع أقرانه أنه جمع وأحرز ودقق وبرز في سائر فنون العلم الدينية وأحلوه منزلة الاجتهاد البالغ الكامل والفضل الواسع الشامل توفي رحمه الله بربيع الآخر سنة ٧٧٢ اثنتين وسبعين وسبعمائة انتهى. ومنهم الفقيه العلامة الذي جاء في نعته بالعالم الشهير والإمام المحدث المتقن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن حسن عقبه له ترجمه في مطلع البدور قال فيها:

مولده في سبع وخمسين وسبعمائة وبلغ الاجتهاد وعمره نيف وعشرين سنة وقرأ على القاضي عبد الله بن الحسن الدواري وكان زميله العلامة علي بن عبد الله بن الحسن الدواري ولما توفي القاضي علي بن عبد الله بن حسن في حياة والده سنة أربع وسبعين وسبعمائة رثاه محمد المذكور بقصيدة اشتملت على فوائد وعلوم طالعها:

الدهر للخلق مغتال وخوان يصميهم بالمنايا وهو فتان

ما جاد يوماً على الأحياء بنعمته إلا تعقبه بؤس وأحزان

وأول من نزل منهم ساقين هو ده العلامة الفقيه علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن عقبة ترجمه في مطلع البدور ووفاته شهر ذي الحجة سنة ٨٤٠ أربعين وثمانمائة وقبره شرقي جامع ساقين. وصنوه هو العلامة الفاضل الحسن بن أحمد بن محمد عقبة المتوفى بصعده سنة ٨٥٦ ست وخمسين وثمانمائة ودفن بالقرضين وقبر إلى جانبه ولده العلامة الفقيه الفاضل محمد بن الحسن بن أحمد عقبة الشهير بالذيبيني نسبة إلى ذي بين ووفاته كانت سنة ٩١٦ ست عشرة وتسعمائة. وولده هو الفقيه العلامة الفاضل أحمد بن محمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن حسن بن عقبة بن أحمد بن علي بن يحيى بن سليمان بن عبد الله بن عمرو بن معدي كرب الزبيدي مولده في ربيع الآخر سنة ٨٧٩ وهو صاحب العرائس العقبية في الجهات الشظبية قصيدة نونية من البحر الكامل مطلعها:

ألهمةٍ سامت سهيلاً في اليمن وعزيمة منك اشترت شرخ الزمن

كان رفيع الهمة شريف المنزلة له النظم والنثر رحل إلى صنعاء وإلى وادي السر من هجرة الأبناء فقرأ هناك على العلامة البحر محمد بن أحمد بن مرغم وعلى الفقيه علي بن عبد الله الرقيمي وحقق في علوم الأدوات والنجوم على قواعد الإسلام وشرح التذكرة شرح عاقت عنه محاجزات الأيام وتوفي بصنعاء وقبره عند باب اليمن. وهو الذي نقل عنه القاضي ابن أبي الرجال تراجم أهله وأورد له قصيدة أولها:

أوان على صنعاء بالصرف قد أخنا وأبدلها عن سهل مرحبها حزنا

فأذكرني عصراً بساقين قد مضى حنانيك ما أمراه عيشاً وما أهنا

نشأت به حتى إذا ما تميمتي فراها شباب قلت هجراً لذا المغنى

إلى أرض صنعاء مهرعاً متسرعاً لما فرض الباري عليّ وما سنا
لدى نجباء ماجدين فأمطروا نزيلهم من جود صيبهم مزنا
هنيئاً مريئاً منبتاً دردراً على صفائح سمع حاصد محرز ذهنا
مشائخ تقوى قدس الله سرهم وأوسعهم من فيض رحمته منا

إلى أن قال:

ولما ارتقيت الأربعين شرحت من غوامض فن الفقه محتجب المعنى
بتذكرة النحوي رفواً محرراً فلا يجد النقاد في أيه طعنا
وعاق عن الإتمام صول حوادث تعم وتعمي القلب والعين والأذنا

وأخذ على هذا الأسلوب يصف رحلته إلى صنعاء الرحلة الثانية وذلك بعد استيلاء الترك على صنعاء فقال منها:

فأزمعت في أثنا ذاك زيارة رحلت لها صرفاً غريرية وهنا

ومن أبيات القصيدة يشير إلى والده وجده وقبرهما بالقرضين:

بصعده في القرضين حي سميدع وحي أبيه قادم الاين في السكنى

وكان هذا العلامة أحمد بن محمد بن حسن عقبة عالماً شهيراً ترجمه في مطلع البدور وصاحب المستطاب وذكره المقرائي في مكنون السر وكان إليه زكاة الظواهر وكان له خزانة كتب وافرة وقف أغلبها وقفية معينة ومما وقفت عليه من تلك الخزانة كتاب نهاية العقول شرح الخمسة الأصول وكتب في حاميته بقلمه ما نصه: هذا الكتاب من جملة ما وقف العبد الفقير أحمد بن محمد بن حسن بن أحمد عقبة شهر بالذيبيني لطف الله به ومن غيّره عن موضوعه فإنما إثمه عليه شهر محرم غرة سنة عشرين وتسعمائة.

ولعل صاحب الترجمة حفيد هذا العلامة صاحب العرائس العقبية المتوفى تقريباً في سنة ٩٤٠ أربعين وتسعمائة رحمهم الله وإيانا والمؤمنين.

٢٢ ـ السيد أحمد بن المهدي المؤيدي

السيد السند الأمير الرئيس العالم الكامل صفي الملة والإسلام شمس الدين أحمد بن المهدي بن محمد بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن المؤيدي الحسني الصعدي.

أخذ في الكشاف عن السيد الكبير داود بن الهادي وهو والد السيد الصلاحي صلاح بن أحمد شارح الفصول اللؤلوية وهداية الأفكار الآتية ترجمته بحرف الصاد. ترجم لصاحب الترجمة في مطلع البدور القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال فقال:

السيد الكريم العالم كان عارفاً في الفروع موصوفاً بالتدريس لكتاب البحر وقرأه عليه الفضلاء واشتهر بالرياسة

والإمارة فغفل الناس عن وصفه بالعلم إلا الخواص كما ذكر في الأمير ابن مأكولا. وكان من كملاء الرجال البارعين في الرياسة القائمين بوظائفها واسع الأخلاق واجتمع لديه من آل يحيى بن يحيى خلق كثير وغزا غزوات إلى نواحي الشام وتهامة وكان رحب الفناء مطعاماً موصوفاً بالحلم وسيأتي ذكر ولده خاتمة المحققين صلاح بن أحمد انتهى. وترجم له السيد المؤرخ شرف الدين الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى فقال:

السيد الرئيس المجاهد الجواد الكريم الشهير شمس الدين كان من المجاهدين والكرماء المشهورين الذي يضرب بهم المثل وتولى الجهة الصعدية والشامية بعد وفاة السيد أحمد بن الحسن ثم دخل السيد أبو طالب أحمد بن القاسم فتولى صعده وبلاد خولان ولصاحب الترجمة بقية ولاية بلاد بني جماعة ورازح انتهى.

وكان هذا السيد أحمد بن المهدي من أعيان الرؤساء مقدماً في الفضائل شايع الإمام القاسم بن محمد وبالغ في نصرته والجهاد معه وكان أحد الذين افتتحوا صعده في سنة ١٠٢٢ اثنتين وعشرين وألف. وقد ذكره السيد المؤرخ الجرموزي في الجوهرة المنيرة سيرة الإمام المؤيد بالله وأثنى على كماله ورياسته ومما أفاد عنه وصوله في سنة ١٠٣١ إحدى وثلاثين وألف إلى مقام الإمام المؤيد بالله بشهارة مهنئاً بخروج صنوه الحسن بن الإمام القاسم بن محمد وفلاته من سجن الأتراك وكان وصول المترجم له من صعده في عسكر زها أربعمائة وأهدى أربعاً من الخيل. واتصل بالمولى سلطان الإسلام الحسن بن الإمام القاسم أيام ولايته بصعده، وكان من جملة أمرائه وشارك في غزوات في نواحي الشام منبه وبني خولي وغيرها ثم اتصل بولده سلطان اليمن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد، وكان المترجم في جميع أيامه في محل الصدارة والرياسة. ومما نقل عن قلم بعض السادة الأكابر عن قلم السيد داود بن الهادي ما لفظه: رأى الصنو شمس الدين أحمد بن المهدي أني كتبت إليه كتاباً فيه عشرون بيتاً حفظها في المنام وانتبه وقد غابت عنه إلا بيتين وهما:

على أنني والحمد لله قدوة لطالب علم أو لمن كان سائلا

بنينا لنا في المجد بيتاً مؤثلاً وصرنا له أهلاً وركناً وموئلا

قال الناقل لهذا الكلام: ولعمري أن هذين البيتين جديران بأن يكتبا بالعين بل بماء العين لدلالتهما على فضيلة السيد المذكور.

ورأيت في كتاب الفقيه عبد الله بن علي الضمدي المسمى العقيق اليماني في أخبار ووفيات المخلاف السليماني في حوادث سنة ١٠٤٤ ما لفظه: السيد الجليل ملك آل الرسول شمس الدين أحمد بن المهدي بن عز الدين كان رجلا كريما، سيدا عالما رئيسا نبيلا جليلا كان في بدايته من جملة أصحاب الإمام عبد الله بن علي هو ووالده فلما بطلت أحوال الإمام عبد الله وانعكست أموره رحل السيد أحمد المذكور هو وابن عمه السيد الأوحد محمد بن أحمد حوريه إلى الإمام القاسم بن محمد بجبال الأهنوم، وقدموا على ابن عمهم السيد أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود وكان هناك مصاهرا للإمام القاسم على احدى بناته، فأكرمهم السيد أحمد وعرفوه انهم يريدون خدمة الإمام والانقطاع إلى جانبه، فقبلهم الإمام القبول التام وولاهم كلما استفتحوه من بلاد الشام وجعل

لهم رمحاً ولواء، وكتب لهم إلى سحار وخولان وبني جماعة ودعا لهم وزلجهم فلما وصلوا إلى مشائخ الشام وجدوهم قد جزعوا من دولة الأتراك فقابلوهم مقابلة حسنة وأخلفوا على الأتراك من حدود يسنم إلى بلاد حيدان ومن الحقار إلى نجران وأوقدوا النيران وسلموا لإمام الزمان وحاصروا مدينة صعدة شهرين وتملكوها أياما، وجاءت غوابر الأتراك من صنعاء، واستعادوا البلاد وحصل القتال في عرو والحضاير وحاصل تلك الفتنة أن الأتراك عادوا إلى صنعاء غلبة، وتركوا الشام والتعلق به وأقام السادة أياما فقتل السيد محمد بن أحمد ومات السيد أحمد بن الإمام الحسن وصفي الجو للسيد أحمد بن المهدي، فرأى الإمام القاسم عليه السلام أن يعطي ولده أحمد مدينة صعدة وحيدان والمشرق وأبقى للسيد المغارب والحقار والشام والمير، فلبث فيها نحوا من عشرين سنة آمرا ناهيا مطاعا نافذ الكلمة، وكان رجلا مطعاما يوفد الموفود ويكرم الضيف ويملأ حجر اليتيم، وتوفي بقلعة غمار يوم الجمعة سادس عشر شهر الحجة من السنة المذكورة رحمه الله انتهى كلامه.

***

وللسيد البليغ صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيدي هذه القصيدة كتبها إلى صاحب الترجمة يهنئه بعد العودة من حج بيت الله الحرام وطوافه بالمشاعر العظام أولها:

يا حداة الجمال أهلاً وسهلا بالجمال التي حملهن الجمالا
وقطعن الفلاة بيدا فبيدا وتعسفن للثواب رمالا
وبفرط الخطى أزلن الخطايا وبطول السرى أنلن الوصالا
حبذا الذاهبات كالقبب البيـ ـض سماناً وبالإياب هزالا
حبذا الرافضات بين كدي وكداء وقد عنين كلالا
حبذا الحاملات وهي لحوم ودماء من اللحوم خبالا
سادة من بني النبي سراة علماء جحاجحاً أقيالا
يملأون الصدور حلماً وعلماً وتطيش القلوب منهم جلالا

هذا الذي وقفت عليه من أبيات القصيدة وانقطع البياض. وعلى الجملة فصاحب الترجمة من أهل العلم والإمارة ويكفيه مفخرة ولده السيد الصلاحي وقد أجرى ذكرهما في منظومة أبيات الدامغة السيد الحسن بن صلاح الداعي وجمع إليهما مجاورهما في قبة الدفن السيد أحمد بن محمد لقمان المتوفى سنة ١٠٣٩ فقال:

واذكر صلاح الهدى النحرير صارمه محي الخلافة رأس العلم والعمل
كذا ضجيعيه شمس الدين والده والسيد العالم المشهور في الأول
أعني ابن لقمان شمس الدين سيدنا محي الأصولين بالتفصيل للجمل

وكانت وفاة صاحب الترجمة وهو المتولي على بلاد رازح يوم الجمعة سادس عشر الحجة الحرام سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين وألف بينه وبين ولده السيد الصلاحي خمسة أيام فقط رحمهما الله تعالى ودفنا إلى جنب مسجد قلعة غمار.

ومجاورهما في قبة الدفن

هو السيد الإمام العالم المحقق الإستاذ شمس الدين أحمد بن محمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين بن الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى المعروف والمشهور بابن لقمان صاحب شرح الكافل وهو من مفاخر العلماء ومشاهير الأعلام، وهو مترجم له في كتب التراجم فلا حاجة إلى التطويل بها هنا، وكان قد تولى أعمال المخلاف السليماني قال ابن أبي الرجال: وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأزال كثيراً من بدع الجهال واستقر أياماً فعرضت له عوارض من المرض اقتضت طلوعه إلى قلعة غمار فمرض أياماً ثم نقله الله إلى دار كرامته في وقت الفجر من يوم الخميس تاسع شهر رجب عام ١٠٣٩ تسع وثلاثين وألف ودفن عند مسجد غمار بالقبَّة التي فيها السيد العلامة أحمد بن المهدي وولده صلاح الدين رحمهم الله جميعاً ووفاة السيد صلاح الدين ووالده في ذي الحجة عام أربع وأربعين وألف انتهى كلام القاضي.

وقد استوفيت نقله بألفاظه حتى يتأكد للناظر أن وفاة السيد أحمد بن المهدي وولده السيد الصلاحي كما ذكر القاضي في هذا الموضع وأن ما ذكره في ترجمة السيد الصلاحي من أن وفاته سنة ١٠٤٨ إنما هو في الغالب سبق قلم من النساخ أو نحوه.

٢٣ ـ الفقيه أحمد بن موسى سهيل

الفقيه العلامة الفاضل المحدث سلمان أهل البيت شهاب الدين أحمد بن موسى بن مقبل بن علي سهيل العدناني النزاري الصعدي اليمني. مولده تقريباً في سنة ٩٥٥ خمس وخمسين وتسعمائة. ترجم له القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

الفقيه العارف شهاب الدين. هو من أجلاء الشيعة وأهل الصدق والاستقامة الكلية وكان شيخاً معمراً حضر بيعة الإمام الحسن بن علي وتفيأ في رافع ظلالها وكان يلي قبض زكوات بصعده وبيوت أموال وتبرأ عن شيء منها لولاية صحيحة وعمله أكثر من علمه وكان وافر العقل إلى الغاية وهو مصداق قولهم: أزهد الناس أعقلهم وكان من شيوخ الطريقة مشرفاً على الطب وعلى يديه الشفاء، وله مسائل أوردها إلى الإمام القاسم وهو ممن سمعته يروي أنه اطلع هو والقاضي العلامة أحمد بن صلاح الدواري على حديث في الإمام القاسم وكان من أهل الود الخالص لآل محمد يؤثرهم على نفسه وأهله وكان بنو الهادي بالضيعة يرونه أباً لهم انتهى.

وترجم له المولى العلامة أحمد بن محمد الشرفي في اللآلي المضيئة فقال:

الفقيه الفاضل المحدث الطاهر شبيه سلمان البيت النبوي وأبي ذر الغفاري وكان له في محبة أهل البيت والسعاية في قضاء حوائجهم والمحبة لهم بقلبه ولساته والمناصرة بيده وإحسانه ما لم يكن لغيره قط ولقد كان يخرج بنفسه إلى

قراهم المبتعدة ليتفقد أحوال حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وربما تختصم المرأتان فيخرج بنفسه ليصلح بينهما وقد كان اتخذ منازله مألفاً لبني هاشم يأوون إليه كما يأوي الطير إلى وكره وكان ممن بايع الإمام الحسن بن علي بن داود وشايعه وناصره واستعان له من أهل صعده أموالاً جزيلة ولما دعا الإمام المنصور بالله جعل له ولاية عامة فكان يفعل كما يفعل الإمام من المتصرفات وكان باقياً في صعده أيام الظالمين بأمر الإمام وكان له هيبة في صدور الظالمين وجرى له مع الأمير محمد التركي والأمير صفر قضية وسلمه الله منهم وحبس ساعة من نهار ثم خرج وكتب إليه بعض أصدقائه يحذره من الباشا حيدر فأجاب عليه بقوله تعالى أليس الله بكاف عبده انتهى.

وفي النبذة المشيرة سيرة الإمام القاسم بن محمد في أثناء ترجمته لصاحب الترجمة أنه لما قبض عليه أمير الأتراك كانوا قد هموا بقتله وأحضروا ما أرسله إلى الإمام حجة عليه فهابوه وائيسوا لما رأوا المدينة تموج بأهلها خوفاً عليه فخلوا عنه. وقد أجاب عن الأمير محمد التركي بجواب حسن قال له: هذا الإمام هو من بلدنا وولد إمامنا الهادي وبيننا وبينه مثلما بينكم وبين من هو من بلدكم، كتب إلينا نشتري له بعض كسوة وصابون وأمور ليس عليكم منها ضرر وكان يتكلم وهو مطرق لا ينظر إلى أحد من الترك. ولقد أخبرني حي الوالد السيد علي بن المهدي أنه دخل صعده أيام الصلح الكبير لزيارة الإمام الهادي قال في حديث طويل: فأمرني أنا وصاحب معي أن نلقاه إلى خارج المدينة ليخرج إلى عند السيد فارس من السادة الحمزات، فلما توسطنا القاع لقينا هذا الطاغي التركي وقد خرج بخيله فانكرنا فانفرد من فرسانه وأقبل على فرسه حتى وقف علينا وعرف سيدنا أحمد بن موسى فقال: أين تريد يا فقيه؟ فقال له سيدنا: نريد نخرج إلى السيد فارس ثم ولى عنا ولحق بفرسانه، فلما ولى سألني سيدنا أحمد هل الأمير شيبة أم لا؟ فقلت: يا سبحان الله أنت في بلده كل هذه المدة وأنت لا تعرفه، فقال: لا أعرف وجهه ولا أريد أن أعرفه الخ .

وترجمه أيضاً صاحب المستطاب فقال:

كان هذا الفقيه من أهل الدين الصحيح والورع الشحيح لا تأخذه في الله لومة لائم وله من العلم الحظ الوافر، وحج في سنة ثمانين وتسعمائة وكان ذا محبة صادقة لأهل البيت يرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم ويسعى في قضاء حوائجهم لا سيما الأرامل والأيتام وأما محبته لأئمة أهل البيت والنصرة لهم والمعاونة فأمر لا يطلع على كنهه في صدره إلا علام الغيوب فإنه بايع الإمامين الحسن بن علي بن داود وجدنا المنصور بالله القاسم بن محمد ولما قام بالأمر ولده الإمام المؤيد لبى دعوته وأوجب على نفسه محبته فكان معاوناً له في كثير من الأعمال في صعده وولاه الإمام قبض الأجبار في صعده ونواحيها فكان يجمع شيئاً ويجري منها على فقراء بني هاشم وأراملهم من واجبات بني هاشم والبقية يرسل بها إلى الإمام قوافل وكان واسطة بين الإمام وبين السيد أحمد بن المهدي واليه على جبل رازح لما نجمت نواجم هناك انتهى كلامه.

قلت: وهؤلاء هم مؤرخو عصره وهذه عباراتهم قد انعقدت على الثناء عليه فيكفيه يكفيه وما أحقه بما قيل:

ما وقعت عيني على مثله في فضله الوافي وفي نبله

وليس بدعاً مثل أخلاقه منه وممن كان على شكله
فإنه من عنصر طيب ويرجع الفرع إلى أصله

ومن غريب كراماته الحاصلة في حياته ما رواه مترجموه إنه كان ليلة في مضجعه وليس عنده شك في صحة العمارة بالبيت الذي هو فيه فرأى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول له: قم فإن بيتك سيخرب فاستيقظ واستعاذ بالله من شرها وظن ذلك عبارة عن أمر دينه وعاد إلى نومه فرأى أمير المؤمنين مرة أخرى يناجيه بمثل ذلك فاستعاذ ثم نام مرة أخرى فرأى أمير المؤمنين جذب بيده حتى لم يستيقظ إلا وهو قائم فخرج من المكان ثم انهدم سريعاً انتهى.

وكانت وفاته بصعده المحروسة في جماد الآخرة سنة ١٠٤٥ خمس وأربعين وألف ودفن بموضع ثم نقله ولده العابد يحيى بن أحمد إلى محل آخر بعد سبعة أشهر فوجده على صفته لم يتغير منه شيء رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين. قال في مطلع البدور: وقد ذكر في المشجرات أن نسبه إلى نزار.

وبيت سهيل من البيوت الصعدية العريقة ولهم اشتغال بالفقه والحديث والديانة والصلاح ومحبة أهل البيت النبوي ولهم سلف صالح منهم عدة من العلماء ستأتي تراجمهم في أقسام هذا الكتاب ومن أبرز النبلاء والعلماء الكملاء في القرن الرابع عشر العلامة الفقيه المتضلع إبراهيم بن يحيى سهيل المتوفى سنة ١٣٢٩ والفقيه العلامة المتقن الحسن بن محمد سهيل المتوفى سنة ١٣٨٧ والعلامة المؤرخ الفاضل صاحب بغية الأماني والأمل عبد الرحمن بن حسين سهيل المتوفى ١٣٥٩ وصنوه علامة وقته عماد الدين يحيى بن حسين سهيل المتوفى ١٤٠٨ وستأتي تراجمهم بمواضعها في هذا المعجم إن شاء الله.

٢٤ ـ السيد أحمد بن الهادي الديلمي

السيد العلامة شمس الدين أحمد بن الهادي بن علي بن مهدي بن محمد بن الهادي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن مدافع بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن الإمام أبي الفتح الديلمي الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب هكذا نقلت نسبه عن مشجر أبي علامة الموسوم بروضة الألباب. ترجم له القاضي في مطلع البدور والسيد إبراهيم بن القاسم في الطبقات فقالا:

قرأ في الفقه على شيخ المشايخ عامر بن محمد الصباحي الذماري وأجل تلامذته العلامة محمد بن الهادي بن أبي الرجال والسيد عز الدين دريب. وكان المترجم له سيداً عارفاً في الفقه أثنى عليه شيخه القاضي عامر الذماري في ذلك واشتهر على ألسنة الفقهاء تسميته بالباقر لتبقره في العلم. وكان له خصال حميدة وخرج للجهاد بالديار الصنعانية وعاد إلى البلاد الشامية وسكن ساقين وبها قبر وتوفي أحد شهري ربيع سنة ١٠٤٢ اثنتين وأربعين وألف رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

قلت: ومسكن آباء صاحب الترجمة الأصلي في جبل رازح وسكن بعضهم في هجرة قطابر من الناحية

الجماعية ذكر ذلك مؤلف شرح الدامغة الكبرى فقال: وفي الهجرة المذكورة يعني قطابر جماعة من آل الديلمي من أشراف جبل رازح وأهل حياف البيت خرج إلى الهجرة المذكورة السيدان العالمان الهادي بن علي وولده أحمد بن الهادي فاستوطناها وتزوّجا بها وفيها عقبهما انتهى.

(وولد صاحب الترجمة)

هو السيد الأديب العارف الهادي بن أحمد القطابري الديلمي. ذكره صاحب طبق الحلوى فقال: وفي ربيع الأول سنة تسعة وسبعين وألف مات السيد العارف الهادي بن أحمد القطابري الديلمي طلع مع عز الإسلام محمد بن الحسن إلى صنعاء ومات بها وكان شاعراً عارفاً بالفقه والنحو انتهى.

ورأيت بخط بعض العلماء نقلا عن المترجم له ما نصه:

رويت عن شيخي السيد الإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين وسيدنا شيخنا الرضي الحافظ أحمد بن سعد الدين وهما يرويان عن الإمام المؤيد عن المنصور وأروي عن غيرهما بالسماع والإجازة وأنباني القاضي أحمد بن يحيى حابس وصنوه الحسن بن يحيى حابس وكذلك السيد العلامة مفتي اليمن أحمد بن علي الشامي بطرقهم جميع مسموعاتهم ومؤلفاتهم ومستجازاتهم انتهى بلفظه.

٢٥ ـ السيد أحمد بن الهادي بن هارون

السيد السند العلامة الرئيس نخبة السادة آل الهادي ومفخر القادة الأعلام شمس الدين أحمد بن الهادي بن هارون الهادوي الحسني اليمني الصعدي.

كان صاحب الترجمة من نبلاء الزمان وفحول الرجال حسن الرأي ثابت الحصاة جزل الطباع مستجمعا لأدوات العلوم اتصل بالمولى سلطان الإسلام الحسن بن الإمام القاسم وانضوى تحت لوائه وعد من جملة أمرائه وأصحابه وهو في العشرين من عمره، وكان أحد الرؤساء الذين خاضوا معه تلك الحروب مع الأتراك وحصرهم بصنعاء وزبيد، ثم اتصل بعد ذلك بولده عز الإسلام محمد بن الحسن أيام ولايته على صعده وسيأتي لذلك مزيد بيان، وقد ترجمه القاضي ابن أبي الرجال صاحب مطلع البدور فقال:

السيد الجليل شمس الدين. كان سيداً سرياً ذكي القلب ثابت الحصاة له فراسة صادقة ينبغي أن يقال فيه أنه من المحدثين بهذه الأمة، وله في العربية مسكة حسنة وفي الفقه واشتغل بأمور الإسلام العامة فإنه كان من أهل الكمال والرياسة والسد للثغور ينوب في مقامات لا ينوب غيره فيها، ولو توفر على العلوم مع سعة ذكاه أنسى بالأوائل. وكان اشتغاله مع الجهاد وعلو الهمة بالتقوى وكان جزل الطباع مسدد الرأي ليس فيه ولا في آرائه رعونة، له تروي في الأمور لا يقدم عليها جزافاً ذكي القلب لا يعرف أحد كنه ما عنده من العلم لذكائه فإنه إذ توسط في المسألة مع أي عالم فهم المقاصد والمتفرعات على البحث فيمليها آخذاً لها من كلام معارضه انتهى كلامه. وذكره السيد العلامة المؤرخ الحسن بن صلاح الداعي في منظومة الأنوار البالغة فقال:

وما ابن هارون إلا سيد علم مجاهد شد أزر الدين بالأسل

ثم ذكر في شرحه لهذا البيت من المنظومة بعضاً من أحوال صاحب الترجمة ورفع نسبه وهو كما وقفت عليه أيضاً في المشجر فقال: هو السيد المجاهد الشهير والعلم العالم الكبير ذو السبقين أحمد بن الهادي بن هارون بن الحسن بن قاسم بن الهادي بن عبد الله بن سربنيه كذا في المشجر ولعله لقب له بن حسين بن هشام بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الإمام يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي الشهير بابن هارون.

ومولد صاحب الترجمة في نحو سنة ١٠١٥ خمس عشرة وألف تقريباً لأن عمره عند مقتل الأمير أحمد الأخرم التركي بصعده في سنة ١٠٢٣ كان لا يتجاوز الثامنة، ونشأ بالضيعة من أعمال مدينة صعده فترقى في درجات الكمال وطلب العلم وتأثل ولما وصل سلطان الإسلام الحسن بن الإمام القاسم والياً من قبل أخيه الإمام المؤيد بالله على بلاد صعده في سنة ١٠٣٢ كان صاحب الترجمة أحد من استقطبه سلطان الإسلام فإنه كان ذا خبرة باستقطاب أصحابه وأمراء جنده موسعاً عليهم معززاً لجانبهم استطاع أيام ولايته على صعده تقريب أعيان السادة بالمدينة الصعدية من البطنين الهادوي والمؤيدي ومن أعاظم الأكابر الذين انطووا تحت إمرته السيد أحمد بن هارون هذا والسيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي والسيد المهدي بن الهادي النوعة والسيد الرئيس الجليل محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود وكان هذا السيد الأخير والسيد الصلاحي وصاحب الترجمة ممن نهضوا معه لما توجه إلى حصار الأتراك بصنعاء في سنة ست وثلاثين وألف، وكان مقامه في تلك الحروب في حصن عطان جنوبي صنعاء، ثم نهض مع الحسنيين إلى تهامة ومحاصرة الأتراك أخيرا في زبيد، حتى أذن الله بالنصر وخروج الأتراك نهائيا عن قطر اليمن، ثم رجع المترجم إلى جانب ولده المولى ملك اليمن محمد بن الحسن وولي المترجم أمر صعده شهوراً بالنيابة عنه بأمر الإمام المؤيد، ووجهه الإمام أيضاً إلى غزوة نجران بالنيابة (وذلك صفر سنة ١٠٤٧) ولكنه لم يكن بد من توجه المولى محمد بن الحسن بنفسه الكريمة لأن النصاب من العسكر ما اجتمع عند تجهز صاحب الترجمة فاقتضى الأمر ذلك.

وكان الإمام المؤيد بالله يرعى مقام صاحب الترجمة ويعده لمهمّات كثيرة وقد تحصل من جهاده وغزواته على الجزل من المال وتأثل وأثرى. ومن عجائبه أنه لما عمر داره التي في الضيعة خرج المولى سلطان الإسلام الحسن بن القاسم لطيافتها فوجده قد جعل ساحة تحت الدار واسعة وهيّأ فيها مرابط الخيل ولم يكن له إذ ذاك شيء فتعجب المولى الحسن فقال له صاحب الترجمة: إن شاء الله ننتقم من الأتراك ونملأ هذه خيلاً فمن عجيب الاتفاق أنه دخل بعد قضية نجد مخيرب في سنة ١٠٣٨ بخيل عدد تلك الرباطات التي هيأها.

وفي نحو سنة ١٠٤٨ تقريبا أنيط بصاحب الترجمة ولاية بلاد خولان عن أمر الإمام المؤيد بالله فسكن حيدان وحف به علماء لم يدخل في العمل إلا بهم كالقاضي محمد بن الهادي بن أبي الرجال ولي القضاء والقاضي العلامة الرئيس المجتهد محمد بن علي بن جعفر ولي قبض بيوت الأموال وكانت الأعمال علوية نبوية تتزين بها التواريخ قال في مطلع البدور: وذكر الإمام المؤيد بالله أنه لما ألح على السيد صاحب الترجمة في هذا العمل واستدناه رأى ليله

وصوله إلى حضرته قائلاً يقول له:

بشراك يا ابن الطهر من هاشم بماجد دولته تحمد

بأحمد المنصور من هاشم بورك فيمن اسمه أحمد

وهما البيتان اللذان رآهما السيد الأمير سليمان بن محمد بن المطهر والد الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان. وفي سنة اثنتين وستين وألف ١٠٦٢ أو التي قبلها تولى عمالة بلاد ذمار عن أمر الإمام المتوكل على الله إسماعيل بعد عزله لصنوه عبد الله بن الإمام القاسم، ورفع وصايته فقام المترجم له بالأمر أتم قيام وأرضى مأمومه والإمام، ووجهه في سنة ١٠٦٥ صحبة ولده محمد بن المتوكل على الله وكان لا يزال في السابعة عشر بجنود وافرة إلى ناحية البيضاء وكان بينه وبين عز الإسلام محمد بن أمير المؤمنين المذكور أنس لا يقاس به غيره، وكان خريجه تهذب بكثير من طباعه وكان له بمنزلة الأب الذي يرأب واتفق رأيهما وتطابقت مقاصدهما وحمد أثرهما. وبالجملة فكان صاحب الترجمة عيناً في العلماء صدرا في الأعيان وكان له في تعبير الرؤيا حظ وافر ينبي عن تعدد مواهبه واكتمال محاسنه.

ومما ذكره القاضي شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال صاحب مطلع البدور أثناء ترجمته التي تصرفنا في عباراتها وجعلناها عدة لهذه الترجمة ما خلاصته:

ومن عجيب تأويله للرؤيا أنه عرض عليه الفقيه محمد بن الهادي بن أبي الرجال رؤيا فقال له مقاطعا لكلامه: هذا الرائي في بيته خشبة انكسرت فليفتقدها فعزم الفقيه فوجد الخشبة انكسرت تلك الليلة، فأخبره بذلك فقال السيد: وينبغي أن أصلح الخشبة أنا لأني الذي عبّرت الرؤيا.

ومن عجيب ما اتفق وهو إلى وصفه بالفراسة أقرب أنه كان القاضي العلامة الحسن بن أحمد الحيمي وزيراً لمولانا سيف الإسلام أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين عند دخوله بالجنود إلى بوصان وديار الشام، وكان يعول على آراء القاضي، فرأى القاضي في النوم أنه والمولى سيف الإسلام تحت ثوب واحد فأراد أن يعرض الرؤيا فقال للسيد أحمد بن الهادي: يا مولانا رجل رأى أنه وآخر. فقال المترجم له: اترك قص الرؤيا وأنا أقصها وأعبرها لك، قال القاضي: هات تمم الرؤيا، قال: نعم رأيت أنك أنت وسيدي أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين تحت ثوب واحد، قال القاضي: والله ما غادرت شيئاً وابتهر القاضي لذلك فقال له: لا تعجب هذه رؤيا قد رأيتها لنفسي أنا وسيدي زعيم المسلمين الحسن بن الإمام وأوّلها لي شيخي أحمد بن موسى سهيل وكان مكاني من الحسن مكانك من ابنه، وله من هذا القبيل شيء واسع وكان له كرامات ودعوة مستجابة إلى آخر كلام القاضي صاحب مطلع البدور.

وكانت وفاة صاحب الترجمة بمدينة صنعاء ظهر يوم الخميس عشرين شهر ربيع الأول سنة ١٠٧١ إحدى وسبعين وألف ودفن بخزيمة وعليه لوح كتب من شعر صاحب مطلع البدور قال فيها:

هذا الضريح الذي فوق الضراح سما وحاز من بعد أفلاك السماء سما

فيه الغمام ضياء المكرمات ومن للذكر والغزو شق الحندس البهما
ما زال بالحرب والمحراب مشتغلا إن قيل ماذا الذي تهواه قال هما
قد حالف الخط والخطي مدته ما زال ينشر فيها العلم والعلما
عليه أسنى سلام الله ما حمدت فيه الصفات وما مزن السحاب هما

وذكر بعد هذا النظم شيئاً يسيراً من النثر.

***

وفي بغية المريد: في قوله الضراح قال الواحدي في شرح قصيدة للمعري أنه بيت في السماء الدنيا وأنه يدخله كل يوم سبعين ألف ملك لا يعودون إليه وإلى هذا أشار القاضي انتهى. قلت: وقول القاضي ابن أبي الرجال في التعريف بصاحب الترجمة بأنه من المحدثين بهذه الأمة فالمحدثون بتشديد الدال وفتحها هم المصيبون فيما يظنون الملهمون الصواب وكان كذلك رحمه الله كما مر في أثناء ترجمته.

(الضيعة)

من الصوافي الواسعة وقفها الإمام الهادي إلى الحق المبين يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في تاريخ سنة ٢٩١ إحدى وتسعين ومائتين ومما جاء فيها قوله: ملعون ملعون بلعنة الله وملائكته ورسله والصالحون من عباده من بدل أو غير أو حاف أو جار أو ظلم أو خان في شيء جعله وشرطه في هذه الضيعة.

وهي وقفية مشهورة ذكر فيها ايضا: أنه تصدق بجميع هذه الضيعة بجميع حدودها وحقولها وسيولها وبيارها ومشاربها ومرافقها كلها وعامرها وغامرها وكل حق هو لها ومنها صدقة موقوفة محرمة حبساً لله أبدا مؤبدا لا يباع ولا يوهب ولا ينتقل ولا يرتهن ولا يتلف بوجه من وجوه التلف حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين على ولد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ذكرهم وأنثاهم وعلى أولادهم وعلى أولاد أولادهم ما تناسلوا ومن قدم إليهم من صالحي ولد أبي طالب أو من مهاجري المسلمين مهاجراً إلى الله وإلى رسوله وإلى أولى الأمر منهم مجاهداً محتسباً فهو داخل معهم في هذه الصدقة. وحدود تلك الضيعة كما جاء في نسخة الوقفية المذكورة ما لفظه:

حد هذه الضيعة الحداب بينها وبين نسَرين والرونة قبلةً، والحد الثاني المناشي بينها وبين ضياع اليرسميين يمانياً، والحد الثالث ساقية مخالد والقبور شرقياً، والحد الرابع أرض عبد الله بن العباس النجاري والتحميل إلى أرض آل عبد الملك إلى حد غول سحمان والحداب غربياً انتهى ما أردنا نقله.

قالوا الوصايا قلت ما بالها قالوا لنا قد كان منها الضيعة
قلنا صوافي الوقف مشهورة وما تلا التفريط إلا الضيعة

وهذه الضيعة من أعمال الصحن جنوبي صعده بنحو ميل بالقرب من جبل تلمص المشهور وتسمى ضيعة بني الهادي نسبة إليه وإلى أولاده وذريته من بعده وهي آبار عديدة: بير القبالين وبير شاعب وبير مرحوم وبير شريفة وبير ريدة وبير الجرادي وبير حي وبير الناصر وبير القحقح وبير برمة وبير الجبجب وبير المهاولة وبير البركة وغيرها مما لم يعرف.

٢٦ ـ السيد أحمد بن يحيى بن أبي القاسم الرغافي

السيد العالم الإمام صاحب المكارم شمس الدين أحمد بن يحيى بن أبي القاسم بن الحسن بن المهدي بن داود بن يحيى بن الحسين بن يحيى بن الأمير علي بن الحسين بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله المعتضد بالله بن المنتصر لدين الله محمد بن القاسم المختار بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحسني اليحيوي الرغافي.

هكذا نسبه نقلته عن ذروة المجد الأثيل للسيد المؤرخ أحمد بن يحيى العجري.

وصاحب الترجمة كان من العلماء الكبار المبرزين وأهل العبادة ورأيت في بصائر الوقف أنه تولى القضاء من جهة الإمام الهادي أحمد بن عز الدين وأنه كان يوصف بحاكم المسلمين. ترجم له في مطلع البدور فقال:

كان رحمه الله من شيوخ العلم إماماً في الفقه مدرساً له جماعة من الطلبة من أعيان الوقت يتعلقون به وكانوا عنده بهجرة رغافة، وكان كريماً طاهر القلب واسع الأخلاق كثير الشفقة على المسلمين قليل الشكوك في الطهارات الظاهرة وإنما يتحرز ويتورع في المأكل وحل الأموال وكان عفيفاً حسن الظن بكل أحد. وهو جد السيد العلامة النحرير الحسن بن أحمد الجلال من قبل أمه الشريفة الطاهرة آمنة بنت صاحب الترجمة الآتية ترجمتها قريباً.

وفي المستطاب للسيد عماد الدين يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم عند ترجمته له ما لفظه:

الشريف العلامة أحمد بن يحيى صاحب رغافة وهو من العلماء الفضلاء عاصر الإمام الحسن بن علي بن داود وبايعه وناصره وامتد عمره إلى زمن جدنا المنصور بالله القاسم بن محمد وقال بإمامته انتهى.

وفي النبذة المشيرة سيرة الإمام القاسم بن محمد التي كتبها السيد المطهر بن محمد الجرموزي في سياق تعداد عيون العلماء في أيامه عليه السلام ما لفظه: ومنهم السيد العلامة الزاهد أحمد بن يحيى الرغافي الهادوي أخبرني السيد أحمد بن محمد الجلال انه نقَل هذا السيد رحمه الله بعد عامين أو أكثر فوجده لم يتغير منه شيء وانه استصحب شيئاً من الطيب والرياحين ففاح من جسده رحمه الله رائحة المسك انتهى. وما ذكره الجرموزي في النبذة المشيرة ذكر مثله القاضي ابن أبي الرجال في المطلع بأنه اشتهر ظهور النور من قبره وقيلت في ذلك الأشعار الفايقة رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

وذكره في شرح الدامغة الكبرى فقال:

السيد الإمام شمس الدين والإسلام أحمد بن يحيى بن أبي القاسم. كان عالماً عاملاً، فاضلاً عابداً، تستنزل ببركته الرحمة، وتطلب بدعواته حصول النعمة، وكان ذا جاهٍ عظيم وحرمة وافرة، وتوفي بمحروس هجرة رغافة في

شهر القعدة سنة ١٠١٥ خمس عشرة بعد الألف، وقبر بالجانب الغربي من المسجد الأعلى وعليه قبة عظيمة وتابوت وهو مشهور مزور. **ويليه من جهة الشرق** قبر الشريفة الفاضلة العابدة آمنة بنت السيد أحمد بن يحيى بن أبي القاسم رحمهم الله تعالى في معمور عليها مستقل إليه مفتح من الصرح. وأما السيد يحيى بن أبي القاسم والد السيد أحمد بن يحيى فقبره في المقبرة التي جنب الجبل الشامي من هجرة رغافة، قال في لوح على قبره: استشهد رحمه الله تعالى باكر يوم الربوع لعله ثامن عشر من شهر رجب سنة ثلاث وستين وتسعمائة، ولم يذكر مَنْ قتله. وإلى جنبه قبر ولده السيد الإمام العالم بدر الدين محمد بن يحيى بن أبي القاسم، قال في لوحٍ على قبره: توفي رحمه الله تعالى في اليوم الثاني من شهر الحجة الحرام سنة سبعٍ وستين وتسعمائة.

(آمنة بنت أحمد بن يحيى بن أبي القاسم)

الشريفة العابدة الفاضلة آمنة بنت السيد الإمام أحمد بن يحيى بن أبي القاسم الرغافي استطرد ذكرها السيد النسابة المؤرخ محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني في ترجمة ولدها السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال في المجلد الثالث من كتاب نشر العرف فقال: كانت بمكانة من الفضل وقيام الليل والعبادة وكان الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم يراسلها إلى رغافة ويستمد دعواتها انتهى. ولعل وفاتها في عشر الثلاثين وألف ١٠٣٠ رحمها الله وإيانا والمؤمنين.

(رغافة)

والرغافي نسبة إلى رغافة بلدة مشهورة في ناحية بني جماعة جهة الشمال من صعده بمسافة ٤٠ كيلومتر وهي بضم الراء المهملة وفتح المعجمة وهي إحدى الهجر العلمية.

ومن مشاهير العلماء الذين استوطنوها السيد الأمير العالم الملقب أبو طالب الصغير الحسين بن بدر الدين المتوفى برغافة سنة ٦٦٣ صاحب كتابي شفاء الأوام والتقرير في الفقه وصنوه الإمام الحسن بن بدر الدين صاحب كتاب أنوار اليقين في فضائل أمير المؤمنين المتوفى برغافة أيضاً سنة ٦٧٠ عن أربع وسبعين سنة وهو القائل من قصيدة له مشهورة:

سقيا ورعياً لدارهم ورعى ... إذا سقى الله منزلاً ورعى
يا دار حور العين ما صنعت ... أحبابنا باللَّوى وما صنعا
أرقني بعد بينهم وهناً ... برق على عقر دارهم لمعا
مثل حواشي الرداء ما هجعت ... عيني له موهناً وما هجعا
وأين صنعاء من رغافة أو ... قطابر بعد ذا وذاك معا
أيعلم البرق حال ذي ولع ... صير ملتف قلبه قطعا

وصنوهما الأمير تاج الدين أحمد المتوفى بصعده سنة ٦٤٤ هو أول من هجر رغافة للسادة آل يحيى بن يحيى حسب القواعد المعروفة في التهجير بين القبائل قال: وكان الوصول إلى الهجرة المباركة والإستيطان بها يوم الأحد لخمس خلت من ذي الحجة سنة ٦١٤ بعد وفاة المنصور بالله عمرها الله بالصالحين انتهى. وسيأتي تراجم الأعلام

والأعيان والنبلاء ممن سكن هذه الهجرة بعد الألف في مواضعها من هذا الكتاب.

٢٧ ـ القاضي الكبير أحمد بن يحيى حابس

القاضي العلامة الشهير المحقق المدقق المصنف شمس الشريعة أحمد بن يحيى بن أحمد بن محمد حابس الدواري اليمني الصعدي. أخذ بصعده عن والده وانتقل إلى جهة قراض ويسنم من ناحية جماعة فقرأ بها قراءة نافعة ومن مشايخه القاضي شيخ الفقه سعيد بن صلاح الهبل ورحل إلى الإمام القاسم بن محمد بعد الدعوة وتلقى منه فوائد غريبة منها بحبور في ليلة أحد العيدين سنة ١٠٢٢ اثنتين وعشرين وألف ألقى عليه الإمام جوابه على ابن الصلاح الشافعي في الجزم بتعديل الصحابة وسمع عليه قطعة من شفاء الأوام وأجازه إجازة عامة في جميع مسموعاته ومستجازاته ومؤلفاته ورسائله.

وله مشايخ آخرين وإجازات واسعة مجموعة في كراس مفرد وانتهت إلى القاضي صاحب الترجمة رياسة علم الفقه والأصولين وعكف الكثير من الطلبة للأخذ عنه منهم السيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي والسيد الحسين بن محمد المفتي التهامي صاحب حاشية الأزهار والمولى ملك اليمن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم والقاضي عبد الحفيظ المهلا النيسائي وهو أجل من أخذ عنه والسيد علي بن الهادي المحرابي وله منه إجازة عامة وغيرهم ممن يكثر عده. وله جملة مؤلفات في فنون عدة منها شرح على الكافل في أصول الفقه سماه (الأنوار الهادية لذوي العقول إلى نيل معاني الكافل بنيل السؤل). ومنها في أصول الدين (الإيضاح شرح المصباح). ومنها في الفروع كتاب (المقصد الحسن والمسلك الواضح السنن) و(التكميل على شرح ابن مفتاح)، وله مجموع في فتاويه. ومنها كتاب (شفاء الأسقام في توضيح تكملة الأحكام) في علم الطريقة. وله (حاشية على المناهل الصافية) وغير ذلك. ومن مشايخه أيضاً السيد الكبير داود بن الهادي الآتية ترجمته في هذا المعجم سمع عليه تفسير الكشاف في سنة ١٠٣٤ بحضور المولى سلطان الإسلام الحسن بن الإمام القاسم أيام ولايته على صعده.

وقد ترجم لصاحب الترجمة السيد الإمام إبراهيم بن القاسم الشهاري في طبقات الزيدية والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

القاضي العلامة حافظ علوم الزيدية شمس الدين. عالم كبير وإمام شهير تولى القضاء بصعده المحروسة بعد موت أبيه يحيى بن أحمد وولي الخطابة بجامع الإمام الهادي والإمامة ونشر العلوم ويسَر للطالبين مظنونها والمعلوم وكان إماماً في العربية ولما بلغ الأمير رجب مكانته في العلم ذلك سيما التصريف توسل إليه بالوسائل ليجتمع به فازداد بعداً وكان يضرب به المثل في سعة الصدر والإحتمال والإغضاء وكان بآخرة لا يتوسع للمناظرة ولا في الإملاء بعد أن كان الغاية ولعله جنح إلى ذلك حفظاً للنفس من الوقوع في أخطار لا ينجو منها إلا من أخذ الله بيده الخ .

وترجم له السيد المطهر الجرموزي في تحفة الأسماع والأبصار فقال:

القاضي العلامة الفهامة شمس الدين وشحاك الملحدين. كان عالماً متبحراً في فنون العلم من أهل الإجتهاد

المطلق ولي القضاء في صعدة المحروسة بالله بقوة وعزم وشدة في الأمر بحيث أن غالب القضاء بين المتخاصمين وهو قائم متخذ محلا ليرى من بعد عنه كمن قرب وله كاتبان يملي عليهما وهما قاعدان وله في ذلك الورع الشحيح ما يطول ذكره انتهى. وترجمه الشوكاني في البدر الطالع فقال:

أحد مشاهير علماء الزيدية وله مشايخ كبراء منهم الإمام القاسم بن محمد وبرع في علوم عدة وصنف تصانيف مقبولة الخ. وذكره السيد العلامة المؤرخ الحسن بن صلاح الداعي في منظومة الدامغة الكبرى عند تعداد العلماء المعاصرين للإمام المتوكل على الله إسماعيل فقال:

وكم له من قضاة للعلى عمروا مثل ابن حابس شمس العلم والعمل

ثم ذكر في شرحه لهذا البيت فقال: هو القاضي العلامة المذاكر المدرس حاكم المسلمين شمس الدنيا والدين زينة المجالس والمدارس صاحب العلم الغزير والفضل الشهير القاضي بصعده وهو عمدة العلماء في العصر وله من التأليفات الناجعة والأسفار الجامعة الكثير الشافي والفرات الصافي الخ.

***

وفي أثناء ترجمته في مطلع البدور ومجمع البحور التي سبق ذكر أولها ما لفظه:

وكان في صغره سريع البادرة يلتهب ذكاء ولم يكن له في صغره همة تتعلق بغير العبادة والعلم وشرح تكملة الأحكام المعروف بالفائدة وعمره ثماني عشرة سنة وهو الذي ينقل عنه شيخ الشيوخ السيد محمد المفتي ويسميه الشارح المحقق وشرح الشافية في التصريف بشرح لم يتمه لأنه رأى المناهل للشيخ لطف الله الغياث فوافق مراده وفي شرحه فوائد رأيت منه شيئاً مفيداً وشرح الكافل شرحاً مفيداً مبسوطاً ولم يكن قبل سنة ١٠٤٨ ثماني وأربعين قد خرج إلى صنعاء فيسر الله لي إخراجه من صعده فاشتهر بصنعاء واطلع عليه سيدنا العلامة صارم الدين إبراهيم بن يحيى السحولي ودرس فيه ولده العلامة محمد بن إبراهيم وقال لي القاضي صارم الدين: يا ولدي كنت جاهلاً لمقام القاضي شمس الدين ولقد عرفت فضله فأنا في كل يوم أبتهل إلى الله أن يمتع المسلمين بوجوده وله التكميل كتاب جامع حافل في الفقه كمل شرح ابن مفتاح بحواصل وضوابط وتقريرات على مشيخته الأجلاء القاضي سعيد الهبل وغيره وكان يستحضر بعض الأيام جماعة من الفقهاء كالفقيه علي القصار والفقيه علي بن يحيى الخيواني فكان هذا الكتاب مغنياً عما سواه لمن أراد الوقوف على نهوض المفرعين وله كتاب شرح على الثلاثين المسئلة جمع فيه فأوعى وله كتاب المقصد الحسن والمسلك الواضح السنن وهو سلوة الخاطر لا يستغني عنه فقيه سيما من علقت به أمراس القضاء وولاية الأحكام جمع فيه غرائب وابتدأه بطبقات وختمه بسيرة لآل محمد عليهم السلام الدعاة وأدخل فيه شطراً من المساحة وما يحتاج إليه المتدين من معرفة الطالع والغارب وقد علق به الفضلاء وصار متناقلاً وكان تأليفه ونحن بصعده وربما أمرني بكتابة شيء يمليه علي وأنا إذ ذاك صغير السن وله شعر قليل وقع في يدي منه أبياته في كتابه الشفاء شرح التكملة انتهى.

قلت: وقد وقفت له على رسالة سماها الرسالة الناصحة بالبراهين الواضحة والأقاويل الصادقة والأمور النيرة

الباهرة إلى سادتنا وأئمتنا وقادتنا وكبرائنا أهل البيت الكرام وشيعتهم الأعلام. وكان سبب تحريره لهذه الرسالة ما رأى من تجاذب أطراف الدعوة إلى الإمامة بعد وفاة الإمام المؤيد بالله وكان فراغه منها شهر رمضان سنة ١٠٥٤ أربع وخمسين وألف ومما جاء من عباراتها قوله:

أما بعد أيها العصابة الزيدية والفئة الهادية المهدية خصوصاً سادات العترة الزكية وقادات شيعتهم ذوي الرتب العلية فاذكروا ما خولكم الله سبحانه من نعمه السابغة وأياديه البالغة التي معظمها اجتماع كلمتكم ولم شعثكم في زمن من سبق من أئمتكم رضوان الله وسلامه عليكم حتى منحكم الله تعالى بإدالته لكم على أعدائكم ونصرته لكم ولا ليائكم وإزالته عنكم وباء التباين والاختلاف وإماطته عنكم سنن التباغض والافتراق الخ الكلام.

وعلى الجملة فصاحب الترجمة من أكابر علماء الزيدية ومن مفاخر البلاد الصعدية وقد أسند مؤلفاته أهل المعاجم والإجازات مثل السيد عبد الكريم بن عبد الله أبو طالب في العقد النضيد ذكر فيه رواية القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال لكتاب المقصد الحسن بواسطة عن المؤلف وبدون واسطة. وفي كتاب التكميل يرويه عن مشايخه عن القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال[1] عن السيد صلاح بن أحمد بن المهدي عن المؤلف. وفي شرح الثلاثين المسئلة وشرح الكافل يرويه عن مشايخه عن صاحب الطبقات عن القاضي أحمد بن ناصر بن عبد الحق المخلافي عن أبيه عن جده عن صاحب الترجمة.

وكانت وفاة القاضي رضوان الله عليه بصعده المحروسة قبيل الفجر يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ١٠٦١ إحدى وستين وألف وقبره بالقرضين في مشهد آل حابس.

(ووالد صاحب الترجمة)

هو القاضي العلامة الحافظ يحيى بن أحمد بن محمد حابس. وكان عالماً فاضلاً ترجمه السيد المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم في المستطاب فقال:

قال السيد أحمد بن محمد الشرفي كان هذا القاضي من بقية العلماء الفضلاء أهل الورع الشحيح والأيمان الصحيح وكان متولياً للقضاء بصعده المحروسة بأمر الإمام المنصور بالله وابنه المؤيد بالله في بعض مدته وكان فيصلاً في الحكومات لا يرى اثنان يترددان عليه لفطنته وعرفانه بمدارك القضاء وكثرة بروزه للناس ويروى أن هذا القاضي برع في الفقه وحقق فيه كان متغيباً نصف التذكرة والنصف الآخر في حكم الغيب ودرس فيها نحواً من ثلاثين شرفاً فكانت لا تعنيه وكان مع هذا ورعاً زاهداً متعففاً وأوصى إلى ولديه القاضيين العلمين شمس الدين هذا وشرف الدين الحسن بن أحمد الآتية ترجمته بأن لا يقبضا من بيوت الأموال شيئاً ويكتفيا بما خلفه لهما من الأموال والأطيان وإنهما إن فعلا بورك لهما وتوفي سادس عشر شوال سنة ١٠٤٠ أربعين وألف رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين آمين.

---

(١) لعل الواسطة بين القاضي وبين السيد الصلاحي هو الإمام إبراهيم بن محمد المؤيدي.

٢٨ ـ الفقيه أحمد بن يحيى بن سالم الذويد

الفقيه العارف المحقق المحدث الفاضل شمس الدين أحمد بن يحيى بن سالم بن علي بن محمد بن موسى الذويد الصعدي اليمني. من أكابر العلماء في وقته أخذ عن السيد العلامة محمد بن عزالدين المفتي المتوفى ٩٧٤ أربع وسبعين وتسعمائة وعن السيد الحافظ أحمد بن عبد الله الوزير وعن القاضي حاكم المسلمين عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران الصعدي ومما أسمع عليه في علم الحديث كتاب ابن الصلاح الشافعي وفراغه من ذلك سنة خمس وألف وله منه إجازة عامة فيما له ولأبيه عن مشايخهم الأعلام.

ومن مشايخه ولده محمد بن عبد العزيز بهران وأخذ بمدينة صنعاء عن العلامة محمد بن محمد المصري اللقب والمولد المغربي الأصل في سنة ١٠١٨ ثمان عشرة وألف في كتب الحديث وأجازه إجازة حافلة جاء فيها:

وبعد فقد قرأ علي الفقيه المجد الكامل الموفق الصالح الساعي في تحصيل المتجر الأخروي الرابح أحمد بن سالم الذويد قطعة صالحة من جامع الأصول تصنيف الشيخ العلامة المحدث الكبير أبي السعادات بن الأثير الجزري وقطعة صالحة من صحيح البخاري وقطعة صالحة من تجريد الباوري وقطعة من المجتنى وقد أجزت له رواية ذلك عني وبقية الكتب المذكورة وجميع ما يجوز لي روايته بشرطه عند أهله الخ كلامه في الإجازة المذكورة وهي ضمن إجازات القاضي الحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري.

وأخذ عنه جملة من أعيان العلماء منهم السيد محمد بن عز الدين المفتي الحفيد المتوفى بصنعاء سنة ١٠٥٠ خمسين وألف والقاضي علي بن الحسين المسوري قرأ عليه بهجر ابن المكردم من بلاد الأهنوم واستجاز منه الإمام القاسم بن محمد فأجازه أن يروي عنه جميع ماله من الكتب سماعاً أو إجازة. وقد ترجمه صاحب الطبقات وصاحب بغية الأماني والأمل وترجمه أيضاً القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

الفقيه المحدث إمام المعقولات. كان عالماً غريب الصفات قليل النظير في وقته جمع أنواعاً من العلم أما الشرعيات فإمامها على الإطلاق، وله شرح على تلخيص المفتاح تأليف القزويني بسط فيه وفي كل علم له قدم راسخة ولقد بلغ في الطب كما قيل مبالغ ابن زهر وعلم الرمل ولواحقه والزيجات وحل السحر وقرأ التوراة، وكان آية من آيات الله مع مكارم أخلاق يفصح النسيم العبور لطفاً ويخجل شميم العبير عرفاً وكان من أهل الثروة والمالية الواسعة ولكنه كلف بالكتب وتحصيلها وكان بعض أخوته كلفا بالتجارة ووالدهم إذ ذاك حي فاجتمع للفقيه شمس الدين خزانة ملوكية من غرائب الكتب ثم تفرقت بعد موته وكان له تلامذة ولما مات فر منهم هائماً على وجهه من فر وكان من تلامذته الفقيه مهدي الشعبي ورثاه بأبيات أيضاً ومن المراثي المقولة فيه من تلامذته:

سل المجد هل أضحى مقيماً بصعده وهل ضربت بالسوح منها مضاربه

ومن عجيب أمره أنه كان يعرف الأكسير طلع إلى براش[1] بقرب جبل العبلى ومعه القاضي العلامة حاكم

---

(1) جبل براش: في الجنوب من مدينة صعدة بنحو ميلين، بالقرب من منطقة صحوة ودماج، وكان قديما يسمى وتران فلما تحصن فيه الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبدالله بن حمزة سمي براش. والعبلاء جبل مطلع على رحبان من جهة الشرق.

المسلمين يحيى بن أحمد بن حابس فقال له: في هذا المحل قد ذراع مقدرة الأكسير الذي يخلص به الأمر فحاوله أن يعرفه فلم يفعل وتجاوزا إلى محل آخر وعرفه بذلك ووفاته في يوم الاثنين خامس عشر من جمادى الأولى سنة ١٠٢٠ عشرين بعد الألف ودفن في قبة قبلي القرضين من جهة الغرب رحمه الله تعالى انتهى كلام القاضي.

وترجمه السيد يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم صاحب المستطاب فقال:

كان صاحب الترجمة متبحراً في جميع الفنون والعلوم في الحديث والأصول والعربية وغير ذلك محققاً في علم النحو على غيره وله مؤلفات منها شرح القاضي محمد بن يحيى بهران الموسوم بقوت الأرواح في المعاني والبيان مجلد وشرح على تلخيص القزويني مجلد وتوفي سنة ١٠٣٧ سبع وثلاثين وألف.

هكذا في المستطاب أرخ وفاته والصواب ما تقدم عن رواية القاضي صاحب مطلع البدور ورواية أحد أحفاده الناقل عن شاهد قبره هذه الأبيات وهي:

هذا ضريح الذي أضحت مفاخره فوق الثريا وفوق الأنجم الزهر
إن شئت تسمع مني من فضائله نظماً يروق على الياقوت والدرر
هو المحدث حقاً لا افتراء به هو المفسر للآيات والسور
شيخ الحديث بلا زيف ولا كذب كذا المعاني وعلم النحو والفكر
مجود ماهر في الطب عن كثب وفي الدقائق والأفلاك والقمر
وفي الأصولين لا يعجزه مشكلة مع اللطيف وعلم الرمل والسير
طوبى له من فقيه عالم فطن وليهنه الفوز بالمأثور في الأثر

وعلى الجملة فهو من محاسن العلماء وأماثل الفضلاء ومع جلالة قدر صاحب الترجمة في العلم وشهرته لم يترجم له الشوكاني في البدر الطالع وهو على شرطه رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

و(**بيت الذويد**) بتشديد وفتح الذال المعجمة ثم الواو مكسورة ثم ياء مثناة من أسفل ثم دال مهملة من بيوت صعده وإليهم نسبة مسجد الذويد في حارة الجربة من حارات صعدة القديمة عمره في القرن الثامن الهجري الشيخ العلامة بدر الدين محمد بن أحمد بن حسين بن محمد بن عمرو بن محمد بن عمرو الذويد.

٢٩ ـ الفقيه أحمد بن يحيى الحداد

الفقيه الفاضل المحب أحمد بن يحيى الحداد الصعدي الملقب الشره ضبط بتشديد الشين المعجمة وفتحها ثم الراء المكسورة ثم الهاء اليمني الصعدي. لم أقف على أحواله إلا أني رأيت ذكره في هذا النقل عن اللآلي المضيئة للمولى العلامة الكبير أحمد بن محمد الشرفي ولفظه:

وروى الفقيه الأمجد أحمد بن يحيى الصعدي الحداد الملقب بالشره الساكن في الهجر وكان رجلاً ثقة من أعوان الإمام عليه السلام قال: لما اشتد الأمر على الإمام القاسم بن محمد عليه السلام ودخلت الأتراك مدينة السودة

(قلت: وذلك أوائل سنة ١٠٠٨ ثمان وألف) وكان الفقيه أحمد هذا قد جرى منه إلى الأتراك ما يسوؤهم وهو أنه أخرب موضع محطتهم التي كانت في قزع الهَجَر والتي في الحدبة، وحمل أخشابها إلى شهارة بأمر الإمام عليه السلام، وكان كثيراً ما سعى في معاونة الإمام عليه السلام وإدخال المرافق عليه وعلى أصحابه وذلك برأي من الإمام عليه السلام، فقال الفقيه المذكور: وقع في نفسي وساوس مما كنت أسمع من الإرجافات من كثير من الناس، وخشيت أن الأتراك يملكون البلاد فلا يبقون باقية مع خوف الهلاك على النفس. فقلت للإمام أنه يعذرني ويفسح لي، فقال عليه السلام: هذا المجلس لا يتسع لجوابك ولكن متى قمنا إلى غيره فاتبعني واسمع كلامك على خلو من الناس قال: فلما انتقل الإمام من مجلسه ذلك اتبعته إلى مجلس آخر وأعدت عليه الكلام وليس عنده أحد فقال عليه السلام: الخيار إليك إن كنت تريد أن تكون من جملتنا في الشدة والرخاء والعسر واليسر، وتوكل على الله سبحانه، وترضى بما جاء من عافية أو بلاء فنحن على هذا الحال لا نبغي إلا رضا الله سبحانه ولا ندري ما يقع علينا، ولكنا نرضى بكل ما وقع ما لم يكن معصية منا، فإن كنت منا على ذلك أخبرتك بأمر لا علم لك به، وإن لم تقدر على ذلك وأنت تحب أن نفسح لك فسحنا لك ولم أخبرك بشيء فالخيار إليك. قال قلت: يا مولانا أمهلني ساعة؟ قال: لك ذلك. فمكثت ساعة وقلت له: يا مولانا قد رضيت أن أكون من جملتكم في الشدة والرخاء وأتوكل على الله فيما جاء وأنا راض بذلك. قال: فأخرج ورقة من قفص مكتوب فيها بخط قديم كوفي وقال لي هذا خط علي بن أبي طالب عليه السلام أقراه هل تحسن قراءة الخط الكوفي؟ قلت: لا أحسن. قال: هذا الخط مضمونه أن قائماً من أهل البيت عليهم السلام يملك حصن شهارة في مثل هذا الزمان المتأخر وأنه يزيل دولة الأتراك ويملك البلاد، ويحكم فيها إلى عقبة مصر فإن بقيت أنا وأنت فسترى ذلك إن شاء الله تعالى، وأن أمر خلاف ذلك فهو الثالث من ولدي فإني قد أعطيت هذه المرتبة التي أنا فيها يعني الإمامة إلى الثالث من ولدي هذا لفظه أو معناه انتهى بلفظه.

***

قلت: ومثله جاء في غاية الأماني في أخبار القطر اليماني إلا أنه ذكر ذلك في حوادث سنة ١٠٢٢ فقال:

إن الإمام القاسم بن محمد لما توجه في تلك السنة إلى صعده وأدركه عيد الأضحى وهو في وادي مور فعيّد هناك وحصل مع الناس في تلك المدة ما لا مزيد عليه من الغم والكدر والخوف والحذر وساءت الظنون وأيس أكثر من يعتزي إلى الإمام من وصوله إلى ما تقر به العيون حتى طلب منه بعض خواصه وملازميه الأذن لهم بمفارقته منهم الفقيه أحمد بن يحيى الحداد الملقب الشره فقال له الإمام القاسم ما معناه: الخيار إليك إما أن تكون من جملتنا في الشدة والرخاء وترضى بما جاء من عاقبة وبلاء، وأخبرك بأمر لا علم لك به، وإما إن تفارقنا ولا أجبرك بشيء. فقال صاحب الترجمة: أمهلني ساعة ثم بعد ذلك قال: قد رضيت قد رضيت أن أكون من جملتكم، فأخرج الإمام ورقة بخط أمير المؤمنين علي عليه السلام فيها ذكر قيام إمام في ذلك الوقت انتهى.

٣٠ـ الفقيه إسماعيل بن أحمد سهيل

الفقيه العلامة إسماعيل بن أحمد سهيل الصعدي اليمني.

ترجم له العلامة عبد الرحمن بن حسين سهيل صاحب بغية الأماني والأمل فقال: أخذ عن علماء عصره وكان عالماً عاملاً عارفاً كاملاً وله يد طولى في العلوم وأظن أنه شارح القصيدة للإشبيلي في مصطلح علم الحديث ووفاته في القرن الحادي عشر انتهى.

٣١ـ السيد الحسن بن أحمد الجلال

السيد العالم الناقد البارع المجتهد النظار الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح بن أحمد بن هادي ابن الجلال بن صلاح بن محمد بن الحسن بن أحمد الملقب المهدي بن علي بن المحسن بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن الإمام المنتصر بالله محمد بن القاسم المختار بن الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحسني اليحيوي الصعدي المولد الصنعاني الوفاة.

مولده بهجرة رغافة وقرأ بها القرآن ولما أيفع انتقل إلى مدينة صعده فأخذ على علمائها كالقاضي الحسن بن يحيى حابس وغيره ثم انتقل إلى شهارة ثم إلى صنعاء وأخذ عن السيد محمد بن عز الدين المفتي في فنون العلم وأخذ عن المولى سلطان العلوم الحسين بن الإمام القاسم بن محمد وعن القاضي عبد الرحمن بن محمد الحيمي وغيرهم وتبحر في جميع العلوم وفاق الأقران فكان آية عصره في كل فن من الفنون العقلية والنقلية ومن أجل من أخذ عنه ولده محمد بن الحسن والقاضي الحسين بن عبد الحفيظ المهلا الشرفي وإخوته وغيرهم. وكان قد سكن صنعاء مدة ثم سكن المناظر من بني قشيب في جراف صنعاء وبه مضى عمره وألف أكثر كتبه..

وهي تصانيف عدة في شتى العلوم منها (ضوء النهار المشرق على صفحات الأزهار) و(حاشية على شرح القلائد في العقائد) للنجري وشرع في تفسير القرآن الكريم ولم يتم له وكمل حاشية الكشاف للسعد سماها (منح الألطاف تتمة حاشية الكشاف) وله عقيدة سماها (العصمة من الضلال) وله مؤلف في الأصول سماه (عصام المحصلين عن مزالق المؤصلين) مختصر وشرحه وهو مفيد وله شرح الفصول اللؤلؤية في أصول الفقه سماه (نظام الفصول)، وله شرح تهذيب المنطق سماه (التحلية والتذهيب بجواهر التهذيب) فرغ منه سنة خمس وأربعين، وله شرح على كافية ابن الحاجب وهو شرح في غاية الحسن والتحقيق سماه (المواهب شرح كافية ابن الحاجب) وله شرح على مختصر المنتهى سماه (بلوغ النهى إلى حقائق المنتهى)، وله (الروض الناضر في آداب المناظر) وله غير ذلك من المسائل النظرية والجوابات الشافية.

وله في فن الأدب اليد البيضاء فكم له من عقيلة ليس لها كفو سواه فمن ذلك القصيدة الفريدة وقد شرحها شرحاً في غاية النفاسة وأبان فيها عن منهجه ومعتقده سماها فيض الشعاع:

العلم علم محمد وصحابه يا هائماً بقياسه وكتابه

ولآله منه الخلاصة كلها إرثاً تنوسخ عن هدى أصلابه

يشير إلى حديث: أين يتاه بكم عن علم تنوسخ عن أصلاب أصحاب السفينة حتى صار في عترة نبيكم، إلى أن يقول في آخرها مخاطباً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

وقل ابنك الحسن الجلال مجانب من قد غلا في الدين من تلعابه
لا عاجزاً عن مثل أقوال الورى أو هائباً من علمهم لصعابه
فالمشكلات شواهد لي أنني أشرقت كل مدقق بلعابه
لولا محبة قدوتي بمحمد زاحمت رسطاليس في أبوابه
لكنني أولى الورى بمقامه فأنا ابنه وأسير في أعقابه
يا سيد الرسل الكرام دعاء من أودى به الهجران من أحبابه
وقد انفردت عن الرجال ومؤنسي قرب إليك أعود حلس جنابه

وله من ذلك قصيدة في نحو ٧٣ بيتاً ضمنها أنواع البديع وهي الموسومة بالسحر الحلال بديعية الحسن الجلال وشرحها بشرح لطيف جعلها في مديح المقام النبوي. ومن شعره أيضا قوله:

قالوا بلغت من العلوم مبالغاً قصرت خطى العلماء عن إدراكها
لو كان فيك سلامة من حدة عين الكمال رمتك من أشراكها
فأجبتهم موسى أحدُّ وقد سما فوق السماء وعد من أملاكها
وبحدة النار استفاض النور من كل الدنى وعلت على أفلاكها
أما وقار المرء فهو سكونه في الحادثات تأنياً بفكاكها
ما إن تنافيه ذلاقة منطق يأتي بدر القول من أسلاكها
والعي يحسبه وقاراً جاهل سبل العلى ما كان من سلاكها

وكان السيد الحسن الجلال فيما يروي عنه مترجموه كثير الاعتراض فيما لا يكاد يخلو عنه البشر من الأمور التي عليها كافة الناس روي أنه اعترض الإمام المتوكل على الله إسماعيل في مسألة الحجاب وكان المتوكل على الله يعظمه غاية التعظيم فاعترضه في تلك المسألة وأنه لا يكاد الضعيف من الناس يقضي له أرب، فقال الإمام: سنجيب عليكم في ذلك، وأمر حاجبه بفتح الأبواب جميعها فازدحم الناس حتى ضاق المجلس بمن فيه حتى تعذر القعود فالتجأ كل من في المجلس إلى القيام وصار السيد المذكور لاصقاً ببعض جدران المكان وقد كاد أن يداس بالأقدام فقال له الإمام: هذا الجواب، وألف رسالة تتضمن الاعتراض على الإمام المتوكل رضوان الله عليه في حربه البغاة من بلاد يافع والمشرق سماه براءة الذمة في نصيحة الأئمة.

***

قال السيد المؤرخ إبراهيم بن عبد الله الحوثي في نفحات العنبر ما لفظه:

وأما ورعه وزهده وعبادته فشيء لا يوصف فإنه كان يقوم الليل للعبادة ولا يأكل من بيت المال شيئاً بل كان ينفقه في وجوه أخرى، وكان يتخذ خيلاً للنتاج يبيع أولادها على قاعدة أهل بلده رغافة، ويستغني بثمنها فيما يقوم بمؤنتة، وأخبرني شيخنا العلامة البرهان عن والده الوجيه قال: أخبرني السيد الولي العلامة علي بن إسماعيل حطبه قال: حدثني عمي الولي إبراهيم حطبة قال: سرت إلى الجراف لزيارة السيد الحسن بن أحمد الجلال في عيد فرأيته معتماً يسيرا من القطن خشنة من حياكة صنعاء يسمونها رِيْزة قال فقلت له: إن هذه ليست مما يليق بك فقال: وأعجبك إن هذه كان جدي يتجمل بها للعيد ثم تبعه بعد ذلك والدي وهي باقية معي أتجمل بها للعيد كأنه يبغض إليه الدنيا ويحثه على الزهد فيها. وكان المتوكل يعظمه غاية التعظيم ويرى له الحق الأكيد ويتوقى اعتراضات صاحب الترجمة عليه، وكان العلامة الجلال كثير المناقشة له والرد للقواعد التي بني عليها الفقهاء أحكام المعاملات والسياسات، وألف كتاب براءة الذمة في نصيحة الأئمة اعترض به على المتوكل في حرب البغاة أهل المشرق، وله في النظم والنثر اليد الطولى والقدح المعلى، فمن شعره قوله:

رضاء الناس من طلب المحال ... وصبر المرء خير في المآل
وشكواك الزمان إلى لئيم ... كرمي بالسهام بلا نصال
ومن جعل العفاف له سبيلاً ... ينل فيه الغنى من غير مال
ومن سخط القضاء يعش كئيباً ... قليل الوفر ممقوت الفعال
رضيت عن القضاء فزال همي ... على سعة لدي وضيق حالي
وحسبي أن بلوت الناس طراً ... ومارست الخطوب فلا أبالي
أرى الدنيا تبوء بشسع نعلي ... ولهي أقل من شسع النعال
وأي فضيلة عندي لدار ... أقيم بها على ساق ارتحال
تزيا للرجال بثوب زور ... ولمع في الغرور كلمع آل
وتؤذيهم صروف الدهر فيها ... بطول العمر أو قرب الزوال
عجبت لموقن بالموت يسعى ... إلى الدنيا بعزم واحتفال
تمر به الحوادث كل يوم ... فيمسي لا تمر له ببال
ويغدو لاهياً مرحاً حريصاً ... يسوم فؤاده طلب المحال
يعلل بالمنى قلباً طروباً ... وينعم في وجود كالخيال
فلا ترج السلو بدار غم ... فما حي على الدنيا بسال

ولا يغررك حظ نلت منها وإن نلت النهاية في الكمال
ولا تشغل نفيس العمر إلا بكسبك للمعارف والمعالي
فشر القوم ذو حرف جهول وخيرهم فتى بالعلم حالي
وزين بالبشاشة منك خلقاً ولا تحفل بكبر واختيال
وإن سنح السكوت فكن صموتاً ولا تجنح إلى قيل وقال
فلم يندم على صمت صموت وكم جر الكلام إلى وبال
فإن نلت السلامة في اعتزال فحي هلا ببعد واعتزال
وإياك الوقوف بدار ذل وأرض الله واسعة المجال
وكسبك للحلال فلا تدعه ولا تكسب معاشاً من سؤال

ومن مقطوعاته الفائقة:

وزائر في المنام وافى يخطر في تيهه وعجبه
نبهني للشقاء وولى ما هكذا الخاطر المنبه
شبهته البدر إذ بدا لي فلم نرى الخير للمشبه
فبات دمعي على خدودي عقداً كعقد ابن عبد ربه

وله يهني المولى الحسن بن الإمام القاسم بن محمد بعافية من مرض:

لما سلمت فكل الناس قد سلموا فلا أصابك تكدير ولا سقم
قد كان هاج الورى حماك وارتعدوا كأنهم دوحة في ظلها ألم
بقيت للدين والدنيا تحوطهما وأنت يحرسك الإسعاد والنعم

وله وفيه التضمين والاكتفاء والتوريه:

رفعت عمامتي فرأت برأسي شيباً اشتعلا
فقامت بعد تنكرني فقلت لها: أنا ابن جلا

وله:

وشادن يغرق أهل الهوى في حسنه فابك على وارده
مذ لاح في الخد أخو أمه عاينت تصحيف أخي والده

وله رحمه الله:

خل الوساوس والهموم بمعزل وكل الأمور إلى المليك المفضل
واحفظ فؤادك فهو حافظ سره عن أن تمر به ظنون مغفل
هذا مرادك مقبلاً من عنده فتلقه بطلاقة وتجمل
لا تأتين به وظنك سيئ فيكون فيه فضيحة لا تنجلي
أو ما كفى لك عبرة ما قد مضى من كشفه لك كل كرب معضل
في الحال والماضي عرفت جميله وهو الكفيل بذاك في المستقبل
فدع الهموم يكون هماً واحدا هم اللقاء له ليكما تنسلي

ويروى أن الإمام المهدي أحمد بن الحسن الملقب سيل الليل زاره إلى بيته في الجراف فلم يتمكن من الصعود إلى أعلاه إلا بمشقة لضيق الدرج ولأنه كان يتمنطق بالسبيكي فلما أخذ مكانه من المجلس وأخذوا في تجاذب أطراف الأحاديث بينهم كتب الإمام المهدي لصاحب الترجمة حوالة بمبلغ من المال يستعين به في بناء دار متسعة وسلمها له في المجلس فلما اطلع عليها كتب على ظهر ورقة الحوالة تلك قول الشاعر:

يقولون بيتك ذا ضيق فهل نسجته لك العنكبوت
فقلت المقام بهذا قليل وهذا كثير على من يموت

وعلى الجملة فصاحب الترجمة ممن اشتغل به أهل عصره وعمد إلى ذكره والتنويه بمقامه من جاء بعدهم من المتأخرين وإنما أنا ناقل عنهم تلك العبارات التي تقدمت وليس لي إلا الرصف والترتيب، وقد ذكر بعض العلماء عنه ترجيح مذهب الظاهرية وأشياء أخرى عدوها من إختياراته والله أعلم.

توفي رحمه الله تعالى بالجراف في ليلة الأحد ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٠٨٤ أربع وثمانين وألف عن سبعين سنة وقيل عن ثلاث وسبعين وقبره في أكمة معروفة غربي أسفل الجراف قريبة من الروضة شمالي صنعاء.

وصنوه الهادي بن أحمد ترجم له في نفحات العنبر فقال:

وأما أخوه العلامة الهادي بن أحمد الجلال فكان علامة محققاً، قال صاحب العبير يريد السيد عبدالله بن علي الوزير: أنه صنف شرحاً للأسماء الحسنى يدل على علم غزير ومادة قوية انتهى. وقال في طبق الحلوى أنه سكن أولا بمدينة ذمار وكان يختلف منها إلى اليمن لمعلومه من عز الإسلام محمد بن الحسن بن المنصور ثم نقل إليها أولاده واستوطنه وفي أيام سكونه باليمن سمع في الحديث النبوي، وآثاره تدل على فطنة وتطلع وشرح الأسماء الحسنى بشرح وافق في بعض مسائله الأشعرية وخالفهم في مسألة الكسب وألحقهم على أحد تقديرين بالجهمية، وأثبت الروية وجعلها كمذهب أوائل الحنابلة حقيقة وجود حصولهما في الدنيا وقطع في عقيدته التي صنفها بخروج العصاة الأشقياء. قال: وكانت وفاته في شهر جمادي الأولى من سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف وهي السنة التي

توفي فيها المولى محمد بن الحسن بن المنصور وكان وفاة السيد هادي الجلال بالجراف لدى أخيه الحسن رحمه الله تعالى انتهى كلامه.

٣٢ـ السيد الحسن بن داود القطابري

السيد الفاضل الشهيد الحسن بن داود بن الحسن بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم بن محمد بن الهادي بن الأمير المؤيد بالله بن أحمد بن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى الحسني اليحيوي القطابري لقبا ونسبا. وهو من قرابة السيد العلامة أحمد بن محمد بن صلاح القطابري المتوفى سنة ١٠٦٩ المتقدم ترجمته قريبا بحرف الألف يجتمع هو وإياه في النسب في يحيى بن محمد الجد الثالث في النسب المتقدم.

وصاحب الترجمة كان سيدا فاضلا موصوفا بالعلم، والظاهر أن له قراءة على السيد العلامة داود بن الهادي كما سيأتي قريبا. وكان أحد المجاهدين مع المولى سلطان الإسلام الحسن بن الإمام القاسم بن محمد المتقدمين معه من صعدة إلى صنعاء لحصار الأتراك بها، وكان استشهاده في تلك الحروب بالقرب من مدينة صنعاء شهر رمضان الكريم سنة ١٠٣٦ ست وثلاثين وألف، واحتز رأسه الشريف، وقد ذكر حادثة استشهاده في اللآلي المضيئة وفي الجوهرة المنيرة وغيرهما وباستشهاده انقطع نسله رحمه الله رحمة الأبرار.

٣٣ـ الإمام الناصر الحسن بن علي بن داود

الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن الأمير المؤيد بن أحمد بن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن القاسم المختار بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الهادوي المؤيدي الصعدي اليمني.

مولده في سنة ٩٤٥ خمس وأربعين وتسعمائة تقريباً ونشأ بصعده على ما نشأ عليه آباؤه الكرام فقرأ على علمائها ثم رحل إلى صنعاء فأخذ عن السيد المطهر بن محمد بن تاج الدين في علم العربية وكان يتعجب من فطنته وجودة نظره ثم رحل إلى سودة شظب فأخذ بها عن السيد الإمام جمال الدين علي بن الناصر الحسيني الواصل من الجيل والديلم في علم المنطق منها الرسالة الشمسية ثم ارتحل إلى مدينة السودة فقرأ في كتب الفروع والحديث على جماعة من علمائها منهم الفقيه العلامة صلاح بن يحيى قيس ثم انتقل إلى جهات الشرف فأخذ في هجرة الوعلية عن السيد الهادي بن أحمد الوشلي في الأصولين وفي العضد وفي الكشاف ثم رجع إلى صعده وتصدر فيها للتدريس في العلوم وكان يقري في مسجد النزاري إحدى مساجد صعده القديمة، وبلغت محفوظاته من الكتب اثني عشر مختصراً في جميع العلوم.

وممن أخذ عنه ولازمه الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد وغيره من أكابر علماء عصره منهم السيد إبراهيم بن المهدي جحاف والقاضي عامر بن محمد الصباحي والسيد الطيب بن أحمد والقاضي أحمد بن صلاح الدواري وغيرهم. وله من المصنفات: كتاب (أسنى العقائد في أشرف المطالب وأزلف المقاصد) وله (شرح على الموشح)

للخبيصي. وله في (فتاويه) كتاب جمعه جامع سيرته الفقيه العلامة الفاضل أحمد بن شايع اللوزي الدعامي وله رسالة دعوته العامة أودع فيها ما زكى وطاب من الاستدلال على وجوب طاعة أولي الأمر.

وقد ترجم له القاضي العلامة الحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري فقال:

الإمام الأسير الشهير الخطير الكبير. كان له من الفضائل ما لا ينكره الأعداء ولا تجهله الأودّاء ومن أعظم ما خصه الله تعالى تأويل القرآن المجيد وتفسيره والإطلاع على دقائقه والاعتماد عليه في الرسائل وأجوبة المسائل والخطب ومحاورة القبائل حتى أن الرجل يسمع منه الآية يحتج بها أو يوردها كأنه لم يسمعها من قبل ويبهره وضوح احتجاجه بما لم يهتد إليه غيره والله يؤتي ملكه وحكمته من يشاء. ولقد أخبرني بعض السادة الأفاضل الأكابر أنه كان يضمن كل خطبة من خطبه آيات من القرآن حتى بلغ القرآن كله في كل جمعة شيئاً، وهكذا يسلك في الأحكام الفقهية الشرعية من أول أبواب الفقه إلى آخرها. وأخبرني والدي عمن أخبره أن رجلاً وفد عليه بنحو مائة مسألة أو تسعين الشك مني فأمره عليه السلام بالانتظار حتى إذا قام للوضوء وأخذ السواك طلب السائل فأمره يعرض أسئلته وهو يستاك فأجاب عن جميعها في تلك الحال من كتاب الله عز وجل وما تعرض لشيء من سواه. وسمعت الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم يذكر عنه أنه دخل إليه عليه السلام بعض الفقهاء وهو يتلو: {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين} يعرض بأن الإمام الحسن لا يتثبت ولا يتبين فيما ينقل إليه، فأجابه عليه السلام بالآية التي بعدها: {واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون} انتهى كلام القاضي.

***

وقال مصنف سيرته الفقيه أحمد بن شايع ما خلاصته:

ولما بلغ درجة الاجتهاد وتكاملت فيه شرائط الخصال المعتبرة وخيل فيها مخايل الزعامة ومدت إليه الأمة أعناقها وتمت فيه سائر آلات الفضل حتى قال بعضهم: لو كان مرتبة تزيد على الاجتهاد لوصف ببلوغها وصل إليه إلى صعده أعيان من العلماء وأهل المحبة والنصرة فقووا منه العزم على النهوض بالإمامة العظمى، فكان خروجه منها في شهر شعبان سنة ٩٨٦ ست وثمانين وتسعمائة على خفية من الناس إلى الهجر وجلة من خرج معه سبعة نفر منهم القاضي أحمد بن صلاح الدواري واجتمع إليه في ذلك الأوان السيد العلامة علي بن عبد الله القاسمي الغرباني والقاضي شرف الدين بن إدريس العيزري والفقيه العالم الفاضل محمد بن فاضل السيراني فحين علم تعين فرض القيام ووجود الناصر دعاهم بعد صلاة العشاء ليلة الجمعة رابع عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وتسعمائة إلى الدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومباينة الظالمين فلبوا دعوته. وأول المبايعين السيد جمال الدين علي بن عبد الله الغرباني والفقيه محمد بن يحيى سلامة ثم بقية الناس على مراتبهم. وكانت البيعة في البيت المنسوب إلى الجامع بقرية الهجر المسمى بجامع القطيب.

ولما كان من الغد خرج عليه السلام واجتمع إليه أهل الهجر عن آخرهم وبذل كل منهم ما تحصل من الواجبات وأنواع المعونات. وفي ذلك اليوم أنشد الفقيه محمد بن يحيى سلامة هذه الأبيات:

نجم الهداية قد بدا وضاحا وسنى الإمامة للضلال أزاحا
وبدا جبين الحق غير مشوه فغدت وجوه المعتدين قباحا
وتبلج الزمن البهيم صباحه وتفرجت كرب الورى أفراحا
وتبدلت شرع الضلال هداية وتحولت بدع الفساد صلاحا
وتبينت سبل الهدى لمن اهتدى وتقطعت مهج العدى أتراحا
فالعدل أضحى نشره متعطراً عادت له مرضى القلوب صحاحا
بقيام مولانا ومالك أمرنا خير الخلائق منصبا ورجاحا
يهنيكم يا آل أحمد داعياً خفضت له المتكبرون جناحا
أبدى على الإسلام نورا بعدما قد كان من طول البلاد تماحا
فيه الإمامة والأمان استحفظا ولطال قبل قيامه ما طاحا
سفرت لدعوته الثغور جلالة فغدت بمشكاة الهدى مصباحا
يا خير من بذل النفيس نفاسة وأشن من غارته تلماحا
الله منجح كل خير رمته فأصدع بأمرك إن فيه نجاحا

ويروى انتشار دعوته في الأقطار في أقرب وقت حتى روى بعضهم من بلوغها ما يحير العقول ويعظم موقعها في الصدور، ثم نهض في ذلك اليوم إلى جبل هنوم بمن معه حتى وصل قاع المدان أوان صلاة الجمعة فكانت أول جمعة أقامها هناك، وأقام بقية شهر رمضان في هجرة الروس وأقبل الأهنوم وسائر الجهات العذرية مبايعين وقرر بينهم القواعد واندفع عنهم ما كانوا عليه من الفتن، ولم يزل الوافد إليه والمكاتب والمراسل من كل ناحية، وجاءت كتب أكثر الشيعة والسادة من البلاد الصعدية وغيرها سراً وعلانية وكاتبه رئيس أشراف الجوف الأمير محمد بن الناصر بن أحمد الحمزي وكان والياً برداع من جهة الأتراك، فاضطربت لدعوته قلوب الظالمين في سائر الجهات، وتزلزلت أركان صياصيهم، واتّهم بعضهم بعضاً في مكاتبته والسبق إليه. ولما يزالوا من ذلك في أمر مريج حتى كان عقيب عيد الفطر فتقدم الإمام بمن معه إلى الهجر ثم إلى جبل ذري، ووجه القاضي شمس الدين أحمد بن صلاح الدواري برسالة عامة إلى السادة آل شرف الدين ورسائل أخرى إلى سائر الجهات.

وكان دخوله عقيب ذلك إلى شهارة ثم رجع منه إلى هجرة الروس لانتظار جوابات الرسائل وتقدم منها إلى جبل الهجر ثم إلى جبل سيران ثم نزل المساوحة من جهة ظليمة وأخذ في بعث أصحابه إلى الجهات والبلدان، ولم

تدخل سنة ٩٨٧ سبع وثمانين وتسعمائة إلا وقد أجابته البلاد من صنعاء إلى صعده، وقبض الحصون وولى الولاة حتى كان منتصف شهر الحجة الحرام سنة ٩٨٨ وذلك عقيب عيد الأضحى فاجتمع الأمراء آل شرف الدين علي يحيى بن المطهر وصنوه لطف الله ومحمد بن شمس الدين على حرب الإمام حتى بلغوا ما يزيد على ستة آلاف رجل وثلاثمائة من الخيل واجتمع إليهم عبد الرحمن بن المطهر وعيال رضي الدين وصاحب عفار وكحلان، واتفق رأيهم وطلبوا من الأتراك محطة ففتحوا الحرب على جهات شتى، وأقبلوا من كل فج، وانكشفت جولات تلك الحروب والأحداث بإنكفاء يد الإمام على الجهات الظاهرية فانتقل عليه السلام في سنة ٩٨٩ تسع وثمانين إلى هجرة الروس من جبل هنوم وفتح باب التدريس للعلوم وطلب كثيراً من الكتب والنفائس وقرر أحوال أصحابه ومن يتعلق به وبذل الوسع في تأليف قلوب الناس وتلقى من وصل إليه بغاية الإكرام والإيناس.

وفي سنة ٩٩٢ نهض الكيخيا سنان من صعده بعد أن ملكها لمحاربة الإمام الحسن بن علي فلما وصل قرن الوعر من بلاد عذر ارتفع الإمام من الهجر إلى القدوم وذلك غرة شهر محرم سنة ٩٩٣ ثم تقدمت المحاط إلى محل الإمام فأحربهم حرباً شديداً وقتل منهم جماعة، ولما عرف الأتراك مشقة المجاهرة بالحرب على الإمام ما زالوا يعملون الحيلة في تخذيل الأهنوم على وجوه مختلفة حتى انخدعوا لهم.

ولما كان يوم الحادي عشر من شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ٩٩٣ قصده القوم إلى القدوم وأحاطوا بالمكان إحاطة هائلة وثبت هو وأصحابه في مراتبهم، وكان قد رتب فيما يلي القعاف لمقابلة الكيخيا سنان ومن معه، فلم يشعر الإمام إلا وقد توسطوا الجبل من خلفه، فأمر أصحابه بالتأخر إلى موضع الصاب بالقرب من القدوم وحمل عليه الأتراك وأحزابهم وضيقوا الخناق عليه ولم يكن عنده ما يقوم به وبمن معه ولم يجد بداً من المصالحة فدار الخطاب بينه وبين سنان على خروجه ومن معه بأمان على أن يكون سكونه في صنعاء فأمر الإمام السيد إبراهيم بن المهدي جحاف لأخذ العهد من سنان، ثم خرج عقيب ذلك إليه فسار به إلى صنعاء أسيراً فوصلها لأربع أيام باقية من شهر رمضان من تلك السنة وأودعوه السجن ومعه الفقيه محمد بن يحيى سلامه والشيخ وهان العذري ولم يفوا بما وضعوا له فبقي إلى منتصف شهر شوال سنة ٩٩٤ أربع وتسعين وتسعمائة ثم جهز به عليه السلام هو وأولاد المطهر وهم علي يحيى ولطف الله وحفظ الله وغوث الدين وابن أخيهم محمد بن الهادي والشيخ وهان العذري إلى بندر المخا لموجب الإرسال بهم من هناك إلى الروم.

***

قال في غاية الأماني في أخبار القطر اليماني:

ويروى أن الإمام القاسم بن محمد كان من جملة الملازمين للإمام الحسن بن علي فلما وصل بهم سنان إلى المخا أراد الإمام القاسم الركوب معهم وهو يؤمئذ من أفراد الناس لا يؤبه له، فمنعه سنان عن الركوب لأمر يريده الله تعالى، فرجع إلى صنعاء ولازم حلق الدرس في مسجد داود انتهى بلفظه. وقد أشار إلى مجمل تلك الحوادث من

دعوته السيد داود بن الهادي المؤيدي في تتمته على البسامة فقال:

والقائم الناصر الداعي العباد إلى سبل الرشاد عظيم القدر والخطر
سعى لنصرة دين الله معتصماً بعروة الله سعياً غير محتقر
وكان ما كان من أخبار سيرته فكن لبيباً ولا تسأل عن الخبر

وإلى حادثة أسره من قبل المتولي العثماني الوزير حسن باشا أشار المولى عبد الله بن علي الوزير في تتمته على قصيدة البسامة المسماة بالروض الباسم النضير فقال:

ومكنت حسنا ما رام من حسن من بعد حرب شديد الحر مستعر
لما كسته برود المجد معلمة تلفعت بخمار عنه في خمر
واستفحل الترك إذ لم يبق في يده من البلاد سوى الأهنوم أو عذر
فنال منه مراد ما يريد على يدي سنان ووافى الروم في نفر

وترجمه السيد الإمام إبراهيم بن القاسم الشهاري في طبقات الزيدية فقال:

هو الإمام الأسير والعلم النحرير. كان بحراً لا يساجل، طار صيته في الآفاق وظهر علمه ظهور الشمس في الإشراق، وفاز من العلوم بالقدح المعلى في قدر عشر سنين. دعا إلى الله في الهجر أسفل بلاد الأهنوم سنة ست وثمانين وتسعمائة بعد أن بايعه جميع علماء الزمان المعتبرين، وبث دعاته في الآفاق ونفذت أوامره ونواهيه في جميع اليمن الأعلى إلى صنعاء، واستولى على كثير من حصون اليمن، واستمرت له الخطبة في الجميع ثم لم تزل البلاد تذهب من يد الإمام حتى لم يبق إلا بقية، فجهز الأتراك جيشاً عظيماً إلى بلاد الأهنوم، فحاصروا الإمام في القدوم بفتح القاف والمهملة وسكون الواو ثم مهملة مخففة حتى قبض في الصاب أسفل جبل هنوم في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة، ووقف في الأسر في صنعاء سنة ثم ارتحلوا به مع أولاد الإمام شرف الدين إلى الروم في سنة ٩٩٤ وأنزله السلطان بجزيرة تسمى ذي قلة[1] بالقرب من القسطنطينية، ثم حصل له من القبول والمحبة من السلطان محمد وولده أحمد ما لا يوصف، ووصل إليه علماء تلك الجهة فراجعوه، ووجدوا عنده من العلم ما ليس في ظنهم، وتأكدت له عندهم العقيدة الصحيحة والمودة الصريحة. قلت: ولم يزل في الحبس قال الحافظ أحمد بن سعد الدين: حتى وصل الشريف علي الرومي وأخبر الإمام القاسم بن محمد عليه السلام أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام توفي يوم الخميس ثالث عشر من جماد الأولى سنة ١٠٢٦ ست وعشرين وألف، وقيل: في ذي القعدة سنة ١٠٢٥ وقيل: في شهر رجب سنة ١٠٢٤، والرواية الأولى عن الحافظ المسوري وهي أولى والله أعلم؛ فيكون لبثه في الحبس إحدى وعشرين سنة رحمة الله عليه وسلامه انتهى.

---

[1] ( ) ذي قلة:

(أخباره في منفاه بالقسطنطينة)

وقد أورد السيد المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي في سيرة الإمام القاسم بن محمد عليه السلام المسماة النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة بعض أخبار الإمام الحسن بن علي بن داود في منفاه بالقسطنطينية فقال في مواضع متفرقة ما خلاصته:

وفي تلك المدة ـ أي أيام بقاء الإمام القاسم بحبل برط ـ أرسل الحاج الصالح العابد دغيش بن محمد الغشمي إلى الروم للاتفاق بحي الإمام الحسن بن علي وقد بلغه أنه عليه السلام مُكِّن من الكتب في الروم، وأنه أتم ما كان شرعه من شرح البحر الزخار، أخبرني سيدنا الفقيه المجاهد العالم يحيى بن صلاح الثلائي أن الحاج المذكور كان دخل إلى بلاد الروم مرة أولى في أول قيام الإمام القاسم، وأن الإمام الحسن سأله بتفصيل قيامه وحسن الإجابة فحصل معه عليه السلام من السرور وأكثر من الدعاء له سلام الله عليهما. وقال في موضع آخر: أما أحواله في اليمن ونشأته وزهده واحتياطه وعلمه ودعوته فمشهورة عن سيرته، وإنما نذكر أحواله في الروم ووفاته.

أخبرني الأمير عبد الله بن محمد الرومي من أهل القسطنطينية وسكانها فإنه خرج إلى عند مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله في عام اثنتين وخمسين وألف أن الإمام الحسن بن علي حبس في موضع بنظر عمه، وكان للأمير رواي الخبر أخ يكبره يسمى علي، فكان يقوم بخدمة الإمام ثم إن الإمام كره منه شيئاً فجعله عمه القاضي عوضاً عن أخيه في الخدمة. قال: فكان الإمام يغلق على نفسه في مكان وسيع مأهول للعلماء والكبراء وعنده كتبه، فكان يغلق الطياق ويقبل من الضيا ما لا بد منه، وله طريق إلى بيت الحريم وكان معه ست جواري سمّاهن وذكر لباسه، فقال أنه كان يلبس قميص أزرق وعمامة منه، وثوب مثني ولباد يدفىء به قال: والباب بيننا وبينه فإذا سألناه أجابنا من خلف الباب وإذا وصل أحد من الكبراء قال: أطلبوا السيد محمد بن لطف الله بن المطهر وكان ولد في الروم، فهو يعرف لسانهم وينتظر الواصل حتى يصل المذكور، ثم يفتح الإمام وينزل كلا منزلته ويجيب كلا بغرضه، ولا يطال عنده الجلوس. قال: وكان يجلس على لبّاد ضعيف وقد اجتمع عنده من فرش الروم وبسطها وطنافسها أحمالاً مما يصل به الكبراء فيقول: أفرشوا لهم من حقهم، فإذا قاموا أرجعناها، وإذا خرج السلطان ووزراؤه وضربت لهم الصنوج وغيرها من الآلات فلا يفتح نافذة مكانه ولا ينظر إليهم، فسأله عمي القاضي فقال: لا يجوز ذلك إلا بإذن السلطان. ومن ذلك أنه كان يموت من عظمائهم فيطلبونه للصلاة عليهم فيقول: إنما يصح بإذن السلطان، وهم لا يعرفون مقصده فيظنونه سلطانهم.

ولما توفي عليه السلام ودفن في موضع سماه راوي الخبر ووصل ناظر السلطان لقبض ما في مكانه، قال فجلس القاضي والمفتي والناظر خارج المكان، وجعلوني أخرج لهم ما وجدت لأنه المكان قد علاه غبار كثير، فوجدنا ثلاثمائة صرة ذهباً أحمر وفضة مما يصله من البر وهو لا يفتحها وإنما جعلها في مواضع من المكان ووجدنا عنده كثيراً من أدواح الزيت، وأرصد جميع ذلك وصيّروا لولده المسمى محمد وهو على أم ولد شركسية سماها ولمن معه شيئاً ليس بالكثير، وحملوا ذلك إلى بيت لهم ثم مات بعد أيام. قال السيد مطهر الجرموزي: ورأيت بخط السيد

العلامة الزاهد صالح بن عبد الله الغرباني: كانت وفاة الإمام الحسن عليه السلام في شوال سنة خمس وعشرين وألف كما أخبرني الحاج محمد التركي بالمعنى والله أعلم.

٣٤ـ الفقيه الحسن بن محمد الصعيدي

الفقيه الحسن بن محمد الصعيدي اليمني الصعدي.

من أهل النبل والعرفان وهو صاحب القلم المعروف في كتابة المراقيم الشرعية أيام القاضي العلامة عبد الله بن يحيى الفهد أحد حكام مدينة صعده إذ رأيت بخطه في درج الوقف أكثر من مائة وخمسين بصيرة محررة بخطه النسخي المعروف وكان موجودا في عشر الثمانين وألف. وله ولد اسمه صلاح كان يمتهن نفس وظيفة والده لكن أقل منه في إجادة الخط وكان موجودا في سنة ١١٣٧ وأهل هذا البيت من أهالي مدينة صعده ولا زال لهم بقية.

٣٥ـ القاضي الحسن بن يحيى حابس

القاضي العلامة الشهير النحرير شرف الدين الحسن بن يحيى بن أحمد بن محمد حابس الصعدي الأصل والنشأة الصنعاني الإقامة الذماري الوفاة. نشأ بصعده وأخذ في النحو والفقه والأصولين عن مشايخها وأخذ في جامع الأصول عن السيد محمد بن عز الدين المفتي.

وعنه أخذ عدة من العلماء كالسيد العلامة الكبير الحسن بن أحمد الجلال والسيد صالح السراجي والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال صاحب مطلع البدور وغيرهم. وترجمه صاحب بغية الأماني والأمل فقال:

القاضي العلامة النحرير والكامل الفاضل النحرير. كان هذا القاضي بهجة المجالس وزينة المدارس عالماً كبيراً نحريراً شهيراً أدرك فروع العلوم وأصولها وغايتها ومنتهى محصولها، وصلى في ميدان المعارف وبرز وجلى بفهم أنفذ من السهم، ونظم الشعر فأجاد، وسلك مسلكاً يسلم فيه من الانتقاد، وقد رأيت له انتقاد في هوامش العضد على سعد الدين وكان رحمه الله أحد قضاة صعده والمتولي للأوقاف بعد موت أخيه القاضي شمس الدين أحمد بن يحيى حابس في أيام المتوكل على الله إسماعيل وكان يقضي في المحكامة المعروفة الآن غربي جامع الإمام الهادي، وله تلامذة أجلاء ومقامات في الفضائل شهيرة، وله رسائل فائقة وجوابات في أنواع العلوم رايقة ...إلخ.

وترجم له السيد المؤرخ محمد بن محمد زبارة في خلاصة المتون فقال:

كان عالماً محققاً متفنناً ظريف المحاضرة والمجالسة يحب الراحة والاستراحة وتولى القضاء بمدينة صعده بعد وفاة صنوه أحمد ثم وصل إلى صنعاء وتزوج فيها فلم يرغب إلى غيرها وسكن بصنعاء وقضى بها وكان صاحب تجارة يشارف عليها بنفسه رأس السنة وأرسله الإمام المتوكل على الله إسماعيل لتصحيح عمل قسمة مخلف المولى محمد بن الحسن بن القاسم ومات بذمار في رمضان سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف.

وذكره صاحب طبق الحلوى في حوادث ١٠٧٩ فقال: وفي ليلة الأحد سادس عشر رمضان توفي القاضي العلامة الحسن بن يحيى حابس بمحروس ذمار ودفن بها بحوطة الإمام يحيى بن حمزة وكان مشاركاً في الفنون صاحب ذكاء وظرافة ونفاسة وغلب على حاله سيادة متصلة فقضى بصنعاء والجراف غرر الأيام ونال من الدولة جليل

الجاه وجميل الإعظام مع مال لا يهرق معه ماء المحيا وسعادة صعدت به من مقعد الحاتن إلى مناط الثريا وقد رأينا للمال دخلاً في معرفة قدر العلماء وقد أشار إلى ذلك من قال:

وإذا جمعت علماً ومالاً كنت عين الزمان بالإجماع

وفي أثناء ترجمته في بغية الأماني والأمل المتقدم إيرادها أورد أبيات للمولى الإمام أحمد بن إبراهيم حوريه المؤيدي يرثي صاحب الترجمة وهي:

ضريح ثوى فيه زعيم المدارس وأوحد أهل العلم زين المجالس
وعمدة أهل الفضل والمجد والتقى وبدر الهدى في مظلمات الحنادس
إذا عد أهل العلم فهو إمامهم وفارسهم ما مثله في الفوارس
يجلي بأنظار له كل مشكل ويجلو وجوه المشكلات العوابس
يصوغ بدر اللفظ منه جواهراً ويودعها سمع اللبيب المجالس
ومن وعظه يملي القلوب مخافة ويخشع منه قلب آياس آنس
فيا قبر قد واريت كل فضيلة بها صرت مشهوراً أيا حُسْن حابس
حبست الذي قد كان لله موئلا وركناً لملهوف وغوثاً لبائس

الخ الأبيات. ورأيت في شرح الدامغة الكبرى أن له رسالة سماها (الجواب الحاسم عن القول بتحليل الزكاة لبني هاشم) رحمه الله تعالى.

٣٦ـ السيد حسين المؤيدي صاحب العدين

السيد الرئيس شرف الدين الحسين المؤيدي، وهو المشهور بصاحب العدين.

وفي النقل الذي أوردناه عن كتاب بلوغ الأدب وكنوز الذهب أنه من جملة علماء بني المؤيد، وقد ذكر المؤرخ السيد محمد زبارة في بعض كتبه أن صاحب الترجمة تولى في أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل على العدين وذلك بعد وفاة السيد الرئيس محمد بن أحمد بن الإمام الحسن الآتي ترجمته، قال في طبق الحلوى في وفيات سنة ١٠٧٢ اثنتين وسبعين بعد الألف ما لفظه: وفيها توفي السيد حسين المؤيدي عامل العدين انتهى بلفظه.

٣٧ـ الفقيه حفظ الله بن أحمد سهيل

الفقيه الشيعي الخلاصة حفظ الله بن أحمد سهيل الصعدي الأصل الشهاري المسكن والوفاة.

كان صاحب الترجمة من أعيان الشيعة أهل المحبة الخالصة لأهل البيت عليهم السلام وله معرفة تامة بعلومهم وأخبارهم وسير أئمتهم حفظة راوية لغيرها من السير والأخبار وكان كثير الرواية عن القاضي على بن محمد الجملولي الأهنومي السيراني المتوفى ١٠٤٣ ثلاث وأربعين وألف.

قلت: وكان موجودا بمدينة صعدة سنة ١٠٥٦ كما وجد في أوراق الوقف، وقد ترجمه السيد مطهر بن محمد

الجرموزي في الجوهرة المنيرة فقال: كان فقيهاً فاضلاً عالماً تقياً ورعاً ذكياً ولي القضاء في هجر الأهنوم وله مع سعة العلم والفهم الورع الشحيح بحيث لم يتناول شيئاً من بيت المال.

وترجمه تلميذه السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة فقال:

وحافظ العلم حفظ الله سيدنا وسبطه المقول السباق للأول

كان مستوطناً للهجر من بلاد الأهنوم خطيباً فيه مفلقاً مرجوعاً إليه في علم السيرة عارفاً بأخبار الأئمة وله محبة في الآل ظاهرة وباطنة واتفقت به مراراً بوطنه وسمعت خطبه وأخذت عنه وتوفي هناك وقبره عند باب جامع المنصور شامي قرية الهجر. هكذا وبيض لوفاته وهي في نحو سنة ١٠٩٠ تسعين وألف أو في السنة التي تليها ورثاه أهل عصره بالمراثي العديدة وأرسل ولده الأديب صلاح بن حفظ الله إلى السيد الحسن بن صلاح الداعي إلى صعده معاتباً له في عدم رثائه قال: حيث وقد رثاه السادة والفقهاء الذين لم يكن لهم به خلطة كخلطتك ولا محبة كمحبتك فقال السيد الحسن الداعي مرثياً:

هو الدهر ما انفكت تنوب غوائله ومن ذا الذي ما زلزلته زلازله

رزيت بخطب فادح أزعج الحشا وأذهب صبري بعد أن كنت حافله

وكيف اصطباري بعد شيخي أعده عظيماً عليه الأجر ما دمت فاعله

نعم أرتدي ثوب التجلد صابراً وإن كان حفظ الله للخير نازله

وكان أنيسي عند وحشة موحش أناجيه من قرب وحيناً أراسله

فمن لي كحفظ الله في الدهر حافظاً لعهدي ومن لي عند علم اسائله

يحث على تقوى الإله وخوفه ولا يرتضي ما ترتضيه عواذله

تقي نقي ألمعي مهذب رضي وفي تزدهيني شمائله

فإن غاب عنا فهو في القلب حاضر أقامت به آراؤه وعواملة

وإن يك مفقوداً بطلعة وجهه فقد بقيت في العالمين مسائله

وإن يك مفجوعاً به أهل بيته ففينا بني المختار قامت ثواكله

ألم يك شيعياً لآل محمد محباً بصيراً لا تفل عواسله

وكان لهم سيفاً على النصب قاطعاً إذا سل لم تبر يقيناً مقاتله

يؤرخ أخباراً لهم ويخطها ويحفظها عن كل حبر يقابله

فما شئت من علم فخذ عنه واثقاً وعن كل داع إن أردت فسائله

تجده بأهل البيت من كل وجهة خبيراً بمن شطت عليك منازله

رعا الله أياماً حبتني وصاله سقاها وأولت ما تخط أنامله
وسحقاً لأيام طوت ثوب وصله وقد كان ميسوراً علي فواضله
فصبراً صلاح الدين للحادث الذي أصيب به من ذروة المجد كاهله
فما مات من أبقى معاليه في الورى مؤرخة تتلى عليهم فضائله

إلى آخر الأبيات.

(وولده صلاح بن حفظ الله سهيل)

ترجمه أيضاً السيد الحسن الداعي في شرح الدامغة الكبرى وغيرها فقال:

الفقيه الخلاصة المحقق الفاضل العالم العامل. كان أديباً أريباً خطيباً مصقعاً، وهو عين أعيان أدباء الزمان ولسان المتكلمين من الشيعة الأخيار. وكان بيني وبينه مكاتبة ومخاطبة حتى جرت وقعة الهجر في سنة اثنتين ومائة وألف ١١٠٢ بين صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن وبين المتوكل علي بن أحمد بن الإمام القاسم فتقاصرت أحواله وذهب ما كان في يده من جملة ما ذهب على الناس في الهجر فاستمر على الإقامة هناك خطيباً مفلقاً إلا أنه مع انكسار نفسه وذهاب بعض ناموسه ترك المكاتبة وقطع أيدي تلك المراسلة فكان لا يكتب إلا أن يكتب إليه أحد أجاب. وكان مما كتبت إليه جواباً:

بعين الرضى والعطف لا حظتني جهرا وأهديت لي من لفظك المنتقى درا
وأرديت قلباً بالضنى كان موجعاً ويا طالما عودتني النظم والنثرا
فلولاك لم أنظم ولولاك لم أقل ولولاك لم أكتب إلى أحد شطرا
لك الفضل إذ عودتني كل صالح وأوردتني بستان جنتك الخضرا
لك الله لم أعرف سواك من الورى كمعرفتي إياك بالخطة الغرا

فأجابه المترجم له بأبيات راعى في أغلبها الجناس منها قوله:

كتابك للقلب المحب لكم سرا وللهم عنه حسن نظمكم سرا
وقد برني والدهر من قبل عقني وأضرى بي الضراء فنلت به سرا
إذا ما نحى المستسعد السعد فهو من يرى السعد ينحوه ليمنحه برّا
ولو قطع الراءات للعتب واصل له واصل قدماً لانطقه بالرا

وكتب إليه السيد الحسن الداعي في سنة ثلاث وتسعين وألف بقصيدة أولها:

هو الحظ لا لوم عليك ولا عتب ولكنما يشكو صبابته الصب

فراجعه صاحب الترجمة بقوله:

أفاح لنا نظم أم المندل الرطب وساح بمعناه أم الكوثر العذب
هو السحر إلا أنه الشعر قالة ففي كنهه بعد وفي لفظه قرب
يعاتبني في طول تركي عهاده وفي مدحه مملوكه اندمج العتب
ولم أجفه بالله عذت من الجفا لمن كان من فرض الإله له الحب
ولكن زمان شتت الفكر ريبه وأذهل من في المجد كان له قلب
وجاءتني الأهوال من كل جانب وأيسر ما حاشيت كان به الكرب
وما أتى بث بعد فقدي لوالدي فيالك من فقدٍ به عظم الخطب
وبين يغص الأقربين لجانبي ولا ذنب لي والأبعدون لهم حرب
وقيدني طفل صغير عن الجلا وعن مطلب العلم الذي كسبه الكسب
أقمت حبيساً في جوانب بلدتي كأن لم يكن في الأرض شرق ولاغرب

وقد أثبتنا في ترجمة الإمام إبراهيم بن محمد المؤيدي في هذا المجلد مطلع أبيات قصيدة صاحب الترجمة في رثائه سنة ١٠٨٣ ولما توفي ولده السيد الإمام أحمد بن إبراهيم المتقدم ترجمته في حرف الألف في سنة تسع وتسعين وألف أرسل السيد الحسن بن صلاح الداعي إلى المترجم في رثاء السيد المذكور كما عودهم نظمه النظيم ونثره الدر الثمين فأجابه بقصيدة أولها:

وودك يا من أوجب الله وده على الخلق أني على ما أنت تعهد

فراجعه السيد الحسن الداعي بقوله:

حلفت بودي وهو حلف موكد بما نحن من صدق المودة نعهد
عرفناك في الدنيا عرفناك في الورى عرفناك في التقوى وإنك أوحد
وإنك نحرير الرواة إذا رروا وفي الوعظ معروف وفي الشعر أحمد
تشيعت حتى أنك اليوم عينهم وصرت بأعباء التشيع تصعد
ولا غرو حفظ الله والدك الذي يشار إليه بالولاء ويعدد
تولى بني الزهراء كهلاً وأمرداً وصافاه منهم من يغور وينجد
وإن قلت محموداً فأنت وريثه وعنه بأخبار الأئمة ترشد

***

قلت: ومن شعر المترجم له الذي يدل على كمال أدبه واطلاعه على علوم الفنون وفنون العلوم ما وقفت عليه

في إحدى المجاميع وهي (قصيدة في السواك وآدابه) وقفت عليها بخطه وأولها:

الحمد لله ذي الإفضال موليه فات الخلائق حصر من أياديه
أزكى صلاة إلهي والسلام على الـ ـنبي والآل ما دامت معاليه
وبعد فاسمع نظامي في السواك وقل إن لم تجد لفظه جادت معانيه
ست وعشر خصال في السواك أتت غزالة الفضل بين الناس تمليه
يرضى الإله يحد الذهن تصقل أسـ ـنان الفتى ويزيل البخر من فيه
يصون أسنان من يستاك عن حفر بالحاء مهملة والفاء نرويه
وهو التآكل في الأسنان يظهر في أصولها واستياك المرء ينجيه
والظهر في كبر لا ينحني ويسُر النفـ ـس يجلو العيون الشيبَ يبطيه
والفم يطهره ويطيب نكهته يشد لثاته والحلق يصفيه
وبلغم المرء يذهبه ويُسهل نز ع الروح في الموت للتوحيد يهديه
وغير ذلك في مدح السواك أتى للإختصار نظامي غير حاويه
امضيت من عرض اصناف السواك لكي أصيب ندباً فطولاً لست أمضيه
ومن أصول أراك والفروع ومن عروق تفاحنا المسواك نبريه[1]
واسحل وبشام والسفرجل من عود السواك فعدي غير محصيه
في مسجد في أشد الجوع في شبع وقائماً جنباً والقرفصا فيه
مقت غثاء وورم للطحال يُدق الساق يبخر من يستاك يوهيه
ويكبر البطن حال الإضطجاع فتلـ ـك الست للندب مع هذا تنافيه
غير التربع حال الاستياك كمثل الـ ـمشي قد كرهوا فالزم توقيه
وقد روي أن من مص السواك فلا يلم سوى نفسه فالمص يعميه
وبلع أول ريق منه فيه شفا وبالوساوس يأتي بلع باقيه
أصابع الكف من يقبض بأجمعها مسواكه جاءه الباسور يؤذيه
سبابة الكف والوسطى وبنصرها فوق السواك لمن من فيه يدنيه

---

(1) ذكر في كتاب الرسالة الشهابية في الفوائد الطبية أن أصول التفاح من جملة ما يستاك به من هامش القصيدة.

وخنصر الكف والإبهام جعلهما تحت السواك كذا في القبض نقضيه
وطوله اجعله شبراً أو أقل وما يزيد من مركب الشيطان يعليه
اغسل سواكك قبل الاستياك يلن وغسله بعد أن تستاك ينقيه
واركزه تأمن جنوناً خاف من يضع الـ مسواك عرضاً بأرض أن يوافيه
وهاك نظماً لآداب السواك على ما أنت تاركه فيها وآتيه
واعذر صلاح بن حفظ الله حين أتى بحسن معنى ولم يحسن مبانيه
الله يقبلها مني ويغفر لي ثم الصلاة على مختار باريه
ثم السلام مع أزكى التحية من رب سيعطيه في الأخرى فيرضيه
وآله قرناء الذكر فهو بهم فاسلك سبيلهم نور لتاليه

وبقاء صاحب الترجمة على قيد الحياة إلى سنة ١١٠٩ رحمه الله تعالى وكان مقيما في ذلك العام بالهجر المعروف ببلاد الأهنوم.

٣٨ـ السيد الإمام داود بن الهادي المؤيدي

السيد الإمام المحقق المدرة شيخ العترة صارم الدين داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني اليحيوي المؤيدي اليمني.

مولده في سنة ٩٨٠ ثمانين وتسعمائة. أخذ في النحو وفنونه الثلاثة عن السيد الطيب بن داود بن المهدي وهو خاله أخو أمه، ثم قرأ على الإمام عبد الله بن علي المؤيدي أيام توقفه بجهات ذهبان بعد الدعوة، وأخذ في الأصولين عن القاضي أحمد بن صلاح الدواري وفي سماع الكشاف عن القاضي الحافظ عبد العزيز بن محمد بهران الصعدي. ومن مشايخه الذين يروي عنهم كتب العلوم السيد محمد بن الإمام الهادي أحمد بن عز الدين الآتية ترجمته، واستجاز من الإمام القاسم بن محمد فأجازه إجازة وافية بالمراد. وعنه أخذ جملة من أهل وقته منهم السيد أحمد بن محمد القطابري والقاضي أحمد بن يحيى حابس والسيد الحسين بن علي العبالي والسيد محمد بن الهادي جحاف والفقيه صديق بن رسام والقاضي أحمد بن سعد الدين المسوري وولده علي بن داود وغيرهم الكثير.

وكان السيد داود بن الهادي في محل الأئمة السابقين ملموحاً إليه بالدعوة والقيام وله المصنفات النافعة منها في أصول الدين شرح الأساس سماه (الكوكب المضيء في الأغلاس المجلي لغوامض الأساس) عرضه على الإمام القاسم في سنة ١٠١٨ وله (مرقاة الأصول شرح معيار العقول) في أصول الفقه فرغ منه سنة ١٠٣١ وله مسائل جمة في بقية العلوم. وله (ذيل على بسامة السيد صارم الدين الوزير) وشرحه بشرح لطيف جعله في تمام مآثر الأبرار لابن فِنْد الصعدي المعروف بالزحيف وأول هذا الذيل قوله:

لله درك من علامة علم أزرى نظامك بالياقوت والدرر

ذكرت فيه ملوك الأرض قاطبة من بعد وعظ له التأثير في الحجر
ثم اختتمتهم بالمصطفى ولنا فيه اعتبار وتذكار لمعتبر
والصحب والآل طراً مع مُناصِبهم أهل الشقاوة والعدوان والأشر
وقد أحطت بصيد الآل عن كمل إحاطة الكم بالأسنى من الثمر
وإنني ذاكر من قد علمت به من الأئمة إيقاظاً لمدّكر
وليس قصدي في فعلي مناظرة هيهات ليس يقاس الدر بالمدر
لكنني أرتجي الغفران جائزة من خالقي ودعاء من أولي النظر

إلى آخر الذيل وهو متداول معروف.

وقد ترجم لصاحب الترجمة السيد صارم الدين إبراهيم بن القاسم الشهاري في طبقات الزيدية الكبرى والشوكاني في البدر الطالع والسيد المطهر بن محمد الجرموزي في النبذة المشيرة سيرة الإمام القاسم بن محمد وفي الجوهرة المضيئة سيرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم وغيرهم. وترجمه السيد أحمد بن محمد الشرفي في اللآلي المضيئة والسيد شرف الدين الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى. وترجمه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور ومجمع البحور ترجمة حافلة جاء منها:

السيد العلامة شيخ شيوخ الزيدية. كان من فضلاء أهل البيت وعلمائهم ومشيختهم وذوي الأقدار فيهم لا يتصدر أحد في مجلس هو فيه لكمال علمه وفضله، يجري بالملاطفة مع كل أحد من العامة والخاصة ويخلطهم بنفسه ويمازحهم الممازحة اللطيفة وما ينحط شيء من قدره وذلك لسعة أذكاره وأدعيته وقيامه بالليل. وكان حليفاً للقرآن إماماً في علوم العربية وغيرها وهو كالأصل للعلماء في وقته فإنني أدركت المشائخ كلهم وقفوا بين يديه رحمه الله كالقاضي العلامة أحمد بن حابس والقاضي العلامة أحمد بن سعد الدين والفقيه الفاضل محمد بن يحيى الكليبي وخلائق غيرهم. ومن وجوه تلامذته القاضي أحمد بن علي بن أبي الرجال وكتب إلى شيخه صاحب الترجمة بعد مفارقته له هذه الأبيات:

سُؤلي وجُل مطالبي ومرامي تقبيل كفّ الأروع الصمصام
العالم العلم الحميد فعاله نور الأنام وسيد الأقوام
ذاك الذي بكماله ومكانه أخذ المكارم كلها بزمام
نسل الأطايب من نشأ في دوحةٍ ما بين حِبرٍ عالمٍ وإمام
داود من أحيا الإله بعلمه وبه أقر قواعد الأحكام
وأطاب في يمنِ البسيطة ذكره وبمشرق وبمغرب وبشام

لكن تناءت بي الديار عن اللقا وبدت عليَّ شواغل الأيام
فجعلت طرسي نائباً عني كما ناب التيمم حالة الإعدام
لا زالَ مخدوماً بألف كرامَةٍ عني وألف تحيَّةٍ وسلام

ومن تلامذته ابن أبي السعود الضمدي وله فيه الأبيات المشهورة التي منها:

يا ليلة في الهجرة الغرّاء فاقت ليالي الدهر في السراء
هي ليلة ما قد ظفرت بمثلها عند الغمطمط من بني الزهراء

ومنها:

داود ما داود إلا منهل للعلم والفقراء والضعفاء

وللسيد العلامة الفاضل يحيى بن صلاح القطابري رحمه الله فيه القصيدة الفاضلة بعد عوده من ساقين ومطلعها:

رُب غزال غدت تعنفني وعن بكاء الطلول تعذلني
وتكثر العَذْلَ وهي ضاحكة لم تدر أني بكيت من حزَني

ومنها:

سقيا لأيامنا التي سلفت قبل ارتحال الجمال بالضعن
كم حزت فيها مواهباً عظمت وفزت منها بمنظر حسن
فهل لتلك الليال من عوض إن اعتياضا بها من الغبن
دع عنك نهج النسيب إن له أهلاً تراهم ناحلي البدن
واصعد إلى وصف رتبة شرفت وطوقت، (تعلو) عن الإحن
إن صرت مربعًا لسيدنا صارم دين الإله ذي اللسن
من أدْرَك الفضل يافعاً فغدا على يفاع للمكرمات بني
العالم العامل الحلاحل من قر وبرج السماك في قرن
حماه رب العلى وسلمه من طارقات الزمان ذي المحن
مبلغاً فيه ما يؤمله إحياء كتب الإله والسنن
وفاتحاً قفل كل مسألة بقول حبر محقق فطن
وخصه من متيم كلف ملازم من عهوده قمن
من السلام النبيل أعظمه ومن تحياته وافر وهني

وترجمه أيضاً نجله السيد علي بن داود ترجمة ضافية وافية نوردها برمتها لحصول الفائدة ونصه:

الوالد السيد العلامة المدرة الفهامة شيخ آل الرسول داود بن الهادي. مكارمه ظاهرة ونشأته طاهرة، وعلمه أشرق من شمس النهار وفضائله ظاهرة من غير استتار. كان في العلم الغاية ظهر ذلك للخاص والعام والداني والقاص، وهو المشار إليه في مدة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد وبعد وفاته ولبعض أهل تهامة فيه:

لولا الخلافة بالمنصور محصنة لكنت تعدلها من غير تقييد

ولكنه رأى أن الإمام المؤيد بالله أولى بالأمر والسعيد من كفي، وتخفيف التكليف من اللطف الخفي، وكما قال الإمام عبد الله بن حمزة:

إن الإمامة أمر هايل خطر صعب مسالكها وعر مراقيها

وكما قال بعضهم:

فيا لمحملها ما فيه من خلل ويا لمطرحها ما فيه من خطل

قال جامع هذه التراجم: وحكى في سيرة الإمام القاسم بن محمد أن صاحب الترجمة لما بلغه وفاة الإمام القاسم في شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وألف ١٠٢٩ دهش وعظم عليه الأمر فخرج بتلامذته إلى مكان منتزح يريد العشة، فما شك أحد منهم إلا أنه يريد أن ينشر دعوته من هنالك فلما بلغ حيث أراد قام في تلامذته خطيباً فوعظهم وأشاد بالإمام القاسم ونعاه إليهم، ثم صفق بإحدى يديه على الأخرى مبايعاً للإمام المؤيد بالله، وأخبرهم أنه لم يفعل ذلك إلا لعظم ما ورد عليه من الغم، فكان ذلك معدوداً من فضائله وحياطته لأمر الإسلام والمسلمين والأخذ بصوالح ما ينفع من الأمور.

رجع إلى ترجمة ولده: أما طيب نشأته وطهارته وعفته وزهده وورعه فأعلم أنه نشأ على طريقة سلفه الأكرمين من طلب العلم الشريف من حال الصغر، فأول قراءته في علم النحو وهو ابن ثلاث عشر سنة وبلغ فيه الغاية وظهرت معرفته فيه مع أنه كان في حال الطلب قليل المال، لأن والده رحمه الله كان في تلك الأيام مع الإمام الحسن بن علي بن داود لأمور حصلت بينه وبين السيد أحمد بن الحسين المؤيدي بسبب قتله هو واخوته قاتل أبيهم وهو في ذمة السيد أحمد، فنفروا عنه إلى بلاد الأهنوم بأولادهم إلى عند الإمام الحسن بن علي واستمروا على ذلك حتى كان قتل السيد أحمد بن الحسين في سنة ٩٩١ فعادوا إلى وطنهم. وكان ظهور دولة الأتراك أقماهم الله وتتبعهم لفضائل العترة وتخويفهم حتى أنهم أمروا السادة جميعاً بني المؤيد بالعزم إلى صنعاء وخرج من ضرهم جماعة كالسيد الطيب بن داود والسيد عبد الله بن الإمام الهادي فلم يجد صاحب الترجمة من يقرأ عليه في الجهات الصعدية، فارتحل إلى ساقين وقرأ في الفقه على بعض السادة آل الفيشي، ومن ثم انتقل إلى مدينة صعده للقراءة على القاضي أحمد بن صلاح الدواري مع عدم الكفاية له ولمن يختص به، وامتنع عن مخالطة الأتراك ومداخلتهم وقبض شيء مما تحت أيديهم حتى من الله عليه بالإمامة المنصورية.

ومما اتفق له من السعادة لأجل تحمل العلم أن حي القاضي العلامة عبد العزيز بن محمد بهران في سنة ١٠٠٣

ضعف بصره ولم يكن لأحد في الجهة الصعدية سماعاً غيره في الكشاف فرحل الوالد إليه إلى صعده فقرأه عليه حتى بلغ سورة الأحقاف وكف بصر القاضي فكان من الفضائل للكشاف التي حكاها والدي أن القاضي عبد العزيز رحمه الله كان يقابله بنسخة الكشاف وقت القراءة على السراج في مسجد صبيح ويقرأ الحواشي التي بخطه وخط والده، وبعد تمام القراءة في المسجد في بعض الأيام والقاضي راجعاً إلى بيته والجمال التي تحمّل للحدادين أحمال الحديد في الطريق، فلم يميز القاضي الحمل حتى وقع فيه مع أنه كان يقرأ الحواشي على سراج المسجد، فعرف أن ذلك فضيلة قرآنية لصاحب الكشاف. وقرأ الكشاف بعد سماعه هذا على السيد العلامة أحمد بن يحيى بن أبي القاسم المشهور برغافة.

ثم بعد مدة قرأ عليه من الأعيان السيد العلامة أحمد بن المهدي وولده صلاح بن أحمد والسيد أحمد بن محمد القطابري والسيد الحسن بن داود القطابري والفقيه صلاح بن نهشل المذنوبي والفقيه مطهر بن علي النعمان الضمدي. ثم قرأه قبل هؤلاء القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين المسوري (قلت كان ذلك في سنة ١٠٣٠ كما سيأتي). وفي سنة ١٠٣٤ أربع وثلاثين وألف قرأه عليه سيد سادات العترة ورئيس أهل البيت الحسن بن أمير المؤمنين المنصور بالله قراءة محققة ومعه القاضي أحمد بن يحيى حابس وجماعة من السادات الكرام وغيرهم.

ووفاة صاحب الترجمة في شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٥ خمس وثلاثين وألف ببيت القابعي وهو المسمى بأقر في حضرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم وكان وصل إليه للزيارة فوقف لديه يومين وأختار الله له لقاه في ذلك المكان وعليه قبة أمر بعمارتها الإمام المؤيد بالله انتهى كلامه.

وقد كان السيد داود بن الهادي قد كتب قصيدة رد بها على السيد صلاح بن أحمد بن المهدي قال فيها:

بعد أن عمرت خمساً سلفت ومضى قبلها خمسون عاما

فلم يعش بعدها إلا دون ستة أشهر.

ومن شعره رحمه الله هذه القصيدة المثبتة أثناء ترجمته في مطلع البدور ومجمع البحور وقد وقفت عليها بخط يده رحمه الله تعالى وأعاد من بركاته:

إلى الله أشكو عالم السر والنجوى تحمل هم لا يطيق له رضوى
وجور زمان دأبه خفض كامل ورفع الذي لا خير فيه ولا جدوى
فيحظى لديه جاهل ومغفل ومن كان قرماً لا يقيم له دعوى
عتبت على دهري وقلت إلى متى تعاملني بالضد في كل ما أهوى
فقال مجيباً لي بعنفٍ وغلظةٍ وأي كريم قد أجبتُ له شكوَى
فعُدت إلى الإخوان أشكو فعاله بقولٍ يُذيب الصمّ أحلى من الحلوى
فقالوا جميعاً: لا تلمه فإننا لأعوانه فاصبر على هذه البلوى

ومالوا إلى غمرٍ يرون فعاله وأقواله أحلَى من المنِّ والسلوى
وأمّا كلامي فهو صاب وعلقم يقولون أوجز قد أطلت فلا نقوى
فلمّا رأيت الأمر وعراً سبيله فزعتُ إلى مولاي أطلبُه التقْوَى
وقلت إلهي لم يكن لي مفزع سواك لدفع الهم والضُّر والأسوَى
فلا تلجني ربي إلى الناس كلهم فلم يبق لي في غير جودك من رجوى

وله هذه القصيدة أوردها المولى العلامة أحمد بن يحيى العجري في ذروة المجد الأثيل يتجرم فيها من أحوال أهل الزمان وما جبلوا عليه من عدم القيام بواجب ذي الفضل وأولها:

يا قلب مالك صرت حلف بلابلا أمَ لجسمك صار مضنى ناحلا
أذكرت ربعاً بالغوير ولعلع والأبرقين ونعم تلك منازلا
وذكرت سكان العقيق وحاجر ومكارماً كانت لهم وشمائلا
أم هل تذكرت الشبيبة والصبا حين المشيب غدا بفودك نازلا
أم هل ذكرت معاشراً ومجالساً تشفيك سؤلا وتشفي سائلا
أم هل ذكرت من الذنوب عظائماً حملتها قلباً ضعيفاً غافلا
أم هل تذكرت الحمام وروعة فظللت من ذكراه صباً ذاهلا
أم هل تذكرت القبور وضيقها وسؤال ملكيها وهولاً هائلا
ثم النشور وهول يوم حسابه يا ليت شعري ما يجيب مسائلا
ثم المقام بدار خلد ناعماً أو في الجحيم مكبلا بسلاسلا
إن كان من هذا فعقلك وافر فالبعض منه يذيب صم جنادلا
أو كان في أمر الدنية فابتدر فبغير شك لست عندي عاقلا
فارغب عن الدار التي قد زخرفت بملابس ومساكن ومجادلا
فيها الخطوب مع الهموم بأسرها توهى القوى وتذيب منك مفاصلا
وبليت فيها دائماً بمعاشر مترقب لمهالك وغوائلا
في صورة الرجل الصديق محاضراً فإذا تغيب يثير سماً قاتلا
أو جاهل فطن بأمر معاشه وعن المعاد تراه فدماً خاملا
إن ترمه بالجهل قال جلافة أنت الجهول فلا تكن متجاهلا

أو توله الوعظ البليغ هداية قال اهتد إن كنت حقاً كاملا
أما القريب فإن رضيت بفعله أغضى وإلا صار ودك حائلا
ينسى الجميل إذا تقضى وقته إن لم يكن في كل وقتك فاعلا
ومتى أردت من الصديق صداقة ترضى تراه عن الصداقة مائلا
وإذا جنى وأردت أنت عتابه لم تلقه إلا عدواً خاتلا
تلقى عيوبك عنده محفوظة وتراه عن ذكر المناقب عادلا
ما أكثر الأصحاب حين تعدهم لكن تراهم في الخطوب نوازلا
وكذا القبائل فاتركن معرضاً لا ترتجي في النائبات قبائلا
قد أزمعوا أن ليس منهم حاجة تقضى فلا تك في قضاها آملا
وحقوقهم فرض عليك وواجب ويرون حقك في الحقيقة باطلا
والسوقة الأوباش إن وافيتهم بمجالس ردوا السلام تكاسلا
ما همهم إلا لجمع حطامهم لا يذكرون مناقباً وفضائلا
قد حرت في أخلاقهم وفعالهم وضللت للحزن الطويل مزاولا
وأعلم بأني ما حكيت أفيكة فيهم ولا حبرت نظمي هازلا
إلا قليلا خصهم خلاقهم بمكارم وفضائل وفواضلا
فيهم حياة الدين بعد مماته أكرم بهم من أكرمين أماثلا
وهم وإن قلوا ففيهم كثرة فاجعلهم عند الخطوب وسائلا
يا رب سلمهم وزدهم رفعة واخلع عليهم من هداك غلائلا
واغفر لعبدك سيدي متجاوزاً واجعله في الأبرار ربي داخلا
وكذا الأقارب ثم أهل مودتي فاشملهم يا رب عفواً شاملا
ثم الصلاة على النبي وآله مهما حدا الحادي واطربا بازلا

انتهت القصيدة وقد نقلت عن نسخة سقيمة كثيرة الأخطاء فليعلم المطلع وليتدارك ذلك.

***

قلت: وكان السيد داود بن الهادي الغرة الشادخة في بني المؤيد والمرجوع إليه في المهمات الكبار وقد أشار إلى مزاياه الفقيه البليغ الأديب أحمد بن محمد البهكلي في قصيدته التي امتدح بها محروس العشة سنة ١٠١٦ ست

عشرة وألف وقد تقدم أولها في ترجمة السيد أحمد بن إبراهيم بن محمد المؤيدي وتعرض لأعيان السادة بني المؤيد منهم صاحب الترجمة فقال:

واهتف بذي القريحة الوقادة داود رب الفضل والسيادة
العالم النحرير شمس السادة من لم يزل في طلب السعادة
ليس له كغيرها من قصد
أفصح منطيق إذا ما الفصحا تجمعوا كان لهم قطب الرحا
ما إن يزده الكشف علماً موضحا إذ علمه أشرق من شمس الضحى
لا يزال يهديها لكل رشد

وكان لا يزال متنقلا ما بين ساقين وصعده وله بكل منهما دار واستيطان وقد يقيم بساقين فيطيل الإقامة وكتب إليه بعض الأدباء الأفاضل كتابا بليغا إلى ساقين بعد أن تأهل بها يتضمن معاتبته على طول غيبته وبقاءه هناك فأجاب بكتاب مماثل جاء منها هذه الأبيات الرائقة:

صب بكم يا أهل وادي اللوى يهوى التلاقي بعد طول البعاد
إذا ذكرتم في حديث له حن لذكراكم وذاب الفؤاد
وكلما قال عسى زورة يحيى بها الصب ويحوي المراد
حبستم أطماعه فيكم وصار للصد حليف السهاد
هلا مغنم بوصال له لعله يطعم طيب الرقاد
فإنه ما زال مغرى بكم دموعه تنهل في كل واد
لا تحسبوه مائلا عنكم أو يرتضي السكنى بهذى البلاد
وليس يرضى بدلا عنكم ما مية ما زينب ما سعاد
وإنما ذلك من دهره ما زال يرميه بسهم العناد
فعاملوه سادتي بالرضا فأنتم صفوة رب العباد

ومن رائق شعره قصيدته التي تقدم منها البيت الذي نعى فيه نفسه وذكر مدة سنوات عمره ومطلعها:

أيه القلب أفق خل الغراما واتركن ذكراك ليلى وأماما
ودع التشبيب في ذات اللما ولذكراك أراكاً وبشاما
واطرح شيحاً وآساً ناعماً وشقيقاً وورودا وخزاما

صرح الزبد عن المحض فما ذكرك اللهو أينسيك الحماما
ثم لحداً وسؤالا هائلا وقبوراً وحسابا وقياما
بعد أن عمرت خمساً سلفت ومضت من قبلها خمسون عاما
رب ثبتني فإني خائف من ذنوب انحلت قلبي السقاما
ونظام جاءني من يقظ يعجز الفصحاء سبكاً ونظاما
مع معان رائقات غضة تسحر الألباب تعلو أن تسامى
من صلاح الدين حقاً من بنى فوق ربع المجد ربعاً ومقاما
سبق السادات أرباب العلا وغدا للمجد والجود سناما
أسأل الرحمن أن يحفظه وكذا يعطيه سؤلا ومراما
يبلغ الغايات من آماله ويرى للدين والدنيا قواما
سنه سبع مع تسع وقد جمع الفخر خلفاً وأماما
وصلاة الله تأتي أحمداً ما شدا في الأيك قمري وحاما

وهذا يقضي أن مولد السيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي الآتية ترجمته قريباً في سنة ثماني عشرة ١٠١٨ كما أشار في البيت:

سنه سبع مع تسع وقد جمع الفخر خلفاً وأماما

وهذا لا يتفق لأن قراءة السيد الصلاحي ووالده وجماعة الأعيان على صاحب الترجمة في الكشاف ما بين سنة ١٠٣٠ و١٠٣٤ فيكون عمره في تلك السنوات دون البلوغ. وفي الذهن أن القصيدة المذكورة ليست مرسلة إلى السيد الصلاحي بل هي جواباً على السيد صلاح بن داود بن المهدي والله أعلم.

ورأيت في إجازات تلميذه القاضي الحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري المتوفي بشهارة في سنة ١٠٧٩ عند تعداده مشايخه ما خلاصته:

ومنهم السيد العلامة داود بن الهادي صحبته مدة وأخذت عليه حسناً نافعاً ومن مسموعاتي عليه الشطر الأخير من شرح نجم الدين على كافية ابن الحاجب من الكتابات ابتدءاته عليه بمسجد زيد المعروف بمدينة صعده في أواخر ذي القعدة عام ١٠٢٩ وفرغت منه آخر محرم غرة سنة ثلاثين وألف بمنزلة المسجد المعروف بالواسط بساقين ثم ابتدأت عقيبه في سماعي عليه كتاب معتمد الأصول في أحاديث الرسول الذي جمع الفقيه العلامة المحدث محمد بن يحيى بهران ابتدأت قراءته يوم السبت غرة صفر من عام ثلاثين بمدينة ساقين وفرغت من سماعه إلى آخره خاتمته يوم الثلاثاء لعله الرابع والعشرون من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة بمدينة صعده ثم شرعت

عليه يوم الأربعاء ثاني اليوم المذكور وهو الخامس والعشرون في سماع كتاب الكشاف وفرغت من سماع جميعه بفضل الله في يوم الخميس التاسع والعشرون من جمادى الآخرة من تلك السنة فمقدار أيام السماع خمسة وخمسون يوماً بمدينة صعده بمنزل السيد صاحب الترجمة إلا مجلس الختم ففي المسجد المعروف بمسجد النزاري وكتب لي رحمه الله في ذلك العام إجازة شاملة لجميع مسموعاته ومستجازاته عن مشايخه التي أحدثها ما تلقاه بالإجازة العامة من الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد انتهى.

٣٩ـ الفقيه سعيد بن داود الآنسي

الفقيه العالم الزاهد العارف سعيد بن داود اليمني الآنسي.

ترجمه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور ومجمع البحور فقال:

الفقيه العالم النحوي المقري شيخ القراءات السَّبع إنسان أهل الطريقة على الحقيقة التارك للدنيا. كان عالماً كاملاً جامع القلب مولعاً بالقرآن أقام بمسجد النور بصعده منقطعاً إلى العبادة وكان إذا مرّت به الزواجر كثر بكاؤه وإذا ذكر الألفاظ المشجية بكى. حكى عنه أنه قرب له عنب من نوع يسمَّى الغريب في صعده فقال: ما اسم هذا؟ قالوا: غريب فقال: غريب يأكل غريب وبكى كثيراً، وله بلاغة فائقة في النظم والنثر وأشعار كثيرة حكميَّة وحمينيّة على منهاج الصوفية، وله تخميس قصيدة العلامة ابن بهران اللامية وله جواب على من أجاب على الزمخشري رحمه الله بقوله:

عجباً لقوم ظالمين تلقبوا بالعدل ما فيهم لعمري معرفة

فأجابه الفقيه بأبيات كثيرة أولها:

قال الخبيث تعصباً وجهالة لمقالةٍ عدليّة مستظرفة

قلت وبقية الأبيات هي ما وقفت عليه في بعض المجاميع:

آوى بك الحمق المضل بأهله فركبتها عشواء وما بك معرفة
منتك نفسك أن ترى رب العلا وهو المنزه عن مقال ذوي السفة
أو ما نهاك مقاله لكليمه ردا عليه بل ولكن مردفة
لو صح ما نقلوه واعتصموا به كان الحري به الثقات المنصفة
أقمار آل محمد وشموسها وبحور علم بالنواصب مرجفة
سلكوا طريق الحق واتسموا بها وتنكبوا سبل الضلال المتلفة
فهم هم والحق أبلج مشرق وهم السيوف المصلتات المرهفة
وهم القسي الراميات سهامها رشقاً لأرباب الشقاء والعجرفة
فاركب على اسم الله سفن نجاته واحذر شياطين الهوى المستخطفة

قال القاضي: وتوفي يوم الخميس حادي عشر من شهر جمادي الأولى سنة عشر بعد الألف رحمه الله.

***

قلت وتخميس صاحب الترجمة على قصيدة ابن بهران اللامية هي ما وجدت في بعض المجاميع وهي نسخة سقيمة كثيرة الأغلاط والتصحيف، وأول ذلك التخميس:

لا تجنحن إلى الإهمال والملل
وتتبع النفس بالتسويف والأمل
واعمل بقول الذي اسمى على زحل
الجد في الجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

وخالف النفس واحذر من عوائلها
لا تخدعنك فتضحي في غوائلها
ولا تدين بشيء من مسائلها
وشم بروق الأماني في مخايلها بناظر القلب تكفى مؤنة العمل

إلى آخر التخميس. ومن شعر الفقيه سعيد بن داود صاحب الترجمة ما قاله عقيب دخول السيد العالم الحافظ أحمد بن عبد الله الوزير إلى صعده مستنجدا بأميرها الأمير أحمد بن الحسين المؤيدي للغارة على السيد الرئيس المطهر بن الإمام شرف الدين لما أطبق عليه الحصار بحصن ثلا من قبل الوزير سنان باشا، ونظم في ذلك قصيدة مطلعها:

هادت الأحاديث عن أحبابنا هات ما حال أهلي وجيراني وساداتي

وستأتي بكمالها قريبا في حرف العين ولما كان ذلك كذلك وكاد الناس أن يتناسوا استصرخ الفقيه سعيد بن داود بهذه القصيدة معارضا للسيد شمس الدين فحصل الفرج من الله تعالى:

الله أقرب من يرجى لغارات وخير منتصر عند الملمات
الله أقرب من يدعى لنائله أجل منتدب عند المهمات
الله أسرع من يجديك نائله وهو الكفيل بتعجيل الاجابات
الله أكرم منزول بساحته أحسن به الظن في نجح الإرادت
الله أغير من يحمي بريته من كل أمر مهم في العقيدات
الله أراف مقصود لمعضلة أهل المكارم فراج العظيمات
الله أقوى وأحمى من يلاذ به لدى الخطوب المهمات المطمات

ومنها:

الله دافع ما يخشى عواقبه نعم الملاذ لتفريج الملمات

الله عون الذي يبغي إعانته عند الشدائد محمود الاعانات
فالمم به أيها المكروب معتمدا عليه مبتهلا دون البريات
فما سوى الله من تشفيك غارته فثق به آملا يا ابن الرسالات
واعكف على بابه الأعلى يريك هدى ويعطف القلب من شمس الهدايات
وإن غارات ذي القربى وإن بعدت منوطة بمقاليد الإرادت
وإنما ينبغي من عطف رأفته دفع الملم بمحوٍ بعد إثبات
ويبدل السوء والضراء بعاقبة وغارة منه تقضى بالبشارات
ويقذف الرعب في قلب المخيف لنا من الأعاجم أرباب الخلاعات
ويهلك الكل من أعوان دينهم بسهم رام سريع في الإصابات
فكم جيوش رمامها سهم قدرته كعصبة الفيل والأحزاب في الآتي
وكم خطوب بفضل الله قد دفعت بفضله وحبانا حسن عادات
وكم أعز ذليلا بعد ذلته وكم عزيز تردى في الاهانات
فابسط أكفك نحو العرش منطرحا إليه مستنجدا سرع الإجابات

إلى آخر القصيدة وهي طويلة.

٤٠ـ النقيب سعد المجربي

النقيب البارع الفذ سعيد المجربي المملوك الصعدي النشأة الصنعاني الوفاة.

والمجربي نسبة إلى قرية ألت مجرب بالجيم المعجمة الساكنة ثم الزاي من قرى وادي علاف وأعمال صعده وكان مملوكاً حراثاً مع سيده أحد مشايخ الشام من أهل مجرب ثم صار مملوك المولى شرف الإسلام الحسن بن الإمام القاسسم أيام ولايته على صعده ما بين سنة ١٠٣٢ وسنة ١٠٣٦ ست وثلاثين وألف.

وكان صاحب الترجمة هماماً ذا همة قعساء وجلد ومعرفة وولاه الحسن بن الإمام القاسم بعد إخراجه للأتراك من زبيد في سنة ١٠٤٦ على بندر اللحية والضحي فاستمر على ذلك نحواً من أربعين سنة وله مع الفرنج البرتغاليين على سواحل وشواطىء البحر الأحمر الطامعين في الإستيلاء عليها حروب وتجهيزات وصرامة وفي كتاب طبق الحلوى وقد ذكره في حوادث سنة ١٠٨٠ ثمانين وألف ما لفظه:

وفيها استدعى الإمام المتوكل حاكم اللحية والضحي ومور وهو النقيب سعيد المجربي فاعتذر بضعفه عن الوصول وناب عنه ولده في المثول فصدقه في قوله وعذره وعلى كمران واللحية قصره وتوجه الضحي ومور إلى غيره على الفور انتهى. وذكره في خلاصة المتون فقال: وفي ثامن عشر ربيع الأول سنة ١٠٨٦ ست وثمانين وألف توفي

بصنعاء بعد وصوله من ضوران النقيب سعيد المجزبي مملوك شرف الإسلام الحسن بن القاسم وناله بعد عزله وسكونه بضوران مرض مات منه انتهى.

وولده الحاج سعد بن سعيد المجزبي كان متوليا للمخا وتوفي بصنعاء سنة ١١٥٣ ثلاث وخمسين ومائة وألف ذكر ذلك السيد المحسن بن الحسن أبو طالب في كتاب طيب أهل الكسا.

(استطراد ذكر الشيخ علي بن سليمان مجزب)

ومن قرية ألت مجزب الشيخ علي بن سليمان مجزب وهو من أهل هذا القرن الحادي عشر وكان نظير معاصره الشيخ الأجل الفاضل أحمد بن علي كباس في الرتبة على تفاوت في المحاسن والشمائل والتدين والموالاة. فالشيخ علي بن سليمان كان متاخماً للأتراك في أول أمره على خلاف الشيخ ابن كباس المتقدم ترجمته في حرف الألف.

وقد ورد ذكر الشيخ علي بن سليمان المذكور إبان استفتاح صعده للمرة الثالثة أيام الإمام القاسم بن محمد ونلخص السبب الذي ساق إلى افتتاحها هذه المرة فإنه لما ظهر عزل جعفر باشا عن ولاية اليمن بمحمد باشا وسعى الأول إلى انعقاد الصلح بينه وبين الإمام القاسم بن محمد كان انعقاد الصلح بينهما على أن يبدأ في شهر رجب سنة ١٠٢٥ خمس وعشرين وألف وينتهي شهر رجب من العام الذي يليه فتم بذلك الصلح للوزير جعفر باشا استخراج أحد خواصه وهو الأمير صفر وكان متوليا له على صعده وعلى يديه كانت حادثة الشقات التي قتل فيها ابن الإمام، وكان في ذلك التاريخ محصورا في صعده فأرسل الإمام القاسم عليه السلام من خرج مع الأمير صفر، وجعل الباشا جعفر ولاية صعده إلى الأمير صلاح بن أحمد بن الحسين المؤيدي الآتي ترجمته إذ هو من أمرائهم، وجعلوا معه العسكر الذين في صعده وهم قريب من الألف نفر ونحو مائتي فارس.

قال السيد المؤرخ مطهر بن محمد الجرموزي الحسني:

فاتفق أن هذا الأمير صلاح كان له خادم غالب على أمره يسمى صلاح السقاء فطلب من حول صعده من القبائل مالاً يحملونه لا سيما مع أن الجبال من جهة خولان وبني جماعة إلى الإمام عليه السلام لا شيء عليهم مما على سحار يعني الذين في الصعيد منهم، وإلا فإن الشيخ أحمد بن علي بن كباس وبني معاذ والأزقول في صلح الإمام عليه السلام، فأوغر صدروهم، ثم إنه طلب من الشيخ علي بن سليمان بن مجزب وكان ناصحاً للعجم، وكان له شوكة ورئاسة معتادة ثلاثمائة حرف يحصلها في يوم واحد، فعظم على الشيخ المذكور وأنف أن يطالبه مثل هذا الخادم، وأن الشيخ أحمد بن كباس وغيره ممن هم دونه في ناموس ونعمة وعدل ظاهر، فندم على تخلفه عن الإمام عليه السلام غاية الندم فاستمهل في تلك المطالب وخرج إلى بلده ألت مجزب، وأرسل بالعقائر إلى جميع قبائل سحار وحلفاؤهم فمدوه برجال ووالاه كثير من أهل صعده وأمدوه بمال، ثم أرسل عقائر أيضاً إلى مشارق صعده فأجابوه وقصدوا صعده فحاصروها حتى منعوا منها جميع المنافع، ثم قصدوا المصلى والمقابر وناشبوهم الحرب ليلاً ونهاراً والزيادات إليهم من القبائل ومع ذلك يراسل الشيخ ابن مجزب إلى الإمام عليه السلام فلا يجيبه الإمام بل يمنع أهل بلدته ويتشدد عليه السادة، وقال: دعوهم وبعضهم بعضاً واحتالوا حتى دخلت المدينة وانهزم جنود

الظلمة إلى القصر والمنصورة فحاصروهم أيضاً حصاراً شديداً والأتراك يراسلون الإمام عليه السلام فلا يجيب عليهم إلا: هذه رعيتكم التي ثارت عليكم، فاتفق أن رجلاً يسمى محمد عناش من أهل الحقل بايع جماعة من أهل البسالة والاجتهاد أن يفعل ثقباً تحت الأرض طويلاً حتى يفتحه من داخل المنصورة، وشاع ذلك فخاطب الأمير صلاح ومن معه وطلب الرفاقة على تسليم صعده ويفتحون له الطريق إلى صنعاء، ففعلوا وأخذوا سلاحاً كثيراً، وبقيت صعده في يد الشيخ علي بن سليمان والقبائل، وأظهر القبائل أن صعده للشيخ علي بن مجزب وقد تقسمونها فكل حافة من حافاتها استجارت بقبائل فراسلوا الإمام عليه السلام يرسل لقبضها فلم يجبهم حتى كملت السنة وانقضت أيام الصلح شهر رجب من سنة ١٠٢٦ فأمر السيد الكبير شمس الدين أحمد بن المهدي المؤيدي لقبضها وقبض ما حولها، فدخلها السيد شمس الدين وقد خالط أهلها القبائل وملكوا أمرها وغيروا قانونها، فعالجهم السيد أحمد علاجاً شديداً وكان فيه رحمه الله رئاسة وكرم أخلاق وسخاء وساقها إلى الإمام عليه السلام وبقي متوليا لأمور صعده على شقاق من أهلها وعدم انقياد حتى استرجح الإمام جعل ولاية صعده وجهاتها إلى ولده أحمد بن الإمام القاسم وذلك شهر رجب سنة ١٠٢٧ وكتب له كتاب الولاية المشهور.

ولم أضبط تاريخ وفاة الشيخ ابن مجزب، ثم رأيت في كتاب العقيق اليماني ما يشير إلى بقاءه حيا إلى سنة ١٠٣٨ ففي هذا العام ذكر العلامة الضمدي أنه نزل مشايخ سحار الشيخ ابن مجزب والشيخ بن كباس إلى أرض صبيا يصلحون بين أشراف صبيا والقطبة بأمر الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم. فتكون وفاته بعد هذا التاريخ والله أعلم.

٤١ـ السيد شمس الدين بن الهادي الأعمش

السيد العلامة شمس الدين بن الهادي الأعمش من ذرية الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. كان عالما مدرسا بصعده وكان على قيد الحياة سنة ١٠٦٨ رحمه الله تعالى.

ذكره السيد علي بن داود بن الهادي في هامش مشجر السيد الجلال.

٤٢ـ الفقيه صديق بن رسام السوادي

الفقيه العلامة الفاضل صديق بكسر أوله وتشديد الدال المهملة بن رسام بن ناصر السوادي الصعدي اليمني. أخذ عن شيخ الشيوخ لطف الله بن محمد الغياث الظفيري وعن السيد الكبير داود بن الهادي المؤيدي وغيرهما وأخذ عنه جماعة أجلهم سلطان اليمن المولى محمد بن الحسن بن الإمام القاسم والقاضي حسن بن يحيى سيلان وغيرهما من علماء صعده ترجمه صاحب مطلع البدور فقال:

العلامة الفقيه الفاضل شيخ العربية. كان مبرزاً فيها إلى النهاية في السماع والتحشية والتصحيح لكتبها رحل للطلب فيها وفي غيرها من الفنون إلى الظفير وأخذ عن شيخ الشيوخ لطف الله بن الغياث وعلق على بابه ووقف بأعتابه حتى مضى سماعه على كتب العربية بأنواعها مع ضبط وتصحيح وتعلق بخدمة شيخه المذكور مدة ثم رحل

بعد ذلك إلى شيوخ فلم ير بعد الشيخ لطف الله أستاذاً ثم أقبل على الفقه حتى حقق وبرع وصار أحد أعلامه، وولاه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم قضاء جهة خولان بمغارب صعده وكان من القضاة الصلحاء متوسط الحال على كل شيء يحاسب نفسه في أكثر الوقت حتى لقي الله وهو خفيف الظهر لم يخلف من العروض ما يعود بفائدة إنما كان له داره بصعده ومخترف أولاده انتهى.

وترجم له السيد إبراهيم بن القاسم الشهاري في الطبقات والشوكاني في البدر الطالع والسيد المؤرخ محمد زبارة في خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون فقال:

القاضي العلامة العارف الحبر الصديق بن رسام السوادي الوايلي. كان محققاً لقواعد الفقه وإماماً في العربية وأفاد عالماً في الفنون على أنواعها ونسخ بخطه الجميل الصحيح كتباً كثيرة منها البحر الزخار وحواشيه وتخريجه نسخة في غاية الصحة والضبط موجودة إلى هذا القرن الرابع عشر الهجري وهي في مجلد واحد غاية في الإتقان. وله حواشي على كتب النحو والصرف منقولة في كتب أهل صعده وكان إليه القضاء ببلاد صعده وساقين يتنقل بينهما وله خلف صالح فيهم العلماء والفضلاء والنبلاء انتهى.

وكانت وفاة صاحب الترجمة بصعده المحروسة سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف وقبره بالقرضين شامي مشهد آل حابس رحمه الله. ورأيت في بعض كتب التواريخ ما يفيد أن المترجم له أصله مولى من بلاد الجوف عتق وانقطع إلى العلم الشريف في صعده وظهر علمه وقرأ عليه كثير من العيون وأنه ولي القضاء في بلاد خولان آخراً بعد وفاة الفقيه محمد بن الهادي بن أبي الرجال سنة ١٠٥٣ ثلاث وخمسين وألف.

٤٣ـ السيد صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيدي

السيد الأديب البليغ صلاح بن أحمد بن عز الدين بن الحسين بن عز الدين بن الحسن بن الإمام الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني المؤيدي اليمني.

مولده بصنعاء خامس عشر شهر ربيع الأول سنة ١٠١٥ خمس عشرة وألف بدار الإمام شرف الدين المسمى بدار العلف عند مسجد محمود لأنه قد كان ملكه السادة من أخواله الأمراء آل المؤيد. وقد ترجم له القاضي ابن أبي الرجال في مطلع البدور استطراداً في ترجمة صنوه السيد محمد بن أحمد بن عز الدين المعروف بابن العنز الآتية ترجمته في حرف الميم وأثناء ترجمة السيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي فقال:

السيد البليغ بديع الزمان صلاح الملة، نشأ على الأدب والبلاغة وكان صدراً في مجالس الكبراء مقدماً حسن التعبير كأنما خلق للأدب فهو من أعذب الناس ناشئة وأرقهم حاشية حافظاً للآداب حريصاً على الوظائف وهو مجيد الشعر، وله أشعار في كل معنى، وكان أحد من يحف بالسيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي من السادة والعلماء، وعليه قرأ في كتاب المطول، وبينه وبين السيد الصلاحي مفاكهات وأدبيات قد فاتت عليّ بعد إطلاعي عليها وحرصي على حفظها فالله المستعان. قال: من ذلك ما أخبرني المترجم له قال: وكانت قد تقدمت عتابات بيننا وشكايات ولم أتفق به مدة فأرسل إلي طعاماً على يد خادم من خدامه يعتاد صنعَة الطعام يريد

حضوري فكتب:

رب طعام حسنت ألوانه قد جاءنا على يدي ممنطق

يأكل منه شابع وجايع .....

وترك بياضاً. وقال للأصحاب:

الصنو صلاح بن أحمد بن عز الدين عافاه الله سيكتب هنا: ويستوي فيه السعيد والشقي. فلما وصل الرسول كتبت ذلك بديهة وكتبت بعد ذلك:

نقي خد عجلاً قد جاءني .....

وتركت بياضاً وقلت: سيكتب الصنو صلاح: يا حبّذا ذاك الحثيث والنقي.

قال القاضي ابن أبي الرجال: وللسيد صلاح بن أحمد معاني حسنة ومقاطيع فائقة سلك فيها مسلك الأدب على شروطه ويعجبني إيداعه لصدر قصيدة ابن الفارض فإنه قال ولله دره:

وصغيرة حاولت فض ختامها من بعد فرط تحنن وتلطف

وقلبتها نحوي فقالت عند ذا: (قلبي يحدثني بأنك متلفي)

وهذا معنى يهتز له اللبيب وقائل هذا في الزمان غريب وله في السيد الصلاحي ووالده مراثي مشجية انتهى كلام القاضي وأورد من شعره أيضا هذه الأبيات التي وجهها إلى عز الإسلام المولى محمد بن الحسن بن الإمام القاسم المتوفى بصنعاء سنة ١٠٧٩هـ.. قلت: وقد أعطاه قميصا اسم نوعه حسن يوسف:

بنفسي ومالي خير ملك من الورى وأقومهم بالحق في كل موقفِ

رأى حزن يعقوب يساور مهجتي فأعطى لها من فضله (حُسْن يوسف)

فإن منحتُه شكر داود همتي فما منحت من واجب فعل منصف

فمن حلم إبراهيم حلم محمد ومن طبع إسماعيل علّم أن يفي

صبورٌ كأيوب خطيبٌ كأنه شعيب أخو القول البهي المفوّف

كريمٌ كيحيى لم يهمّ بريبة طبيبٌ كعيسى كم به مدنف شفي

كإدريس صدِّيقٌ عزيز كصالح برهط كرام دافعي كل مسرف

فيا ربَّ ذي الخلق العظيم محمّدٍ به وبهم نج المليك وشرّف

وزد في بقاه عمر نوح وأوْلِه كملك سليمان لجانٍ ومعتفي

وصل على من قد ذكرناه إنهم همُ خير هادٍ في البرايا ومقتفي

. قلت: وكان السيد صلاح المذكور من ملازمي المولى عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام أيام ولايته على صعده وانتقل بانتقاله إلى صنعاء فاستطاب سكناها.

وقد ذكر صاحب طبق الحلوى وغيره أن المترجم له تولى للمولى محمد بن الحسن طرفاً من وظيفة الإنشاء

وغيرها وكان له في الإنشاء اليد الطولى وله النظم الرائق. وأكثر شعره في مدح مخدومه المذكور المولى محمد بن الحسن وقد ضم ذلك كتاب أغصان الياسمين في مدائح المولى محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين. منها هذه القصيدة نظمها وقد أزمع على مفارقة مقامه لزيارة أرحامه بصعده في شهر صفر سنة ١٠٦٢ اثنتين وستين وألف:

أستودع الله ظلاً باسق الشجر ومسرباً سابغاً عما يشوب عري
وروضة يجتني منها المطيف بها طيب الأماني في الآصال والبكر
أسير عنها وفي قلبي تذكرها وحب ساكنها نقش على حجر
وكان في نظري ألا أفارقها فعارضتني الليالي السود بالنظر
وحسنت صدَري عنها إلى وطني وهي التي باعدت عن أهلها وطري
فإن رحلت فقلبي غير مصطبر وإن أقمت فقد أغرقت في السفر
أقمت ست سنين في أزال فلم أعد شيئا قبيل الست من عمري
لأنها جنة الدنيا كما شهدت لها الصحاح به في صادق الخبر
تحكى البطاح وحصباء البطاح بها قراضة التبر فيها منتقى الدرر
ما بين حدتها الخضراء وروضتها الـ غراء وحمراتها الزهرا إلى جدر
جو فتيق ومعنى في الهوى حسن يزيد في السمع إدراكا وفي البصر
لو انها عاجت الريح السموم به وأصبحت وهي تحكي نسمة السحر
سقى أزال غمام صالح الأثر إلى جفوني يعزى لا إلى المطر
فكم بأكنافها روض تمد به أيدي السحاب رواق النور في الشجر
وكم جداول في أطرافها انحدرت تنمى إلى المزن طيب الطعم والحصر
وجاد منظرها ما يستديم به مستمتع السمع أو مستنزه النظر
فكم صحبت بها من معشر طهر مقاولٍ غير أعياء ولا هُذُر
أقمت فيها ومخدومي وملتزمي لب اللباب وخير السادة الخير
الخالص الحال من كل المطاعن والـ ـمثنى عليه بخير عند كل سري
الطيب الحبر بن الطيب الحبر ابـ ـن الطيب الحبر ابن الطيب الحبر
ظل السلامة من يأوي إليه فقد آوى إلى محكم الآيات والسور
كهف النجاة محل اللائذين به من الخطوب محل الشمس والقمر

ومن كمثل أبي يحيى له شغف بالصالحات وإقبال على الأثر
حامي حمى الحق بالبيض الرقاق وبا لسمر الدقاق وبالادلاج في البكر
في أمنه سارت الركبان مزودة وامتد في الأرض صوت الطائر الحصر
استودع الله كفا منه طاهرة تغني إذا هملت عن واكف المطر
ولهجة شرفت ألفاظها وعلت عن أن ترد إلى الياقوت والدرر
وبهجة كلما لاحت أشعتها فالشمس من دونها في صادق النظر
وخاطر يسع الدنيا بأجمعها فلن يضيق بأوزاع من الصور
وطود حلم رسى فوق الثرى وعلا على السماء فلن يهتز للخطر
استودع الله مولا نعمتي وأخا شيحي وشيخي في الأحكام والسير
من لف عرقي به الهادي وصفوته الناصر الحق بالصمصامة الذكر
فلم يزل راعياً قربي ومعتبرا حق التزامي به في كل معتبر
فلو تركتُ ومختاري لما ركبت عزيمتي عن ذراه غارب السفر
لكنها حالة الدنيا منافعها مدفوعة (أينما جالت) إلى الضرر
فالله يوزعني شكراً لنعمته شكر الرياض لهطل الواكف الدرر

إلى آخر أبيات القصيدة.

***

وفي أثناء ترجمته بخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للدمشقي المحبي ما لفظه:

ورأيت في بعض أخبار علماء اليمن أن لصاحب الترجمة مؤلفات مفيدة وأجوبة شهيرة منها شرح الفصول في علم الأصول للسيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن الوزير وهو من أقاربه يعني أن صاحب الترجمة من أقاربه، قال القاضي الحسين المهلا في وصفه أنه من أصدقاء والدي وأهل مودته وأرسل وهو بجبل رازح من أعمال صعده كتابا إلى صاحب له بأبي عريش يسمى صديق بن محمد وافتتحه بقول أبي محمد بن سارة البكري الأندلسي:

يا من تعرض دونه شحط النوى فاستشرفت لحديثه أسماعي
لم تطوك الأيام عني إنما نقلتك من عيني إلى أضلاعي

فأجابه والدي الناصر نيابة عن صديق بقوله:

وافى المشرف رائق الابداع من سيد ندب كريم مساعي

أضحى لأشتات الفضائل جامعا حتى اجتمعن لديه بالجماع
يجري بميدان الطروس أعنة الأ قلام بالتكميل للإبداع
أيلم بي سقم الفراق وكتبه فيها نسيم البرء للأوجاع
وصديقه صديق ابن محمد يكبو إذا ما همَّ بالاسراع
ما ابن اللبون يصول صولة بازل حتى اجتمعن لديه بالاجماع
فانعم ودم متمكنا متملكا لشوارد الأشعار والأسجاع
من ذاك للود القديم وحفظه كصلاح الشهم الجليل يراعي
لا زلت في غرف العلى متبوئا منها عليّ أماكن وبقاع
تهدى إلى الأبصار أزهر حظكم وجواهر الألفاظ للأسماع

فأجابه صاحب الترجمة بقوله:

أسرعت في نيل الصواب ولم تزل مذ لاح شخصك فيه ذا إسراع
وسبقت أهل الشعر لما قمت في خصل السباق به طويل الباع
وبهرت أرباب القريض فصار كا لتمتام من في النطق كالقعقاع
وكشفت من سر البلاغة أوجهاً كانت قبيل لقاك خلف قناع
أودعته نكت البديع فحارت الأ فكار في الإبداع والإيداع
وجمعت يا صديق كل لطفية حتى لطفت وفزت بالاجماع
ونزلت من أهل الفضائل كلهم بمنازل الأبصار والأسماع
هذا لديك الناصر الأواه وال هادي بن عثمان أبو الاسجاع
قد أرصدا من سحر شعرهما لمن يهواك كل براعة ويراع
فإذا حباك الدر بالوزن امرؤ كالوا له عن درهم بالصاع
وإذا دنا شبرا إليك مواصل منحوه من لقياك ألف ذراع
فضلا حباك به الإله ونعمة والله يحبو من يشا ويراعي
وإليكها عمن يوزع قلبه البر حا فخذ سمعًا عن الأوزاعي
قد كنت عفت الشعر ثم أتيته وأجبته إذ كنت أنت الداعي
ليلوح عندك صدق قولي إنما نقلتك من عيني إلى أضلاعي

فأجابه الناصر المذكور عنها بقوله:

انطق فعندك للقريض دواعي قد جاء من شعر الهمام دواعي
وسعى صلاح في صلاح قريحتي وجزى بعشر الصاع ألف صواع
لا فض فو رجل جليل قالها لفتى قليل بضاعة ومتاع
ما كان من ثدي الفصاحة راضعا لكن تعاطاها بغير رضاع
فلذا يرى وقت السباق مقصراً فاعذر فتى فيها قصير الباع
قد شاع سابغ نعمة الله التي أسدى لكم في الآل والأشياع
ونظمت يا بحر العلوم فرائداً نظمت لكم سحبان في الأتباع
واستعبد الملك ابن حجر شعركم لو عاش لم يقدر على مصراع
وأقرّ كتّابُ الأنام بأنهم رق لرق رائق الإسجاع
من آل أحمد لم يزل يوليهم الـ ـخريت في جبل سما وبقاع
فلذاك عزَّ الدين وانتشر الهدى إذ كان عز الدين أكرم ساعي
أبدى صلاحا لاح من أثوابه نور بدا في عارض هماع
أحيى به الأرباء والأدباء معاً من كل دان أو بعيد بقاع
لا سيما الهادي الأجل ومن له ود أكيد والمحب الداعي
فأبو عريش فاق بلدان الورى إذ صرت راقم اسمه برقاعي
شرفتموه إذ مدحتم أهله بمدائح عن خاطر مطواع
ونعتم صديقه بصديقكم عطفاً وتأكيدا بغير نزاع
من لم يكن عن دوكم بدل له فلرفعه قد صار بالإجماع
يكفيك فخرا ما جرى من مدح من فاق الورى لطفا وحسن طباع
من لام إن أحببت آل محمد فهم الأمان لنا من الإفزاع

ومما قاله صاحب الترجمة يخاطب القاضي العلامة مطهر بن علي الضمدي وقد طلب عارية كتاب إيثار الحق على الخلق:

آثرونا يا صاح بالإيثار كي يكون البلوغ للأوطار
عجلوا عجلوا جزيتم بخير فلهذا الكتاب طال انتظاري

وهي من أبيات وأجاب القاضي عنها بأبيات رائقة مطلعها:

قسماً بالعقول والأنظار وبما ضمنت من الأسرار

وله غير ذلك، انتهى كلام المحبي صاحب خلاصة الأثر ويغلب في الظن أن كل ما نقلناه هنا عن الكتاب المذكور للمحبي الدمشقي مما يخص ترجمة السيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي الآتي ترجمته يؤكد ذلك عدة أمور منها قوله: وله شرح على الفصول في أصول الدين وأيضا قوله: وهو من أقاربه يعني أن صاحب الترجمة من أقاربه والله أعلم.

ومات صاحب الترجمة بصعده في ذي الحجة سنة ١٠٨٠ ثمانين وألف كما في طبق الحلوى وقبره بهجرة فلله رحمه الله تعالى.

٤٤ ـ السيد صلاح بن أحمد بن المهدي المؤيدي

السيد العالم الرئيس الإمام المجتهد المطلق صلاح الدين صلاح بن أحمد بن المهدي بن محمد بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى المؤيدي الحسني اليحيوي اليمني الصعدي.

مولده سنة ١٠١٠ وقيل سنة إحدى عشر وألف وطلب العلم على القاضي شمس الشريعة أحمد بن يحيى حابس الصعدي وعلى السيد الكبير داود بن الهادي ورحل إلى صنعاء فأخذ بها عن السيد محمد بن عز الدين المفتي ومن مقروءاته عليه المطول وجامع الأصول والدامغ والغايات وشرح ابن بهران على الأثمار وكان شيخه السيد المفتي يسميه بالبحر. ورأيت بقلم صاحب الترجمة في نسخته شرح مختصر المنتهى في علم الأصول لعضد الدين الأيجي في الحامية: كان الشروع في سماع كتاب العضد ليلة الخميس رابع عشر شهر جمادى الأولى سنة ١٠٤٤ وكتب في آخرها: من الله على عبده وابن عبديه سماع شرح العضد والمختصر وحاشية السعد في يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان المعظم أحد شهور سنة أربع وأربعين وألف على والدنا وشيخنا السيد العلامة المجتهد المحقق المدقق الحافظ الرحلة الحجة الثبت عز الإسلام بقية السلف الأعلام محمد بن عز الدين المفتي وكان ذلك بالجامع المبارك المقدس المشهور من صنعاء المحروسة في قريب من مائة وعشرين مجلساً انتهى.

وله مستجازات عامة من مشايخه واستجاز في سائر الفنون من مشايخ مكة المشرفة كالشيخ المحدث محمد بن علي علان الشافعي نزيل مكة وعنه السيد الإمام إبراهيم بن محمد المؤيدي وغيره.

وكان السيد الصلاحي صاحب الترجمة من خوارق أبناء الزمان وجهابذة علماء الزيدية الأعلام وافر الفضل منقطع النظير في علو الهمة وارتفاع الشأن بارعاً في التصنيف مجيداً في النظم والنثر من صدور العلماء والأمراء الكملاء يعد من أمراء السيف والقلم. وله مصنفات عدة منها شرح الفصول لصارم الدين الوزير في أصول الفقه سماه (الدراري المضيئة الموصولة إلى شرح الفصول اللؤلؤية) وجمع في فن أصول الفقه أيضاً كتاب (القنطرة)، وله في علم الفروع (لطف الغفار الموصل إلى هداية الأفكار) بلغ فيه إلى كتاب الزكاة في ستين كراسة من ذلك شرح

الخطبة مجلد وقد قرظه بعض أدباء السادة بني المؤيد فقال:

إن نيل السؤل والأوطار وأقاصي المرام للأحبار
ونهايات ما المحقق يبغي من عوان العلوم والأبكار
أصبحت وهي قد حواها كتاب صاغه فكر درة التقصار
فخر آل النبي والعالم الحب ـر صلاح الهدى وزاكي النجار
من حوى العلم يافعاً وامتطى الـ ـمجد في سنين قليلة المقدار
وغدا في العلوم شيخاً إماماً قبل حلم أو اخضرار الازار

وله في علم العربية (شرح شواهد النحو) و(مختصر شرح شواهد التلخيص) للعيني وغيرهما وله (ديوان شعر) زاحم به كما يقول مترجموه الصفي الحلي وأضرابه وعارض مشاهير القصائد النبويات والأخوانيات والغزليات. وقد ترجمه غير واحد من مؤرخي عصره منهم القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

السيد العلامة البحر الحبر منقب المناقب ومقنب المقانب رئيس الرؤساء ومفخر الكبراء. كان من محاسن الزمان ومفاخر الأوان منقطع القرين في كل فضيلة يعده المنصف من معجزات النبوة، محارة لذوي الألباب في فصاحة منطقه وسعة حفظه وعلوّ همته وكرم طبعه وسعادة جده، فهمه جذوة قبس، أناف على الشيوخ طفلاً فكيف يزاحمه أحد في الفضائل كهلاً هذا ومجموع عمره تسعة وعشرون سنة، أحيا فيها من العلوم ما أشرق المبطل بريقه، وسقى كل محق برحيقه، ودوخ العلوم وحقق وقرّر وناظر وناضل. وهو في كل ذلك سابق لا يجارى وناطق لا يمارى. وهذا العمر القصير الذي هو من أطول الأعمار نفعاً اشتمل على قراءة وإقراء وجهاد وغزو وتصنيف وتأليف ومع هذا فهو الثابت لحصار صنعاء مع أبناء الإمام القاسم بن محمد حيث كان في الجراف يشن الغارة ويصابح الأروام ويماسي وافتتح مدينة أبي عريش بعد منازلة جنود الأروام وغزا إلى السراة وجهات المير غزوات عدة وكان منصوراً في جميع ذلك. وكان مجلس السيد الصلاحي محط الرحال للفضلاء معموراً بالمكارم ينافس فيه أهل الهمم ولقد رأيته في بعض الأيام خارجاً إلى بعض المنتزهات بصعده فسمعت الرّهج وقعقعة المراجعة مع حركة الخيل من محل بعيد فوقفت لأنظر فخرج في نحو خمسة وثلاثين فارساً إلى منتزه بئر رطبات[1] وهم يتراجعون في الطريق بالأبيات وما منهم إلا من ينشد صاحبه الشعر ويستنشده وكان هذا دأبه كلفاً بالعلم فكان إذا سافر فأوّل ما تضرب خيمة الكتب فإذا ضربت دخل إليها ونشر الكتب والخدم يصلحون الخيم الأخرى ولا يزال ليلة جميعه ينظر في العلم ويحرر ويقرر مع سلامة ذوق وعدم نظير.

وكان يحف به من السادات والعلماء من تفرد لهم التراجم وتزين بذكرهم الأوراق مثل مولانا صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين وكالسيد الرئيس صلاح بن علي بن عبد الله المؤيَّدي وكالسيد البليغ

---

(1) رطبات: بضم الراء وسكون الطاء من آباء وادي رحبان، ولا زالت تحمل ذات الاسم.

صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيَّدي وبينه وبين السيد الصلاحي مفاكهات وأدبيات قد فاتت على بعد إطلاعي عليها وحرصي على حفظها وكالفقيه العلامة الحافظ بهاء الدين مطهر بن علي النعمان الضمدي وكان من صدور العلماء ووجوه الزمان وقوراً حافظاً للشريعة وآدابها وكان لا يفارق الحضرة إلا قليلاً وبينه وبين السيد الصلاحي مفاكهات وكان للفقيه مطهر هذا مسائل في الاعتقاد جانب بها أهل المقالة وقد كاد السيد الصلاحي أن يتلقى بعض ما عنده بقبول ثم عادا بعد ذلك إلى بعض التنافر بعد أن استفحل علم السيد وعظم تحقيقه فأنه لما عاد إلى صعده بعد رحلته الأخيرة إلى صنعاء وهو يقول: كنت أظن مذهبنا الشريف لم يعتن أهله بحراسة الأسانيد لأحاديثه فتحققت ومارست الكتب فوجدت الأمر بخلاف ذلك ولقد كنت في بعض المذاكرات استضعف حديثاً من أحاديث أهل المذهب ثم بحثت فوجدته من خسة عشر طريقاً كلها صالحة ثابتة على شروط أهل الحديث. وله رحمه الله في هذا قصيدة فائقة رائية تجرُّم فيها من ميل الناس عن علوم آل محمد وهي من غرر القصائد بل كان شيخه السيد العلامة محمد بن عز الدين المفتي يقول: هي من أفضل ما قال انتهى كلام القاضي.

وترجمه القاضي عبد الله بن علي الضمدي صاحب العقيق اليماني فقال:

السيد العلامة مجتهد العصر وحجة الله على أهل الدهر. كان رحمه الله إماما جليلا في كل فن، مجتهدا فارسا شجاعا كريما رئيسا مدبرا كاتبا فصيحاً شاعراً له خط عظيم بالقلم العربي والمعلق، وله في كل فن من الفنون اليد الطولى، طلب على القاضي أحمد بن يحيى حابس وعلى السيد داود بن الهادي ثم أخذ على السيد محمد بن عز الدين المفتي بصنعاء وغيرهم من العلماء وأخذ إجازات من مشايخ زمنه كالشيخ أحمد بن علان المكي وأمثاله في سائر الفنون من الحديث والتفسير وغيره وأجازوه مصنفاتهم ومسموعاتهم ومستجازاتهم، وولاه الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم ولاية عامة فعظم صيته وحاصر مدينة صنعاء أربع سنين مع السيد الحسن بن الإمام القاسم وصابر الجهاد حتى تسلمت المدينة، ونزل على مدينة أبي عريش فتسلمها من علي آغا وارسله إلى والده تحت الحفظ، وولى في البلاد وطلع ولما جاء قانصوه نزل أبي عريش بعدة أيضا وأقام به ستة أشهر حتى قرر قواعده ورتب فيه وطلع، وله غزوات إلى الشام والحقار خفض بها الشياطين وأباد المعتدين وكان في الطرف والآداب نادرة العصر وأعجوبة الدهر رحمه الله وتوفي بعد والده بثلاثة أيام أو خمسة أيام رحمهما الله تعالى انتهى.

وترجمه الشوكاني في البدر الطالع وصاحب الطبقات والسيد يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم في المستطاب فقال: السيد العلامة النحرير ذي الفطنة الوقادة والقريحة النقادة أدرك منصب الإجتهاد وجمع بين فضيلتي العلم والجهاد وكان مرابطاً في عدة مواقف ومراكز وكان مقدماً ذا رياسة الخ.

***

وفي التحفة العنبرية للسيد محمد بن عبد الله الملقب بأبي علامة ما لفظه:

ثم أن السيد الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ألزم السيد العلامة القدوة الصمصامة عين عيون سادات الزمن وغرة قادات بني الحسن فهو القرم الذي تغيظ الأعداء مواطنه ويستوي في طاعة الله وطاعة إمامه ظاهره وباطنه، لا

تقعد به همة في مقام فوقه مقام، ولا يرضى لنفسه في ذات الله وطاعة الإمام إلا سرعة الانتقام صلاح الملة والإسلام صلاح بن أحمد أن يبقى في الجراف بمن معه من العساكر وأمر الرؤساء المعينين بالبقاء في ذلك المكان ومن لديهم من الجند الحاضر أن يسمعوا ويطيعوا لأمره، ويمتثلوا لنواهيه وزجره، وأوجب على رؤوس الأشهاد رفع ذكره وإعلاء مقامه وقدره، وأنه قد أرتضاه لهم رئيسا كونه حسن التقاضي وهو الرجل الذي ما عرف مثله الزمان في المستقبل والحال والماضي. فحين قرعت كلماته منهم الأسماع أذهبت مراهمها الأوجاع، وكانت مغناطيس الإجماع والاجتماع، أجاب كل بالسمع والطاعة حسب الطاقة والاستطاعة، وانخرطوا في سلك المهتدين من الجماعة، واظهروا الانقياد وصالح الاعتقاد وشهروا مرهفات الشفار ووردوا حياض المنية وإن جرعت المرار وقطعت الأعمار، وألقوا مقاليد أمرهم بيد السيد صلاح الدين في الإيراد والإصدار، فقام بالغرض الذي فرضه الله عليه، وسارع إلى ما يجب المسارعة إليه، وشمر أذياله لنصر إمامه وشيد معالم الجهاد بحسن اهتمامه، وظهر تأثيره وأثر نكايته في أعداء الله غاية الظهور وقصم منهم الظهور وآذن بالعلو عليهم والظهور انتهى.

قلت: وفي ذلك يقول السيد الأديب صلاح بن أحمد بن عز الدين يمدح صاحب الترجمة بذلك من قصيدة طويلة جاء منها:

سل الجراف وعمن بالجراف فسل ... إن شئت قوم أزال إذ بها حصروا
من قام ثمّ مقاماً لن يقوم به ... سوى صلاح الهدى يوم انزوى بشر
أم من أباح به من يافث زمراً ... من خلفها ينتهي يوم الوغى الزمر
وكان أوسعهم قتلا إذ اقتلوا ... على يديه وأسرا كلما أسروا
وضل يهدم من أركان دولتهم ... حولين ما طال مما قبل قد عمروا
أم من به قُسروا أم من به كسروا ... أم من به بهروا أم من به قهروا
يجبك ذاك صلاح لا سواه وهل ... كحيدر كان في إقدامه عمر
حتى إذا جنحوا للسلم حين رأوا ... بأنه إذ أتى ما قط قد نُصروا
ولوا زبيدا وزالوا عن أزال وما ... عسى سيغنيهم أمناً إذا انحدورا
وطهر الله ذاك الثغر عن نفر ... إلى فنون الخنى يا طال ما نفروا
فمرحباً مرحباً أهلا بطلعة من ... زيدت على مجدها مجدا به العتر
أهلا بمن صلحت في الله نيته ... فأصلح الله ما يأتي وما يذر
ومن سما المنبر السامي بمقدمه ... والدست زين به إذ آب والسرر

(قصيدة الهدية إلى روح الوصي)

ومن أدبيات ونظم المولى السيد الحافظ صلاح بن أحمد بن المهدي رحمه الله تعالى هذه القصيدة الغراء المسماه الهدية إلى روح الوصي وهي طويلة أولها:

كذا فليكن من صاده ظبي حاجر ... وليس شباك غير هدب المحاجر
كثير الأسى لا يطعم النوم خفقة ... إذا هجع السمار جنح الدياجير
قليل التسلي يرقب النجم في الدجى ... يحاول بدرا طالعاً في الغدائر
إذا ابتسم البرق اليماني عشية ... بكى لاذكار بالدموع المواطر
وإن هتفت فوق الغصون حمائم ... أجاب بانّاتٍ له وزماجر

ومنها:

ضمان لذات الطوق اتلاف مهجتي ... ولمعة ذاك البرق توزيع خاطري
وخطرة تلك الريح وهي عليلة ... تصحح وجدي لانكسار ضمايري
سقى الله عيشاً بالعقيق قضيته ... لتذكاره أسبلته من نواظري

ومنها بعد هذا الأسلوب عند ذكر السرى والتأويب:

رويدك لم يجن الظلام جناية ... فتفعل فيه دائماً فعل ثائر
أتطلب في أقصى المغارب جاهدا ... لحوق النجوم الغاربات الغوابر
متى تعطف الأيام لي وتعيدني ... إلى بلدٍ زاهي الجوانب زاهر
إلى مربع فيه خلعت تمائمي ... وأدركت أوطاري به ومآثري
درست به عشراً وخمساً كواملاً ... علوم البحور الطاميات الزواخر
بني الوحي من أثنى الكتاب عليهم ... فما قدر ما يأتي به نظم شاعر
سفينة نوح باب حطة معدن ال ... علوم النجوم الراميات الزواهر
أمان عباد الله حجته على ... خليقته في يوم كشف السرائر
همُ وكتاب الله سيان في الهدى ... إذا اشتبهت طرق الرشاد لناظر
جزاء نبي الله أحمد ودهم ... على كل باد في الأنام وحاضر
وفي سورة الأحزاب مدح مصحح ... لعصمتهم من موبقات الكبائر

إلى آخر أبيات القصيدة وهي من غرر القصائد وهي في الغالب التي قال عنها السيد محمد بن عز الدين المفتي

أنها من أفضل ما قال صاحب الترجمة.

وكان السيد الصلاحي مع هذه الجلالة والاشتغال بأمر الجهاد يلاطف أصحابه وكتّابه بالأدبيات والأشعار السحريات، من ذلك أبيات كاتب بها السيد العلامة الحسن بن أحمد بن محمد الجلال:

أفدي الخيال الذي قد زارني ومضى ... ولاح مبسمه كالبرق إذ ومضا
نضَا عليَّ حساماً من لواحِظه ... فظِلْت ألثم ذاك اللحظ حين نضا
وحين ودّع مشغوفاً به دنفاً ... ألقى من الصبر أثواباً له وقضا
فليته دام طول الليل يصحبني ... بطيفه، وشفى من حبه الغرضا
أحببت كل لطيفٍ في محبته ... وكل وهمٍ على قلب الشجي عرضا
حتى لقد شغفت نفسي بجوهرهم ... وصرت من أجل هذا أشتهي العرضا
وكيف لا أشتهي طيف الخيال وقد ... وافى خيال كريمٍ زار حين قضى
قضى عليّ بإنشادي وأخبرني ... بأنه لقديم العهد ما نقضا
ذاك ابن أحمد زاكي الأصل من قصرت ... عنه المصاقع حتى بذّهم ومضى[1]
ومن كسا الروضة الغنّاء بهجتها ... بِخُلقه وحبا الهندى حسنَ مضا
يا سيداً وطئ الجوزاء بأخمصه ... اسمع مقال فتى ذكراك ما رفضا
في كل وقتٍ له ذكرى تهيّجه ... حتى إذا سعر الهيجا زاد وضا
إني بعثت بها غرّاء صادرة ... عن خاطرٍ من عوادي الدهر قد مرضا
أبغي رضاك إذا أسعدت طبعك في ... إنشادها وخيار الصحبِ رام رِضا

فأجابه السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال بقوله:

قد لاح سَعدك فاغتنم حسن الرضا ... من أهل ودِّك واستعض عمّا مضى
لما بعثت لهم بطيفك زائراً ... تحت الدُّجى ولفضلهم متعرِّضا
بعثوا عليك كتائباً من كتبهم ... هزموا بها جيش اصطبارك فانقضى
لكنها أبكار أفكار لو انْ الـ ... ـبدر قابلها بليلٍ ما أضا
درٌّ كست زُهْر الدراري رونقاً ... ثم اكتست ما للصوارم من مضا
لما أقامت للوفاء شرائعاً ... نصبوا لها بالطرس ثوباً أبيضا
وأتت إليّ فبت ألثم صدرها ... حتى تناثر عقدها وتنقضا
وحكت فرائده فرائد أدْمع ... أرسلتها مزناً لبَرقٍ أوْمَضا
من نحو أحباب تناءت دراهم ... عنا فعوضنا النوى ما عوضا
لكن محبتهم بقلبي دائماً ... ما والمهيمن عنه يوماً قوِّضا
فلهم ضلوعي منحنى، وعقيقهم ... في مقلتي، وبمهجتي لهم غضا

---

[1] ( ) هكذا البيت جاء في نسخ المطلع، وهو منزحف.

من كان يعرض عن أحبّة قلبه بعد الفراق فإنني لم أعرضا
ولو ان طيفهم شفى لكنّهم بخلوا بذاك وناظري ما أغمضا
رحلوا وما رحلوا عن القلب الذي ما زال إشفاقاً عليهم ممرضا
فاستوطنوا الصّهوات ثم تظللوا تحت الرماح وكل سيفٍ منتضى
سيما (صلاح الدين) صفوة أحمد غيث الوجود ورأس آل المرتضى
طعّان أفئدة الصفوف إذا دجا ليل العجاج، وحار فرسان الفضا
وإذا أغار بفيلقٍ هو رأسهم نحو الكريهة هاله صرف القضا
يا ابن الأئمة والملوك ومن له شرفٌ به شرف الزمان وقُرِّضا
وافى كتابك معلناً بأخوّة وبأن ودَّك لي غدا متمحضا
ويقول ذكري ما نقضت وإنني لجميل ذكرك دائماً لن أنقضا
واستخبر الطير الذي وافاك هل أعرضتُ عن ذكراك أم لم أعرضا
ولقد تعاطاني الجواب ولست من فرسان ميدان غدا لك مركضا
هيهات ما العِيْس القواصل في الفضا تجري مع الخيل العُراب فتنهضا
والبحر ما وشلٌ يباري موجَه فاعذر فقد حُمِّلتُ أمراً مبهضا
ولو أن حقك لم يكن مستعظماً لغفلت عن ردِّ الجواب المقتضى
لا عنْ قلِيً بل صار دهري نائماً عن نصرتي ولشغلتي متيقضا
ولقد غفرت له؛ سوى شحط النوى، وزراً جناه لظهره قد أنقضا
بأبي رمَى وبأسرتي مرمى به ترك الفؤاد مقطّعاً ومُقَرّضا
عاينت سبعة أشهر من عهدهم والدمع يجري في الخدود مفضضا
فإذا ترى نقصاً فذلك أصله ولقد جعلتك في الصلاح مفوّضا

ومن ذلك ما أنشده الفقيه المطهر بن علي الضمدي عقيب رحلة السيد صلاح الدين من أبي عريش عقيب فتحه له وأخذه من يد الأتراك:

إن كان أحبابنا بالهجر قد طابوا قلباً فسيَّان أعداءٌ وأحبابُ
وهل يريد بك الأعداء أقتلَ مِنْ هذا المصاب الذي من دونه الصابُ
شدوا المطايا غداة البين فانزعجت نفسي كأنَّ غرابُ البين أقتابُ
وثارت العيس بالأظعان راغيةً يوم النوى فاستوى راغٍ ونعّابُ
لله روحي وقلبي بعد بُعدِهم ورحمة لعيُوني غِبَّ ما غابوا
فالروح طير وهذا القلب قد فتحت سماؤه فهو يوم البين أبوابُ
والعين كالعين من بعد الرحيل فما ينفك من جفنها فيضٌ وتسكابُ
وكل جارحة مجروحة بسكاكين الفراق كأنّ البين قصّابُ
أحبابنا إن ناءت عنّا دياركم وقوّضت من خيام الوصل أطنابُ

فالقلب قد ضربت فيه خيامكم ومالكم عند طول الدهر إضرابُ
وكيف أسلو أخلاء الصفاء؟ وقد شبُّوا الجوَى ولمحض الود ما شابوا
وإن أهل جنان الخلد في غرفٍ مبنيَّة تحتها نخل وأعنابُ
لهم فواكه مما يشتهون ومن صافي الشراب أباريق وأكوابُ
يطوف غِلمانهم بالراح بينهم وعندهم قاصرات الطرف أترابُ
وكل ذلك لا يسليهم أبداً عن اجتماع بإخوانٍ لهم طابوا
وأقرا على عذّلي القرآن يستمعوا في الريح والطور والتطفيف ما عابوا

فأجابه السيد الصلاحي رضي الله عنه:

ما طبت من بعد أصحاب لنا طابوا نفساً ولا آب نومي بعد ما غابوا
فالقلب والعين والأحشاء بعدهم لها خفوق وتسكابٌ وتلهابُ
والصبر والوجد والأشواق قد فتحت وأغلقت مُذْ نأوا من تلك أبوابُ
أقمار تُمٍّ غدا في القلب برجهم إذاً يكن لهم في الطرف حسّابُ

ومنها:

يا عاذليّ دعاني بعد بُعدِهم وأقصرَا عذلاً أدناه إطنابُ
فما على فاقد الإخوان إن هُتِكت من صبره إذ نأوا عن ذاك أثوابُ
وهل يعوِّض عنهم شادنٌ غنجٌ كلا ولا قاصرات الطرف أترابُ

ومنها:

وحدثاني عن صحبٍ نأوا فنأت عنا علوم وأخلاق وآدابُ
لا أوحش الله منهم إنهم نفرٌ ما إن يُنَاط بهم شين ولا عابُ
إن غار إخواننا فالدمع بعدهم ما غار بل هو في الخدّين سكابُ

وكتب الفقيه الضمدي إلى السيد الصلاحي بقوله:

تزوج هديت تهامية تروقك في المئزر المطرف
ودع عنك بيضاء نجدية ولو برزت في بها يوسف
عليها قميص وسروالة وليست ترق لمستعطف

فأجابه السيد صلاح بقوله:

أردت بها الذم ألبستها سرابيل مدح ولا تختفي
نعم هكذا شيمة المحصنات إذا شئت تمدح مدحاً وفي
قسى في القلوب ولين القدود وخد نقي وصوت خفي
وإن رام منها الوفا طارق فليست ترق لمستعطف

وللسيد الصلاحي مقاطيع جيدة ومن لطائفه في التضمين قوله:

بأبي وردة على الخد حمرا ... ء لها في القلوب أي اشتعال
لم أكن من جناتها علم اللـ ... ـه وإني لحِرها اليوم صالي

وله في التورية:

ومائس أرشفني ريقه ... لله من غصن رطيب وريق
نقي خدٍ فوقه جمرةٌ ... ففزت ما بين النقا والعقيق
مثل سحيق المسك أصداغه ... واحسرتي من بعد ذاك السحيق
أغرقت في حبي له فانظروا ... إنسان عيني من هواه غريق
عتيق وجهٍ منهلاً ريقه ... لا غرو هذا زمزم والعقيق
رقيق حسنٍ رقه سيد ... مملَّك فاعجب لهذا الرقيق
قد فتق القلب غرامي به ... مذ باح واطربا للفتيق

وله رحمه الله:

وفتاة جنسوها إذا مشت ... بقناة قلت ذا التجنيس خطي
أرسلت من ليل هدبٍ أسهماً ... وسهام الليل قالوا ليس تخطي
أبرزت شرطاً بخدٍ ناعمٍ ... فحبتني علماً من فعل شرْط
قدحت نار جوى إذ نهضت ... فأعجبوا يا رفقتي من أي سقط
ولوت حين سألنا جيدها ... ثم قالت حين أعطو لستُ أعطي

وله في الاكتفاء والاقتباس:

وغيد بأبيات العروض غرامها ... خرقن شغاف القلب فاتسع الخرق
وزنت بيوت الشعر يوم رحيلها ... الا فاستروا فالوزن يومئذٍ حق

وله في الاقتباس ورد الصدر على العجز:

ليت شعري متى أفوز بصحبٍ ... مزجوا كأس وصلهم زنجبيلا
وأرى معشراً خفافاً لطافاً ... خلّفوا للورى يوماً ثقيلا
وألاقي أحوَى أغنّ غضيضاً ... ردفه قد غدا كثيباً مهيلا
سل سبيلاً منه إلى كاس ثغرٍ ... تلْقَها إن شربتها سلسبيلا

وله في التورية:

ورُبَّ غزالٍ فاتر اللحظ فاتن زكت منه أخلاق كما قد زكى نجرا
أتى نحو كهفي سارياً فشكرته لأني أهوى (الكهف) والله و(الإسرَا)

وله فيها:

حمَى ثغرَه لما أردتُ ارتشافه بسيفٍ بجفن منه جرّد للفتك
كذاك سيوف الهند يحمي بها الورى ثغور ذوي الإيمان خوف ذوي الشرك

وعلى الجملة فقد ذكر القاضي ابن أبي الرجال أنه له قصائد نبويات كثيرة منها معارضة لقصيدة الإمام شرف الدين: لكم من الحب صافيه ووافيه. ومعارضة لقصيدة الصفي الحلي: فيروزج الصبح أم ياقوتة الشفق. قال: ومن شعره هذه الأبيات:

حسبي بسنّة أحمد متمسكاً عن كل قولٍ في الجدال مُلَفّق
أورِدْ أدلتها على أهل الهوى (إن شئت أن تلهو بلحيَة أحمق)
واترك مقالاً حادثاً متجدداً من محدِثٍ متشدقٍ متفهق
ودع اللطيف وما به قد لفّقوا فهوَ الكثيف لدى الخبير المتقي
ودع الملقب حكمَة فحكيمه أبداً إلى طرق الضلالة يرتقي
قد جاء عن خير البريّة أحمدٍ أن البلاء موكّل بالمنطق
والله ما كان الجدال بعصره لا في رُبا بدرٍ ولا في الخندق
ما كان إلا سنةٌ نبوية عن صادقٍ في قوله ومصدّق
ووميضُ برق سيوفه في جيشه يُهمِي من الأعداء ماءَ المفرق
قامت شريعته بكل مذلّقٍ ذرت شباهُ لا بذل منمّق
صلى عليه الله ما برقٌ شرى أو ما شدت وُرْقٌ بغصن مُورق

ولم يزل السيد الصلاحي قرين السعادة والإسعاد محفوفاً مخدماً نافذ الكلمة ولما نهض الحسنان لأخذ زبيد سنة ثلاث وأربعين وألف استنهضه الإمام المؤيد للإقامة بصنعاء لنواجم نجمت من قبائلها فما زال بها إلى أن استنهضه الإمام إلى تهامة.

***

قال في مطلع البدور ومنه أغلب النقل والتصرف في العبارات لهذه الترجمة:

ومن عجائبه رحمه الله أنه لما استنهضه الإمام طالع شيئاً من الجفر فقال لخواصه أنا لا أتجاوز الجبال إلى تهامة أو ما هذا معناه فلما وصل إلى صعده وافى فيه السيد محمد بن عبد الله المعروف بأبي علامة مريضا فانتقل إلى جوار الله وهو حاضر له ثم توجه إلى مقام والده بقلعة غمار من بلاد رازح فلم يلبث والده أن نقله الله إلى جواره فاجتمع الناس إلى السيد الصلاحي فتفوه بأقوال حاصلها أنه لا يستطع الولايات ولا يستطيع الخروج عن طاعة الإمام فهو يسأل من الله تعجيل رحلته إليه فلم يلبث إلا خمسة أيام بعد وفاة والده.

وتوفي ضحى يوم الأربعاء ٢١ شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين وألف عن أربعة وثلاثين أو ثلاثة وثلاثين سنة على اختلاف القولين من مولده.

وقد رثاه السادة العلماء والأدباء بما يلين الصخر وما ينسى بما قالته الخنساء في صخر كالسيد الهادي بن عبد النبي حطبة والسيد صلاح بن أحمد بن عز الدين له أكثر من قصيدة والقاضي محمد بن عيسى بن شجاع الشقيقي التهامي والأديب أبو القاسم المصري والفقيه العلامة مطهر بن علي النعمان الضمدي فقال:

مصاب جل في كل النواحي فلم نملك به غير النواح
ورزء فت أفئدة البرايا ولا سيما قلوب ذوي الصلاح
أردنا أن نكتمه احتساباً فلاح لأهل حي على الفلاح
هي الأيام تخفض كل عال وتلطم بالمسا وجه الصباح
شغلنا عن مصاب أبي صلاح بموت أبي محمد الصلاحي
فتى فات الورى حلماً وعلماً وأشجع من مشى يوم الكفاح

إلى آخرها وهي طويلة. ورثاه تلميذه مولانا صارم الدين وأشار إلى تتابع وفاة هؤلاء الثلاثة السادة الذين كانوا عيون الزمان فقال:

أرى بصري قد زاع واستعظم الأمرا نعم قد أراه الله آيته الكبرى
تتابع سادات كرام غطارف جحاجحة غر قد استوطنوا القبرا

وستأتي بكمالها في ترجمة السيد محمد بن عبد الله الملقب بأبي علامة في حرف الميم إن شاء الله.

٤٥ ـ السيد صلاح بن الإمام عبد الله بن علي المؤيدي

السيد الأمير المقام صلاح الدين صلاح بن عبد الله بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن المؤيدي الحسني الصعدي اليمني. نشأ في حجر والده الإمام المتوكل على الله عبد الله بن علي المؤيدي المتوفى سنة ١٠١٧ سبع عشرة وألف كما سيأتي في ترجمته بحرف العين وأخذ عنه وعن غيره.

ومما وصفه به صنوه صاحب التحفة العنبرية قوله: السيد المقام العلم العلام بقية أهل البيت الكرام وعين عيون الرؤساء الأعلام. ثم أفاد أنه سعى هو والقاضي سعد الدين بن الحسين المسوري وتوسطا في الصلح بين الإمامين والده والإمام القاسم بن محمد وحسم مادة القال والقيل من الجانبين وأبرأ كل واحد من الإمامين الآخر وانحسمت مادة المجانبة وارتج باب المعاتبة وفتح باب المودة والصفا وطابت منهما النفوس وزال عنهما كل غم وبؤس إلى أن ثويا في الرموس انتهى. ولعل وفاته قبل أو بعد صنوه الأمير محمد صاحب التحفة العنبرية المتوفى بصعده في سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين وألف رحمهما الله وإيانا والمؤمنين.

٤٦ ـ السيد صلاح بن عبد الله القطابري

السيد العلامة صلاح بن عبد الله بن محمد بن صلاح القطابري وبقية النسب ستأتي في ترجمة جده السيد العلامة الكبير محمد بن صلاح القطابري في حرف الميم.

كان صاحب الترجمة سيداً عالما نجيباً، قد حصّل في العلوم، وله نظم، ولم أقف على كثير من أحواله بل ما ذكرته عنه ذكره القاضي ابن أبي الرجال استطرادا في ترجمة جده، وتوفي رحمه الله في شهر شوال سنة ١٠٧٣ ثلاث وسبعين وألف ودفن في آخر صوح مسجد آل يعيش بمحروس قراض.

٤٧ ـ السيد صلاح بن علي بن عبد الله المؤيدي

السيد العالم الرئيس صلاح بن علي بن عبد الله بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن المؤيدي الحسني الصعدي اليمني. أخذ عن السيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي وكان من جملة الملازمين له كما تقدم ذلك في ترجمته قريباً. ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال استطرادا في مطلع البدور فقال: السيد الرئيس صدر العترة رجل نبيه فاضل جليل القدر شرح الكافل بشرح عظيم وكان تعلقه بأصول الفقه أكثر من تعلقه بغيره وكان رئيساً كاملاً انتهى.

وترجمه السيد صارم الدين في الطبقات ونقل ما ذكرناه عن مطلع البدور وفيهما جاء نسبه غير صحيح والصواب ما ذكرناه، وهو ابن أخي السيد العلامة الكبير محمد بن الإمام المتوكل عبد الله بن علي الملقب بأبي علامة الآتية ترجمته. وممن ذكر صاحب الترجمة أيضا السيد المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي في تحفة الأسماع والأبصار وعده من عيون العلماء أيام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم فقال: ومنهم السيد الكامل صلاح بن علي بن الحسين ابن أخي السيد العلامة محمد بن عبد الله الملقب بأبي علامة المؤيدي. كان سيداً وحيداً في الكمال والآراء وله شرح حسن على الكافل في أصول الفقه انتهى.

قلت: وسيأتي أن وفاته أواخر أيام الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم. وفي كتاب أغصان الياسمين من عرائس أفكار الناظمين في مدايح ملك المسلمين محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين الذي جمعه السيد يحيى بن أحمد العباسي ما لفظه: وللسيد الأكمل الماجد الأنبل صلاح الدين صلاح بن علي بن عبد الله بن علي بن الحسين المؤيدي في ملك المسلمين هذه الأبيات السنية وفد بها عليه في عيد رمضان سنة ١٠٤٧:

أيا منتهى آمل الآمل ... ويا غاية السؤل للسائل

ويا عصمة الخائف المستجير ... ويا حلية الزمن العاطل

ويا من إليه تشد الرحا ... ل في معظم المحل الهايل

ويا من تفيض على الراغبين ... عطاياه كالعارض الهاطل

ليهنك ما أنت أهل له ... من الفضل والشرف الكامل

وأجر الصيام الذي حزته وفضل لياليه في العاجل
وعيد المسرات عادت عليك عوائده الغر في القابل
فأنت الذي فقت أهل الفخا ر وحليت في طوده الكاهل
وأنت الجواد الذي ما كبا ولست عن المجد بالحايل
وبحر العلوم المفيد الصوا ب فوايد تنهل كالوابل
وأنت الذي طاب منك الزما ن ومن غيث انعامك الهامل
فليس الفرات ولا دجلة ولا النيل مثلك في النائل

إلى آخر الأبيات. وكانت وفاته بمدينة صعدة ليلة الثلاثاء عاشر شهر ذي القعدة الحرام عام ثلاث وخمسين وألف، وقبره بأعلى مقبرة القرضين رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

٤٨ ـ الفقيه صلاح بن محمد السودي

الفقيه الفاضل صلاح بن محمد بن صلاح السودي الصعدي اليمني.

كان صاحب الترجمة فاضلاً مقرياً أديباً ونسخ بخطه الباهر الحسن كتباً عديدة رأيت منها كتاب الروضة للحجوري نسخه لخزانة المولى محمد بن الحسن بن الإمام القاسم ومنها كتاب الموشح في النحو نسخه لخزانة المولى علي بن أحمد بن الإمام القاسم وهو في غاية الإتقان ضبطا وتحشية مما يدل على جوهر النبل وتمسك المترجم على حصة نافعة من العلم. وقد استطرد ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في كتابه مطلع البدور أثناء ترجمة القاضي العلامة علي بن أحمد بن أبي الرجال المتوفى سنة ١٠٥١ إحدى وخمسين وألف فقال:

ورثاه سيدنا المقري الفاضل الصالح صلاح بن محمد السودي الصعدي رحمه الله فقال:

هو الصبر ما كافاه ملجا ولا كهف إذا لم تطق منعاً وقد وقع الصرفُ

الخ أبيات المرثية وهي تدل على ملكة الأدب ومن مستحسن أبياتها قوله:

شمائله تروي النسيم وبأسه يمزق من شمل المعادين ما لَفُّوا
ففي السلم والحرب الرخا وعقيمها فللمهتدي لطفٌ وللمعتدي حتفُ
وأيامه في المعتدين شهيرة يخبّر عنهن المخالف والإلفُ
فلله من ليث الملاحم بيهسٌ به شرب الخصم المكاره واشتفوا
رأوا عزمه والسيف لما تكافا مضاءً فما للأشقياء عنه ما كفوا
فتهمي له الأقلام والصحف عبرة إذا بكّت الأشقى: المزاهر والدفُ
ويبكي له الملهوف للعلم والندى يحق له فيها التأسف واللهفُ
وما الموت إلا كل حي يذوقه وآخر هذا الخلق أولَه يقفو

ولم أضبط تاريخ وفاته وهي في نحو نيف وتسعين وألف ورأيت بخطي أنه كان موجودا عام مائة وثلاثين وألف

فيحقق ما هو الصواب في ذلك رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين.

٤٩ ـ السيد صلاح بن محمد الداعي الكبير

السيد العلامة صلاح بن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل بن يحيى بن محمد بن سليمان بن أحمد بن الإمام الداعي يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن المنتصر محمد بن القاسم المختار بن الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي اليحيوي الحسني الملقب الداعي كسلفه.

ترجمه حفيده السيد الحسن بن صلاح بن محمد الداعي شارح منظومة الدامغة الكبرى والصغرى فقال: كان سيداً عالماً خطيباً جواداً يضرب به المثل في الجود وتولى للإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في الجهات الجماعية حاكماً وخطيباً أينما استقر فيها لأنه كان يتنقل من مدران إلى قطابر إلى قراض من بلاد باقم وله في كل بلدة منها أهل ومال وعاصر أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل وتولى له جهة بلاد ألت الربيع والمعاريف جميع أعمالها حتى توفي بمحروس هجرة مدران شهر شوال سنة ١٠٥٨ ثمان وخمسين وألف وعليه هناك قبة. وكتبت على قبره هذه الأبيات لحي السيد العلامة صلاح بن عبد الله القطابري وهي:

هذا ضريح الذي ما زال منتجعاً للطالبين حليف المجد والكرم
طلق المحيا إذا ما جاء سائله جلى الجواب بلفظ صيغ من حكم
مكارم السادة الأشراف قد جمعت لديه فهي له من أحسن الشيم
ما زال في الدرس والتدريس مجتهداً حتى أتاه نذير الشيب في اللمم
وجد في طاعة الرحمن مرتضياً حقير عيش وأعلى غاية الهمم
مضى وأبقى خصال المجد نافحة من بعده وهو فيها راسخ القدم
عليك منا صلاح الدين عمدتنا أزكى سلام يضاهي واكف الديم

ثم قال في الدامغة: وصاحب الترجمة هو ابن عم والدي وجدي من قبل الأم وكان يميز بينه وبين والدي السيد صلاح بن محمد الداعي الآتية ترجمته بالأكبر يعنونه، وبالأصغر يعنون والدي. وأبواهما محمد ومحمد أخوان وأول من فرق بينهما بلفظ الصغير والكبير الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في كتبه إليهما وكان والد المترجم السيد محمد بن صلاح متولياً لقلعة غمار من جبل رازح وبها توفي وقبره في صلبة غربي القلعة والظاهر أنه كان متاخماً للأتراك قبل دعوة الإمام القاسم بن محمد انتهى.

(هجرة مدران)

هجرة مدران بفتحات هي إحدى هجر السادة آل يحيى بن يحيى وهي ببلاد ألت الربيع من أعمال ناحية جماعة، يسكنها طائفة من أولاد الإمام الداعي يحيى بن المحسن.

وممن اشتهر وعرف بمدران بالقرن العاشر الهجري من أولاده السيد العلامة صلاح بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل وهو جد صاحب الترجمة المتقدم في نسبه قال السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى: وكان من العلماء العباد الزهاد، تعمَّر فوق مائة وخمسة عشر سنة، هكذا في اللوح الذي على قبره، وقبره في نيد جلود عند المسجد الذي هنالك شرقي هجرة مدران إلى جهة الشام. وصنوه الحسن بن محمد والهادي بن محمد الخارجان من هجرة مَدَرَان إلى اليمن، واستوطنا مسور من مشارق صنعاء، فتوفي الحسن فيه وقبره هنالك مشهور مزور، وذريتهما هنالك بمسور وجحانة من بلاد مسور وكوكبان، ويعرفون هنالك بآل الشامي وآل الأخفش.

٥٠ ـ السيد صلاح بن محمد الداعي الصغير

السيد العلامة الفاضل الورع التقي صلاح بن محمد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن الحسن بن جبريل بن يحيى بن محمد بن سليمان بن أحمد بن الإمام الداعي يحيى بن المحسن اليحيوي الحسني اليمني الصعدي الملقب كسلفه الداعي المميز بالصغير.

وصاحب الترجمة من أعيان وقته وأماثل السادة في عصره. وهو والد السيد الحافظ المؤرخ الحسن بن صلاح الداعي صاحب الدامغة وقد ترجمه هناك في شرح الدامغة الكبرى فقال:

والدي السيد العلامة الزاهد العابد صلاح الدنيا والدين حاكم الإسلام والمسلمين. كان ممن بلغ في الزهد الغاية والنهاية وبت دنياه ورضي منها بالبلغة في العيش متنزه عن الشبهات ورفض المشتبهات متصلباً في دين الله شديد الإنكار على الأشراف والسادة الأكابر من أهل عصره في تناولهم للزكوات متجنباً للصلوات خلفهم مجاهراً بتخطئتهم حتى قال لبعض كبرائهم وهو في جماعة من الأعيان: والله لو نزل كتاب من السماء لنزل فيه ما يسؤكم فلم يرد عليه أحد منهم كلامه، وله رسائل في ذلك إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل وإلى غيره وكان المتوكل على الله يحبه ويعظمه ويظهر تعظيمه بعد موته ويثني عليه. عاش في الناس سعيداً ومات حميداً هذا ولم أذكر من صفته إلا اليسير تباعداً عن ظن ذي قلب غير سليم ولعلي فيما ذكرت عنه أكون خرجت من سمة أهل العقوق وكانت وفاته في شهر صفر سنة ١٠٦٥ خمس وستين بعد الألف بمحروس هجرة مدران وقبره هناك في المسجد النازلي مشهور مزور.

فارحم صلاح الهدى واجمع بغرته في جنة الخلد شملي فهو ذو عمل
وجازه منك إحساناً ومكرمة فاجعل دعائي مجاباً أنت خير ولي

رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

(ووالده السيد محمد بن صلاح الداعي)

هو السيد الشهيد المجاهد محمد بن صلاح الداعي كان من عيون السادة وأماثل أهل وقته مقدماً راجحاً جمع إلى رتبة الفضل فضيلة الجهاد والبسالة وشهد مع الأمير علي بن الإمام القاسم بن محمد يوم الشقات وكان يوماً

هائلاً قتل فيه ابن الإمام وجماعة صالحة من عيون أصحابه كان من بينهم المترجم وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٢٣ ثلاث وعشرين وألف وستأتي تفاصيل أوفى في ترجمة الأمير المذكور في حرف العين. وقد أشار إلى تلك الوقعة والحادثة المشجية السيد أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي في ذيله على البسامة فقال:

وفي مواطن للتمحيص قد شهدت لأهلها بعظيم الشأن والظفر

وبالشهادة فيها فاز فائزهم بأعظم الحظ عند الله والذخر

كيوم رحبان والشقات لا سقيا ونوعة وسبيع مقتضى الغير

وقد غلط نساخ اللآلى المضيئة وغيرها من الكتب التي تناولت الواقعة بالذكر وهي بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة الفوقية وبعد الألف تاء نسبة إلى موضع في قرية آل عقاب لا زال يحمل هذا الاسم جنوبي صعده إلى الغرب من جبل تلمص.

٥١ ـ السيد الطيب بن داود بن المهدي

السيد العلامة صلاح الدين الطيب بن داود بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام الهادي إلى الحق علي بن المؤيد بن جبريل الحسني المؤيدي اليمني الصعدي الفللي.

مولده في سنة ٩٥٠ خمسين وتسعمائة. كان صاحب الترجمة سيداً عالماً متضلعاً في فن العربية مطلعاً على علوم الأدب قرأ في شرح الرضي على الإمام الحسن بن علي بن داود. وهو أحد السادة اليحيويين من بني المؤيد الساكنين صنعاء كرهاً من قبل الأتراك وذلك قبل دعوة الإمام القاسم بن محمد والظاهر انه رجع إلى صعدة ولم يقم طويلا بصنعاء كالبقية من بني المؤيد، وممن أخذ عنه بصعدة ابن اخته السيد داود بن الهادي والفقيه مطهر بن علي الضمدي وغيرهما.

ذكره السيد علي بن داود في المشجر المبسوط فقال:

كان له اليد الطولى في فن النحو وفنونه الثلاثة وكان يوصف بسبيويه وله فضل ودين ومعرفة في سائر الفنون ووفاته ثاني شهر شوال سنة ١٠٢٤ أربع وعشرين وألف بهجرة فلله انتهى. وممن لقي المترجم له القاضي الحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري لقيه في حضرة الإمام القاسم بن محمد وقال في وصفه: من علماء أهل البيت وأحد مشايخ سادة عصره وعلمائهم اشتهر في فن العربية والأدب انتهى.

وإلى صاحب الترجمة أشار الفقيه العلامة الأديب أحمد بن محمد البهكلي في قصيدته التي مدح بها محروس العشة وتعرض لمدح أعيان السادة بني المؤيد فقال:

ومنهم الطيب زاكي المفتخر القمر الأزهر والحبر الأبر

أصدق راو في الحديث والأثر خير فتى في الناس محمود الأثر

أخلاقه حلاوة كالشهد

(**وولده**) هو السيد صلاح بن الطيب بن داود كان أحد نبلاء وقته وأدباء زمانه ولم أقف له على ترجمة فاكتفينا بذكره هنا حتى يتسر لنا ذلك إن شاء الله.

ووالد صاحب الترجمة هو السيد العالم الكامل صارم الدين داود بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن. كان من نحارير العلماء في أيامه قرأ عليه في التذكرة القاضي عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران الصعدي وأثنى عليه. وذكره في المشجر فقال: السيد العلامة المدرة الفهامة كان من أعيان السادة العلماء وهو المرجح لنصب الإمام أحمد بن عز الدين عن رأي الإمام شرف الدين، وهو من أهل الزهد والصلاح والعبادة وتوفي في سني الثمانين وتسعمائة ودفن بمقبرة القرضين بصعده وأوصى أن يقرأ عند قبره من سور القرآن شيئاً معلوماً في كل شهر رمضان وهو يفعل إلى الآن انتهى. ورأيت خلال تلك الترجمة أن وفاته في سنة ٩٨١ إحدى وثمانين وتسعمائة رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين وختم لنا بالحسنى.

٥٢ ـ القاضي حاكم المسلمين عبد العزيز بن محمد بهران

القاضي العالم المسند حاكم المسلمين بصعدة في أيامه وجيه الدين عبد العزيز بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن موسى بن أحمد الملقب بهران الصعدي اليمني.

مولد صاحب الترجمة إحدى شهور سنة ٩٣٥ خمس وثلاثين أو السنة التي تليها، ونشأ في حجر والده العلامة كبير المحققين في عصره القاضي محمد بن يحيى بهران وأخذ عليه، فأول ما سمع عليه كتاب نكت العبادات في الفقه إلى كتاب الحج وفي أصول الدين الثلاثين المسألة وقرأ عليه في الفرائض كتاب الوسيط وكتاب الفايض في علم الفرائض وشرحه للأعرج وفي علم العربية قرأ عليه في الكافية لابن الحاجب وشرحها للخبيصي والشافية في علم التصريف لابن الحاجب أيضاً وشرحها لركن الدين والمفصل لجار الله وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وكتاب مغني اللبيب وشرح التحفة وهي من مؤلفات والده وفي التلخيص في علم المعاني والبيان وشرحاه الصغير والمطول للتفتازاني ومما سمع عليه في علم الحديث شرح نخبة الفكر لابن حجر ومختصر السيد محمد بن إبراهيم الوزير في علم الحديث ونبذة من نهاية الأثر لابن الأثير وفي صحيح البخاري وأسمع عليه مؤلفه معتمد ذوي العقول في أحاديث الرسول وفي الكشاف وفي مقامات الحريري وإلى كتاب الحج من كتاب الأثمار للإمام شرف الدين وشرح الخطبة والمقدمة لكتاب الأثمار لوالده وأجازه إجازة عامة في سائر مؤلفاته ومسموعاته، وقفت عليها بخط والده ومما جاء فيها قوله: قد أجزت للولد الفاضل العالم العامل وجيه الدين أن يروي عني جميع ما سمعه علي من الكتب المذكورة وكذلك سائر تأليفاتي ومسموعاتي ومجازاتي، لمعرفتي بكماله وصلاحيته لذلك وإتقانه إلى آخر الإجازة المذكورة المحررة فتح جمادى الأخرى سنة ٩٥٦ ست وخمسين وتسعمائة.

ومن مشايخه الفقيه العالم محمد بن علي بن عمر الضمدي قرأ عليه تسهيل الفوائد لابن مالك في النحو وأسمع عليه جامع الأصول في أحاديث الرسول بجامع الإمام الهادي وكان الفراغ منه سنة ٩٦٤ وقرأ عليه شرح الخالدي في الفرائض والمختصر الشافي في العروض والقوافي وشرح إيساغوجي في المنطق والكافل في أصول الفقه مصنف

والده ثم عزم شيخه المذكور إلى الجهة التهامية ولما عاد في سنة ٩٦٨ قرأ عليه شرح مقدمة البحر للنجري ومعه البحر الزخار ومن مسموعاته أيضاً عليه كتاب الكشاف إلى سورة مريم وله منه إجازة عامة بما فيها إجازة الشيخ المحدث ابن حجر لشيخه المذكور.

ومن مشايخه بصعدة أيضاً القاضي عبد الله بن محمد الدواري والقاضي حاكم المسلمين أحمد بن أحمد حابس والسيد العلامة داود بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن وقرأ على القاضي العلامة أحمد المضري بالضاد قرأ عليه النصف من كتاب التذكرة في الفقه بمسجد الوشلي بمدينة صنعاء وقرأ على الفقيه العلامة الورع سالم بن المرتضى بن غنيمة في بعض الأزهار وباقيه على والده، وقرأ على شيخه ابن غنيمة في البيان لابن مظفر وكتاب والده في علم الطريقة بداية المهتدي وهداية المبتدي وغيرها من الكتب.

وأخذ عن الفقيه العالم المؤرخ حسن بن محمد الزريقي مصنف سيرة الإمام شرف الدين قرأ عليه كتاب ابن الصلاح الشافعي في علوم الحديث وأجازه فيه سنة إحدى وستين ٩٦١هـ. ورحل إلى العلامة المحقق الفروعي يحيى بن محمد حميد المقرائي إلى صنعاء لعل ذلك إلى وادي السر موطن المقرائي المذكور فأكمل عليه قراءة كتاب البحر الزخار التي كان بدأها على شيخه الضمدي، وأسمع عليه المعيار ومقدمة اللطيف وأسمع عليه النور الفائض في علم الفرائض من مصنفات شيخه، وكذلك في فتح الغفار في علم الفروع وأجازه في جميع مسموعاته ومؤلفاته وما صح له روايته في سنة تسع وسبعين وتسعمائة.

ورأيت في بعض الكتب أن إجازة شيخه المذكور له كانت في سنة ٩٩٧ وهذا وهمٌ محقق، لعله جرى من النساخ والصواب ما نقلناه عن قلم العلامة المقرائي: قال بتاريخ السادس والعشرين من شهر شوال إحدى شهور سنة سبع وستين وتسعمائة بجامع الإمام الهادي بصعده حال عزمنا للحج يسره الله انتهى. وأخذ عن صاحب الترجمة أعيان من العلماء الأجلاء منهم السيد داود بن الهادي والقاضي عامر بن محمد الذماري والقاضي أحمد بن يحيى بن سالم الذويد وولده محمد بن عبد العزيز بهران واستجاز منه إمام زمانه الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد إجازة تتضمن جميع المسموعات والمقروءات والمستجازات عن والده. **وجامع هذا المعجم والتراجم** يروي ما اشتملت عليه روايات صاحب الترجمة عن والده وعن غيره من العلماء بطريق الإجازة بتاريخ إحدى شهور سنة ١٤٢٠ للهجرة عن إمام العترة النبوية مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي مؤلف لوامع الأنوار وجوامع العلوم والآثار عن مشايخه عن الإمام القاسم بن محمد عن صاحب الترجمة.

وقد ترجم لصاحب الترجمة السيد الحافظ إبراهيم بن القاسم الشهاري في طبقاته والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

القاضي العلامة صدر الحكام التميمي البصري ثم الصعدي كان متضلعاً من كل العلوم حكى عنه شيخنا العلامة أحمد بن يحيى حابس إنه كان يعرف جميع علوم الاجتهاد علم إتقان لكنه لا يستنبط الأحكام وقد يكون ذلك إما لعدم مساعدة الفهم وانتقاله في المآخذ أو تركاً للدليل لئلا يلزمه حكمه، وفي النفس شيء من ترك ذلك

مع التمكن. وهو شيخ الشيوخ في الحديث والتفسير وله في الفقه قدم راسخة وهو الذي أجرى القوانين في آبار صعده على نظم محكم وذلك أنه عرف جميع الضياع تحقيقاً وذرع الماء على الطين. قال: وكان المترجم متولياً للقضاء بمدينة صعده ومما يروَى عنه أنه تشاجر إليه بعض العتاه أهل السطوة فلما أراد الحكم على ذلك الطاغي أشار إليه أنه سيغيَّر عليه عنبه إذا حكم. فقال القاضي: أخروا الحكم ثم طلب بعض الناس وباع منه العنب جميعه وطلب الخصم وحكم عليه وقال له: العنب قد بعناه من فلان لا تغلط قال: وجرت بينه وبين السيد علي الناصري مناظرة في شأن الصحابة فأحصره السيد لأنه كان لبقاً محجاجاً ثم أن صاحب الترجمة كتب شيئاً من الحجج رداً عليه وكان شيخه ابن عمر الضمدي قد منعه من المناظرة ومدحه بقوله:

لله درك يا عبد العزيز لقد وضعت هذا الدوا في موضع الوجع

قلت: وسمى تلك الحجج (حل الشبهات الواردات في الصحابة الثقات) ولعل الوقوف يطلعنا على قصيدة شيخه العلامة الضمدي فازبرها في هذا الموضع.

وقد تقدم في ترجمة تلميذه السيد داود بن الهادي أنه ضعف بصره وأن بداية ذلك كان من سنة ثلاث وألف ١٠٠٣ وأنها حصلت له تلك الكرامة التي اتضح أنها من بركات صاحب الكشاف رحمه الله.

وكانت وفاة صاحب الترجمة بمدينة صعدة رحمه الله يوم الأربعاء ثامن شهر رجب سنة ١٠١٦ ستة عشر وألف كما ذكره الحافظ المسوري في إجازاته، وقبره بالقرضين مقبرة صعدة. وأما ما جاء في إحدى نسخ المطلع والطبقات أن وفاته في سنة عشر وألف فهو على غير الصواب قال في الطبقات: وعمّر ثمان وسبعين سنة وفي نسخة أخرى من الطبقات وعمر ثمانون سنة. قلت: وما في النسخة الأخيرة هو الأقرب والأصح، فيكون مولده على هذا سنة ٩٣٦ أو السنة التي تليها، وأما ما جاء في الطبقات من أن تاريخ مولده سنة ٩٤٨ فذلك مردود بأمرين

الأول: قول صاحب الترجمة القاضي عبد العزيز في إحدى إجازاته للإمام القاسم وهي مؤرخة سنة تسع وألف في شهر ربيع الآخر منها ما لفظه: وذلك المسطور في حال كف البصر وبلوغ العمر إلى أربع وسبعين سنة انتهى والأمر الثاني: إذا سلمنا أن مولده سنة ٩٤٨ فسيكون عمره حال وفاة والده القاضي محمد بن يحيى بهران شهر رمضان سنة ٩٥٧ في التاسعة من الأعوام ومقرواءته على والده المتقدم ذكرها صدر الترجمة تدحض ذلك فتأمل ذلك موفقا إن شاء الله.

(استطراد ترجمة والده)

القاضي العلامة النحرير المحقق شيخ الإسلام محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن موسى بن أحمد بن يونس الملقب ابن بهران بن حسن بن حجاج بن حسن بن إسماعيل بن إبراهيم بن حميدان بن قمران بن مالك بن عمر بن رزاح بن رباح بن أسعد بن يحيى بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد بن مناه بن تميم بن مر.

هكذا سرد نسبه في مطلع البدور وهو التميمي البصري ثم الصعدي. وهو أحد علماء اليمن المشاهير مولده سنة ٨٨٣ ثلاث وثمانين وثمانمائة. كان أول أمره يتنقل في البلاد اليمنية للتجارة وسافر إلى بلاد الحبشة وهو مع

ذلك يطلب العلم في كل محل يتجر فيه حتى تفرد برياسة العلم في عصره، وله مشايخ أجلاء منهم الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين والسيد المرتضى بن قاسم القطابري، وله منهما إجازة عامة، وممن أجازه أيضا الفقيه عالم وقته محمد بن أحمد مرغم المتوفى سنة ٩٣١ إحدى وثلاثين وتسعمائة. وقد ترجم له غير واحد منهم السيد الحافظ إبراهيم بن القاسم الشهاري في طبقاته والشوكاني في البدر الطالع، وترجم له القاضي أحمد بن صالح ابن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

العلامة المجتهد الفهامة المنتقد الذي قال فيه إمامه المتوكل على الله يحيى شرف الدين عمره في العلم عمر سبعة أنسر، وأطال في نعته بما تحقر عنه عبارتي وتعصر. كان فلكاً عليه شمس الفضل تدور وبحراً إذا غاضت البحار فلن يغيض ولن يغور، ترجم له العلماء وذكر بعض صفاته الحميدة العلامة الزريقي وغيره من علمائنا، وترجم له السيد محمد بن الخالص بن عنقاء الشافعي واتفقت كلمتهم على جمل نعته وعلى أنه وحيد زمانه ووقته، خاض في العلوم الإسلامية جميعها، وانقاد له أبيها المنيع مطيعاً، فله في كل علم علَم منشور ولواء يمضي تحته كل علم مشهور انتهى.

وترجمه تلميذه العلامة المقرائي في مكنون السر فقال ما خلاصته:

شيخي الفقيه المجتهد المبرز المقام الإمام الحبر القمقام. كان رحمه الله عالم عصره وإمام دهره وكان إليه النهاية في حل العقود، وحكماً فيصلاً في المقصود في شامها ويمنها وشرقها وغربها يرجع إليه نحارير العلماء ويلتمس منه الأحكام الفقهاء والحكماء، قد انتشر علمه في تلك الجهات وارتفعت تأليفاته إلى أعلى الدرجات، قد ألف في كل فن التأليفات المفيدات الكبار المشرقة أنوارها في جميع الأقطار.

ثم سرد مؤلفاته وهي كالتالي: (تفتيح القلوب والأبصار للإهتداء إلى كيفية إقتطاف أثمار الأزهار) في أربع مجلدات شحنها بجواهر الأخبار مع الاستيفاء للأدلة وتخريجها من الكتب المعتمدة وغيرها. ومنها (معتمد ذوي العقول المنتزع من جامع الأصول في أحاديث الرسول) وهو جزآن كبيران رتبه على أبواب الفقه، ومنها (جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار) قال المقرائي: ورفاه بتفسير الغريب فجاء بحمد الله غريب عجيب وأجازه لي مع غيره من مسموعاته. وله في أصول الفقه (متن الكافل بنيل السؤل) وهو متن طار في البلدان وشرحه جملة من العلماء أهل الاتقان، وله في علم العربية مختصر في علم المعاني والبيان موسوم بـ(قوت الأرواح المنتزع من تلخيص المفتاح)، وله (المختصر الوافي في علم العروض والقوافي)، وله في النحو كتاب (تحفة الطالب) وله شرح عليها، وله (البغية الوافية في التصريف)، وله في السيرة النبوية (ابتسام البرق شرح قصص الحق في مدح خير الخلق)، وكتاب (بهجة الجمال ومحجة الكمال)، وله (الكشف والبيان في الرد على المبتدعة من متصوفة الزمان) وله كتاب (بداية المهتدي وهداية المبتدي)، وله كتاب (الملاحة في علم المساحة). قال المقرائي: وله (مختصر في أصول الدين) و(مجموع في سيرة الأئمة) وله (حاشية على الكشاف). قلت: وهي الموسومة بالكاشف عن غوامض الكشاف وقفت عليها بخط ولده عبد العزيز.

قال: وله أبيات في إثبات الصانع وما يتعلق بذلك، وله مختصرات متعددة في الترغيب والترهيب، وله في علم الطريقة ثلاث مختصرات منها (هداية المهتدي) ومختصر موسوم بـ(كتاب النجاة في معرفة الله عز وجل) وله (مختصر في الفرائض) وله مسائل في جميع الفنون سأل عنها حي الإمام عز الدين بن الحسن فأجابه فيها وألحق في جوابات الإمام عليه إلحاقات حسنة وتذييلات مستحسنة، وله تعليق على المختصر الذي جعلته في الفرائض الموسوم بالمصباح الفائض.

قلت: ولتفرده برياسة العلم في عصره وعلو كعبه في التصنيف فإنه لما أرسل صاحب الترجمة إلى الإمام شرف الدين بالجزء الأخير من تفسيره الموسوم بالتكميل الشاف لتفسير الكشاف قال المقرائي: وهو تفسير بسيط جليل واف بجميع الفوائد والفصول وهو ثمانية أجزاء تامة جمع فيه بين فوائد الكشاف وغيره من التفاسير القرآنية والأحاديث النبوية، سرّ بذلك الإمام شرف الدين وأمر بإظهار شعار هذه الفضيلة وجعل مجلدات الكتاب في صندوقين عظيمين من صعده إلى صنعاء ثم خرج شمس الدين بن الإمام شرف الدين لتلقي الكتاب بالطبولخانة والأرتاج ونحوها والوصول به إلى الجامع الكبير بصنعاء وقراءة خطبته وتفسير سورة الفاتحة منه على العلماء والعموم بجامع صنعاء وساروا به إلى القصر ذكر ذلك المؤرخ زبارة وغيره من المؤرخين ومصنفي سيرة الإمام عليه السلام.

***

وللقاضي ابن بهران الأشعار الفائقة وشعره في الذروة ومن مشاهير شعره اللامية الدائرة في الأقاليم على نهج قصيدة الطغرائي في لامية العجم. وقد غلط بعض أهل التحقيق للمخطوط وبعض المؤلفين بنسبتها إلى خليل الصفدي وهو تصحيف الصعدي بالصاد والعين المهملتين منهم صاحب كتاب قول على قول وصاحب نفحة اليمن والسيد أحمد الهاشمي صاحب جواهر الأدب وغيرهم. والصحيح أنها لصاحب الترجمة وقد أوردها تلميذه المقرائي في مكنون السر كاملة وأولها:

الجد في الجد والحرمان في الكسل ... فانصب تُصبْ عن قريب غاية الأمل
وشُمْ بروق الأماني في مخايلها ... بناظر القلب تكفى مؤنة العمل
واصبر على كل ما يأتي الزمان به ... صبر الحسام بكف الدارع البطل
لا تمسين على ما فات ذا حزن ... ولا تظل بما أوتيت ذا جذل
فالدهر أقصر من هذا وذا أمدا ... وربما حل بعض الأمن في الوجل
وجانب الحرص والأطماع تحظ بما ... ترجو من العز والتأييد في عجل
واقن القناعة لا تبغ بها بدلاً ... فما لها أبدا والله من بدل
وصاحب العزم والجد اللذين هما ... في العقد والحل ضد العي والخطل
وألبس لكل زمان ما يلائمه ... في العسر واليسر من حل ومرتحل

واصمت ففي الصمت أسرار تضمنها ما نالها قط إلا سيد الرسل
واستشعر الحلم في كل الأمور ولا تبدر ببادرة سوء إلى رجل
وإن بليت بخصم لا خلاق له فكن كأنك لم تسمع ولم يقل
ولا تمار سفيهاً في محاورة ولا حليماً لكي تنجو من الزلل
ثم المزاح فدعه ما استطعت ولا تكن عبوساً ودار الناس عن كمل
ولا يغرك من يبدي بشاشته منهم لديك فإن السم في العسل
وإن أردت نجاحاً أو بلوغ منى فاكتم أمورك عن حاف ومنتعل
وابكر بكور غراب في شذا نمر في بأس ليث كمي في دها ثعل
في جود حاتم في إقدام عنترة في حلم أحنف في علم الإمام علي
وهن وعز وباعد واقترب وأعد وابخل وجد وانتقم واصفح وصُل وصِل
بلا غلو ولا جهل ولا سرف ولا توان ولا سخط ولا ملل
وكن أشد من الصخر الأصم لدى الـ بأساء وأسير في الآفاق من مثل
حلو المذاقة مراً ليناً شرساً صعباً ذلولاً عظيم المكر والحيل
مهذباً لوذعياً طيباً فكهاً غشمشماً غير هياب ولا وكل
صافي الوداد لمن أصفى مودته حقاً وأحقد للأعداء من جمل
شهم الفؤاد وقوراً حوّلاً يقظاً واري الزناد أبياً غير ذي وهل
لا يطمئن إلى ما فيه منقصة عليه إلا لأمر ما على دخل
ولا يقيم بأرض طاب مسكنها حتى يقد أديم السهل والجبل
ولا يصيخ إلى داع إلى طمع ولا ينيخ بدار نازح العلل
ولا يضيع ساعات الدهور فلا يعود ما فات من أيامها الأول
ولا يراقب إلا من يراقبه ولا يصاحب إلا كل ذي نبل
ولا يعد عيوب الناس محتقرا لهم ويجهل ما فيه من العلل
ولا يظن بهم سوءا ولا حسناً يصاب من أصوب الأمرين بالغيل
ولا يؤمل آمالاً لصبح غدٍ إلا على وجلٍ من وثبة الأجل
ولا ينام وعين الدهر ساهرة في شأنه وهو ساهٍ غير محتفل
ولا يصد عن التقوى بصيرته فإنها للمعالي أوضح السبل

من لم تكن حلل التقوى ملابسه عارٍ وإن كان مغمورا من الحلل
من لم تفده صروف الدهر تجربة فيما يحاول فليرعى مع الهمل
من سالمته الليالي فليتق عجلا منها بحرب عدو غير ذي مهل
من كان همته والشمس في قرنٍ كانت منيته في دارة الحمل
من ضيّع الحزم لم يظفر بحاجته ومن رُمي بسهام العجب لم ينل
من جالس الغاغة النوكا جنى ندما لنفسه ورُمي بالحادث الجلل
من جاد ساد وأضحى العالمون له رقاً. وحالة جعد الكف لم تحل
من لم يصن عرضه ساءت خليقته وكل طبع لئيم غير منتقل
من رام نيل العلى بالمال يجمعه من غير حل بُلي من جهله وبَلي
من هاش عاش وخير العيش أشرفه وشره عيش أهل الجبن والبخل
عاجمت أيام دهري شدة ورخا وبؤت فيها بإثقال عليّ ولي
وخضت من كل واد في مسالكها بلا توان ولا عجز ولا فشل
طوراً مقيماً مقام الدر في صدفٍ وتارة في ظهور الأينق الذلل
بالشرق يوماً ويوماً في مغاربها والغور يوماً ويوماً في ذرى القلل
وتارة بين أحبار جهابذة وتارة أصحب الغوغاء في زجل
وتارة عند أملاك غطارفة شم العرانين بين الخيل والخول
هذا ولم يرض لي حال وقعت به إلا وثقت بحبل غير منفصل
ولم يلذ لعيني منظر أبداً ولم أزل وبنات الدهر في جدل
ولا أيممت بحراً جاش غاربه إلا وجدت سراباً أو جرى وشل
حتى إذا لم أدع لي في الثرى وطناً أقصرت من غير لا وهن ولا ملل
فاليوم لا أحد لي عنده أرب ولا فتى أبدا ذو حاجة قبلي
وفي الفؤاد أمور لا أبوح بها ما قرب الناي أيدي الخيل والإبل
فإن أمت فلقد أعذرت في طلب وإن تعمرت لا أصغي إلى عذل
تمت برسم أخ ما زال يسألني إنشائها أبدا في الصبح والطفل
فقلتها لأداء مفروض طاعته والقلب في شغل ناهيك من شغل
ولم أبالغ في توفيف أكثرها ولا ذكرت بها شيئاً من الغزل

لكنها حكمٌ مملوءة هماً تغني اللبيب عن التفصيل والجمل
بذي الغباوة من إنشادها ضرر كما يضر نسيم المسك بالجعل
ثم الصلاة على أزكى الورى حسباً محمد وأمير النحل خير ولي
ما أومض البرق في الديجور مبتسما وما سفحن دموع العارض الهطل

وله في بدائع صنع الله وخلقه للإنسان وتفضله عليه:

بدائع صنع الله فيك عجيب وإحسانه المعهود منك قريب
وفي كل عضو منك لله نعمة ومن حفظه منها عليك رقيب
ألم تر أن الله أنشاك نطفة فخالطها مما عملت صبيب
فصرت عظاماً بعد أن كنت مضغة وزادك من بعد الشباب مشيب
تقلب في يسر وعسر وصحة وسقم فللحالات فيك نصيب
وإن بلغ السيل الزبا في ملمة دعوت سمعيا قادرا فيجيب
ويكشف عنك الغم بعد نزوله لعلك من كسب الذنوب تتوب
فلا تبتئس من فضل ربك إنه يعيد ويبدي فضله ويثيب
وظن به خيراً تنله وتوبة رجاء فراجي الله ليس يخيب

وله مقاطيع تكاد تسيل عذوبة ومنها لما بات بهجرة حوث في توجهه إلى حضرة الإمام شهر ذي القعدة سنة ٩٠٧ وقد أكرمه السادة أولاد الإمام يحيى بن حمزة والمشائخ الجلة آل الرصاص فقال:

أقمنا بحوث بعض يوم وليلة فلله حوث من محل مكرم
وهجرة علم فاز بالسبق أهلها وفاقت وراقت ناظر المتوسم
به سادة من آل طه كأنهم نجوم منيرات على أثر أنجم
جحاجحة شم الأنوف أعزة كرام لهم فضل على كل مسلم
وفيها قضاة جلة ومشائخ لهم درجات في العلا والتقدم

وكانت وفاته بصعده المحروسة منتصف شهر رمضان سنة ٩٥٧ سبع وخمسين وتسعمائة وقبره بالقرضين رحمه الله تعالى.

(استطراد عم المترجم له)

وصنوه هو القاضي الأديب الشاعر موسى بن يحيى بهران الصعدي صاحب القصائد الرائقة العذبة السائرة في مدح الإمام شرف الدين بن شمس الدين ترجمه العلامة عبد الله بن علي الضمدي وذكر في صفته فقال: هو الفقيه العالم الأديب المصقع الشاعر موسى بن يحيى بهران الصعدي بلدا اليمني البصري أصلا كان رحمه الله من الفصحاء المبرزين وله ديوان شعر كثير غالبه في مدح الإمام شرف الدين وأولاده وفيه مواعظ ومدح في النبي صلى الله عليه

وآله وسلم، وكان غرة في زمنه رحمه الله توفي بالطاعون بصنعاء سنة ٩٣٣ ثلاث وثلاثين وتسعمائة ودفن هناك ورثاه صنوه الشيخ العلامة محمد بن يحيى بهران بأبيات وهي في لوح قبره مشهور انتهى.

قلت: وديوانه المذكور منه بأيدينا نسخة مخطوطة، وقد طبع الديوان مؤخرا طبعة مشوهة كثيرة الأغلاط والتحريفات ولا حاجة بنا إلى إيراد ما يعرّف بأدبه وبلاغته لبعد صيت أشعاره وشهرتها.

٥٣ ـ القاضي عبد القادر بن سعيد الهبل

القاضي العلامة المحقق عبد القادر بن سعيد بن صلاح الهبل الخولاني الأصل اليمني الصنعاني ثم الصعدي. وقد تقدم في حرف الألف أثناء ترجمة القاضي أحمد بن صالح الهبل أن أهل هذا البيت استوطنوا المدينة الصعدية في أواخر العقد الثاني من هذا القرن وأولهم والد المترجم القاضي العلامة الفروعي سعيد بن صلاح الهبل المتوفى بشهارة سنة ١٠٣٧ فاستقر بعض أولاده بصعده منهم المترجم له وصنوه يحيى الآتية ترجمته.

أخذ القاضي عبد القادر صاحب الترجمة في الفروع عن أبيه وسمع عليه شفاء الأوام للأمير الحسين وقرأ على القاضي عامر بن محمد الصباحي وله قراءة بشهارة على الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد وقد قدمنا إجازته له في أثناء ترجمة أحمد بن عبد القادر الطحم المحررة سنة ١٠٤٦.

وله تلامذة أجلاء منهم المولى محمد بن الحسن بن الإمام القاسم والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال والقاضي يحيى بن جار الله مشحم والقاضي يحيى بن الحسن سيلان والسيد الحسن بن صلاح الداعي وغيرهم. وقد ترجم له السيد إبراهيم بن القاسم الشهاري صاحب الطبقات الكبرى فقال:

كان عالماً محققاً وفيه قال الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم: حافظ المذهب وهو من أهل الورع وطيب الطوية بحيث يقل نظيره انتهى.

وترجمه تلميذه صاحب الدامغة الكبرى فقال: كان من المدرسين في العلم بصعده والمحبين للدرس بها أسمع أنه أقرأ في شرح الأزهار فوق أربعين شرف ووفاته بصعده سنة ١٠٩٠ تسعين بعد الألف وقبره بالقرضين مقابل باب المنصورة رحمه الله تعالى.

(وصنوه)

هو القاضي العلامة يحيى بن سعيد الهبل.

كان عالماً مدرساً بصعده أخذ عنه جملة من طلبة العلم كالقاضي يحيى بن أحمد الحاج الأسدي وغيره. ذكره السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى وأفاد أنه كثيراً ما تولى الخطبة بصعده والقضاء مع الدولة دولة المتوكل علي بن أحمد أبو طالب وبها توفي ثالث شهر جمادى الأولى سنة ١٠٩٧ سبع وتسعين وألف وقبره بجانب صنوه المتقدم رحمه الله.

٥٤ ـ العلامة عبد الكريم بن صلاح الحيمي

العلامة الفاضل عبد الكريم بن صلاح الحيمي. ترجمه القاضي ابن أبي الرجال في مطلع البدور فقال في صفته: كان فاضلاً عابداً صالحاً، طلب العلم بصعده المحروسة وبها توفي، وقبر بجوار الكينعي وهو مزور مشهور، ولا أعرف مقدار ما حصّله من العلم، غير أني رأيت إليه قصائد، ورأيت تعلق الفضلاء بزيارة قبره، فمما كُتب إليه من الشعر ما كتبه القاضي العلامة علي بن محمد بن سلامة:

أيا عبد الكريم حماك ربي ... وسلّمك المهيمن كل حرب
وحقك أن لي شوقاً عظيماً ... أذاب جوانحي وأذاب قلبي
ترجيت اللقا والقرب يوماً ... فلم أسعد بإسعافٍ وقرب
فيا ليت الزمان يجود صدقاً ... بقرب أحبتي ويزيل كربي
أعاني ما أعاني من نواكم ... وأضنى، والنوى يضني ويسبي
فرفقاً بي ولا تصلوا التنائي ... وحسبي مدة الهجران حسبي
متى شمس الهدى يروي ظمائي ... بإقبال وأبيات وكتب
جفا وأطال قطع الكتب دهراً ... بلا سبب لذلك غير عتب
عليكم ما سرى برق سلام ... يحاكي الوبل في سكب وصب
ولا برحت تحيات عظام ... تخصكمُ على بعد وقرب

وأراد (بشمس الهدى) القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن علي بن أبي الرجال، فأجاب القاضي شمس الدين بهذه الأبيات:

أتى المسطور من تلقاء ندب ... يخبّر عن براعته وينبي
جمال الدين دام مدى الليالي ... معافى في صفا عيش وخصب

إلى آخر الأبيات. ولما توفي عبد الكريم المذكور كتب شيخنا السيد العلامة محمد بن الهادي بن جحّاف إلى الوالد شمس الدين أبياتاً منها:

الموت لا والدٌ أبقى ولا ولدا ... والمرء إن لم يمت في اليوم مات غدا
الموت حوضٌ وكل الناس وارده ... فهات شخصاً لحوض الموت لن يردا
مات النبي أجل الناس مرتبة ... وكان أعظمهم عند الإله يدا

ومنها:

فحين ذاق النبي الموت كان لنا ... أقوى دليل على أن لا يدعْ أحدا
فعزِّ نفسك عن إلفٍ تودعه ... وقم لتحصيل زادٍ بعدُ مجتهدا
فأنت في إثره . والله . مرتحلٌ ... فهيء الزاد إنْ حادي الرحيل حدا

فأجابه القاضي أحمد بن علي بن أبي الرجال رحمهما الله تعالى:

أفاض دمعي وأوهى مني الجلدا ... علمٌ أتاني فصبري عنده نفدا

من صعده جاءني رقٌّ فأرقني وندّ نومي عن عينيّ وابتعدا
رفعتَ يا كاتباً ما كنت أحذره من فرقة الإلف والحوض الذي وردا
وفاة من كان في الأيام غرتها وكوكباً لضياء العالمين بدا
شام الأنام بروقاً فيه صادقة فأقصرته المنايا عن بلوغ مدا
ما لي أرى الموت لم تظهر فتاكته إلا بمن كان نوراً للورى وهدى
يا ليت علمك يا عبد الكريم طُوِي عني لأسْلم حزناً فتّت الكبدا
والحمد لله قد أمضى قضاه وما يلقى العباد من المقدور ملتحدا

ولم أضبط تاريخ وفاته إلا أن وفاة القاضي أحمد بن علي بن أبي الرجال كانت سنة أربعين وألف فتكون وفاة صاحب الترجمة قبل هذا التاريخ.

٥٥ ـ السيد عبد الله بن أحمد المؤيدي

السيد العلامة فخر الدين عبد الله بن أحمد بن الحسين بن عز الدين بن الحسن بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني المؤيدي الصعدي ثم الصنعاني.

نشأ بصعده في حجر والده السيد الرئيس أحمد بن الحسين المؤيدي متولي صعده في أيامه ولما قتل والده المذكور على يد الأتراك في شرفة آل عمار سنة ٩٩١ إحدى وتسعين وتسعمائة أخرجوه هو وإخوته وسائر السادة بني المؤيد إلى صنعاء قسرا فسكنها وقرأ فيها في الفقه على العلامة أحمد بن معوضة الجربي وأخذ عنه جلة من العلماء منهم السيد محمد بن عزالدين المفتي الآتية ترجمته والقاضي سعيد بن صلاح الهبل وغيرهما.

وكان سيد العلماء في وقته ترجم له القاضي ابن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

السيد العلامة المتواضع الدمث الأخلاق. كان عالم وقته وسيد عصره وممن تيسر له العلم وسخر له كان يأتي في الإملاء بالعجائب والغرائب مع أنه لا يشتغل بالدرس في الليل ولا يفتح الكتاب إلا عند الدرس وعلق عنه الفضلاء وصححوا قواعد وقيدوا شوارد وكان محيطا بعلوم الإجتهاد إلا واحدا منها قال: خفت أن يجب علي فرض الإمامة. وكان عفيفا زاهدا ومن جلالة قدره أن شيخة العلامة أحمد بن معوضة الجربي لما عمي وكف بصره كان لا يمر من الطريق إلى مصلاه في مسجد داود إلا من وراء السيد تعظيما له وإجلالا. وفي أثناء ترجمته بالمستطاب: أنه كان من علماء الهدوية الكبار عاصر الإمام المنصور بالله وكان سكونه بصنعاء وكان يحب الصدقات الجاريات ومن جملة سعايته الحميدة رص الحجارة أو بناء القنطرة النافذة من قرية الدجاج بقرب صنعاء إلى نحو الحصبة انتهى. ووفاته بصنعاء لعلها في عشر العشرين بعد الألف ودفن بجربة الروض رحمه الله.

(وصنوه الأول)

هو السيد الأديب العارف الحسين بن الأمير أحمد بن الحسين المؤيدي الحسني الصعدي ثم الصنعاني. نشأ أيضا بصعده وانتقل مع أخوته وأعمامه من بني المؤيد إلى صنعاء قسرا واستقر بها ترجم له صاحب مطلع البدور فقال: كان أديبا شريفا عالي الرتبة وله اليد الطولى في علم الأدب والشعر الفائق وليس بالكثير، وله خلطة بالأتراك

بصنعاء ولما التمس الباشا سنان من الأدباء تأريخ قبة البكيرية التي عمرها الوزير حسن باشا وتأريخ الحمام والمستطابات التي اتخذت عند القبة تمالح الأدباء وأتحفوا في ذلك وأجادوا، فمن ملح صاحب الترجمة في تاريخ المستطابات قوله:

كم حاقن وحاقب خلاصه في سبقه

ووفاته تقريبا سنة ١٠٢٥ خمس وعشرين وألف. والبكيرية نسبة إلى بكير آغا مولى الوزير حسن باشا متولي الأتراك في ذلك الوقت، والقصة في سبب بنائها من قبل الوزير حسن معروفة، وكان تمام البناء بها سنة ١٠٠٥ خمس وألف، وحكى في بغية المريد أن موضع القبة قبة الكبيرية كانت مقبرة عظيمة من أيام الطاعون في زمن الإمام شرف الدين سنة ٩٤٠ أربعين وتسعمائة والله أعلم.

(وصنوه الثاني)

هو السيد صلاح بن أحمد بن الحسين الحسني المؤيدي أمه هي الشريفة مريم بنت أحمد بن يحيى بن أحمد بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد وأم أخوته محمد والحسين وعبد الله هي الحرة آمنة بنت محمد الدقم من أهل صنعاء. وكان صلاح المذكور متاخما للأتراك بصنعاء ومن جملة أعوانهم وأعطوه سنجقا فخريا، وهو الذي استخلفه الوزير جعفر باشا على صعده لما تم له استخراج الأمير صفر منها سنة ١٠٢٥ وقد تقدم له ذكر عند استطراد ذكر الشيخ ابن مجزب بحرف السين. وفي اللآلي المضيئة للسيد العلامة الكبير أحمد بن محمد الشرفي عند ذكر تلك الأحداث ما لفظه:

ولما تراخى وقوف محمد باشا في جهات تعز اضطرب أحوال العسكر الذين كان الباشا جعفر رتبهم في أطراف بلاد الأتراك المتاخمة لبلاد الإمام عليه السلام، وتقللت جوامكهم، وهمَّ بعضهم بنهب أمرائهم، وخالف قبائل صعده الذين كانوا تحت يد الأتراك وهم المتاخمون لصعده كقبائل سحار وشيخهم الشيخ الأجل علي بن مجزب هو الذي ألَّب قبائله وحزّبهم على الخلاف على الأتراك، فخالفوا على الأمير الذي جعله الباشا قبل عزمه والياً لها هو والأمير صلاح بن أحمد بن الحسين من الأشراف آل المؤيد، وحاربوه أياماً فكانت الغلبة للقبائل ودخلوا عليه المدينة بالسلالم، وحاصروه في المنصورة ودار مطهر، ولم يكن معه فيها ما يقوم به وبمن معه من طعام وغيره، فلما تيقن أنه مأخوذ لاذ بالإمام واستشفع إليه أن يرسل من أصحابه من يسكن ثائرة القبائل عنه، وكذلك كتب المتولي بصنعاء يومئذٍ من جهة الباشا محمد بمثل ذلك، فأرسل الإمام عليه السلام الحاج الفاضل شمس الدين أحمد بن علي بن دغيش الغشمي الصريمي الحاشدي، أن يصلح بين القبائل وأمير صعده، فلما وصل أسعده القبائل إلى الصلح لذلك الأمير إلى منتهى صلح الإمام عليه السلام والأتراك، على أن يبقي في قصر مطهر والمنصورة لا يتعداهما، ويستمد من السوق ما يحتاجه هو وأصحابه في كل يوم كفايتهم لا يزيدون على ذلك، وكان القائم بأمر القبائل المخالفين على الأتراك بعض مشائخهم الذين كانوا من أعيان دولة الأتراك وأعظم المعينين لهم والمجدين في حرب الإمام، ثم انتقض الصلح بينهم وبينه في شهر صفر من سنة ١٠٢٦ ست وعشرين وألف سنة فدخل

القبائل عليه المنصورة فنهبوا جميع ما فيها، وأسلموا الأمير صلاح بن أحمد ومن معهم من الأتراك وأمنوهم برفاقة، فخرج الأمير صلاح إلى هجرة فللة وبقي فيها مدة، وكفاه الإمام عليه السلام ما يحتاج إليه، ثم استأذن الإمام في العزم إلى صنعاء، وجاءت طريقه على تهامة وحصل معه في طريقه تنكيدات انتهى.

قلت: ورأيت في تاريخ الضمدي أن وفاة السيد صلاح المذكور في سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف. ولهم أخ رابع لعله هو الأكبر من أخوته وهو السيد الصدر الضرغام عز الدين محمد بن أحمد بن الحسين وكان بعد مقتل والده قد تقدم إلى الإمام الحسن بن علي بن داود ولم أقف على أخباره بما يكفي.

(استطراد ترجمة الأمير أحمد بن الحسين المؤيدي)

ووالد الجميع هو الأمير الصدر المقام شمس الدين أحمد بن الحسين بن عز الدين بن الحسن بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد الحسني المؤيدي.

ففي تاريخ مطلع البدور ومجمع البحور للقاضي ابن أبي الرجال جاء استطراد هذا الأمير أثناء ترجمته لولده الحسين بحرف الحاء فقال: وقد كان والده أحمد بن الحسين أعجوبة الزمان في المكارم، ملكاً عظيم المنزلة واسع الإفضال، بلغت عساكره مبلغاً عظيماً، مما يحكى أنه جعل أنواع عسكره خمس عشرة طائفة، وجعل بعد العيد خمسة عشر يوماً أيام عطلة يخرج في كل يوم طائفة من العسكر بزي عجيب وكان يقول: أنا لا أفي لمن قطع إليَّ العَمَشيّة قاصداً ليّ، وحكي أنه كان يخرج من بيته كل يوم ثلاثمائة جفنة للحشم والخدم وأهل الأعمال والضيوف وكان يأكل مع العامة. وذُكر عنه أنه استقلّ الناس على طعامه فدخل البيت واجماً منكسر الخاطر، فجاءته بعض الشرايف لها عليه سطوة، سألته ما حدث من الحوادث أوجب ذلك الانكسار؟ فاستعفاها فلم تعفه، فقال: رأيت الناس على طعامي قليلاً. ولد السيد أحمد بن الحسين المؤيدي سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة، وقتله الأتراك سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، سلخ شهر القعدة، وقبره بشرمات من بلاد آل عمّار. قال: وولادة أبيه الحسين سادس رمضان سنة ثلاث وتسعمائة واستشهد الحسين هذا في ثلا مجاهداً مع مطهر بن الإمام شرف الدين بأمر صنوه الإمام الهادي أحمد بن عز الدين أصيب بسهم يوم الخميس خامس شهر محرم سنة تسع وخمسين وتسعمائة، ومات ثاني ذلك اليوم يوم الجمعة، وقبر بثلا انتهى بلفظه.

وقال صاحب التحفة العنبرية في ذكر طرف من أخباره وترجمته ما خلاصته:

ولد سنة ٩٣٣ ثلاث وثلاثين وتسعمائة ونشأ في الرئاسة منشأ سلفه الكرام، ولما استشهد والده السيد الرئيس المجاهد الحسين بن عز الدين في مدة الإمام الهادي إلى الحق أحمد بن عز الدين أرسله الإمام في عسكر لهام للجهاد مع السيد غرة بني الزهراء وآية مجدهم الكبرى فخر الدين المطهر بن الإمام شرف الدين لما قصدته الأتراك إلى ثلا وكان المطهر معتز إلى الإمام أحمد بن عز الدين وكان استقرار المطهر بمدينة ثلا والأتراك في حوشان وكانت الحرب بينهم سجالا ثم إن الأروام ورئيسهم ازدمر باشا جردوا الهمة وجمعوا جموعهم وحملوا على المطهر إلى المدينة فاستولوا عليها وأخرجوه منها وكانت ملحمة عظيمة اشتد فيه القتال وحمى فيها الوطيس وانجلت عن استشهاد

السيد الرئيس شرف الدين الحسين بن عز الدين أصيب بسهم في يوم الخميس خامس عشر شهر محرم غرة سنة تسع وخمسين وتسعمائة، ومات يوم الجمعة ثاني اليوم المذكور ومدة عمره خمس وخمسون سنة وأربعة أشهر وتسعة أيام، وقبره في ثلا مشهور وانحاز السيد فخر الدين المطهر في حصن ثلا إلى أن انعقد الصلح بينه وبين إزدمر باشا، وكان قد أشرف على العطب والهلاك، والقصة في ذلك معروفة مشهورة، فقام ولده أحمد بن الحسين مع عمه الإمام الهادي إلى الحق أحمد بن عز الدين مقامه في الرئاسة واشتهر بالشجاعة والنفاسة وحسن التدبير والسياسية وله مقامات مع الإمام في الجهاد محمودة ومواقف مشهورة مشهودة إلى أن تقلصت على الإمام عليه السلام الأمور ولم يساعده المقدور وكان المحارب له والمناصب الأمير الناصر بن أحمد بن محمد بن الحسين الحمزي فاستولى الأمير ناصر على جميع البلاد وعز على الإمام الناصر والمعين من العباد فارتحل عليه السلام إلى الحرجة من بلاد قحطان يوم رابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة ستين وتسعمائة وعزم السيد أحمد بن الحسين إلى عند ازدمر باشا إلى صنعاء مستنجدا له على الأمير ناصر فأعانه بالأموال والعساكر وأرسل معه الأمير محمد بن عبد الله بن جعفر اليامي وإبراهيم آغا من أصحاب ازدمر رئيسان على العسكر فكانت طريقهم من بلاد تهامة، وطلع بهم السيد أحمد بن الحسين من جبل رازح في جمادى سنة ٩٦١ إحدى وستين فلما بلغ الأمير ناصر وصوله بمن معه من العساكر جهز صنوه الأمير وهاس بن أحمد وولده الأمير بدر بن ناصر بعساكر واسعة فسبقهم السيد شمس الدين ومن معه إلى الجبل بالطلوع ووصلت الأشراف فحطوا في سوق الربوع[1] فقصدهم السيد بمن لديه من تلك الجموع فكانت الدائرة على الأشراف وهزيمتهم إلى عرو[2] وتقدم السيد أحمد إلى بين الحجابين ثم إلى عرو، وقد صارت الأشراف منه أثرا بعد عين فملك المغارب وقرر أحوال أهلها وخفف عليها المطالب، ثم تقدم للحطاط على صعده فحط في المشهد، فوافى ذلك وصول إزدمر باشا من اليمن بجنود لا تحصى فحط على المدينة بتلك الجنود الكثيرة فكان الحطاط عليها أياما يسيرة، ثم طلب أهلها من إزدمر باشا أمانا أكيدا خوفا منهم أن يحل بهم ما حل بأهل صنعاء فجعل لهم ذلك، ودخل المدينة بجنوده ولم يثبت الأمير ناصر لقتال بل عزم إلى الجوف وقد انفلت شوكته وضعفت دولته، وبقي إزدمر باشا بصعده أشهرا فلما تهيأ للعزم إلى صنعاء ولى على صعده وبلادها الأمير اسكندر وأبقى لديه ما يضبط به البلاد من العسكر وألزمه بسياق ما قرره للسيد أحمد بن الحسين من واجبات البلاد التي إليه وعرفه ما بينه وبين السيد أحمد من العهد الذي يجب المحافظة عليه وأقر السيد على الجهات الشامية ثم ارتحل بعساكره إلى صنعاء.

وبقي السيد أحمد والأمير اسكندر على ذلك الصلح قدر سنتين والأمير اسكندر يعمل للسيد المكائد والغوائل والسيد في غاية الحزم والانقباض والاحتراز من المتاخمة والإعراض ووطن نفسه على المداهنة والصبر على ما شاهده من كيد الأمير اسكندر وحسده ومنافسته في الاستبداد فلما آيس من الظفر بالسيد أحمد أخذ في أهبة الحرب

---

[1] ( ) موضع في جبل رازح.

[2] ( ) عرو: بلدة في خولان معروفة.

وكان السيد في يسنم فتقدم إلى الهجرة المقدسة فقصده الأمير اسكندر بثلاث محاط في الخطم[1] واحدة وفي العيناء[2] أخرى وفي عرو الثالثة، فقصد السيد محطة العيناء فهزمهم وقتل منهم جماعة، ثم قصد محطة الخطم فهزمهم وغنم أثقالهم، فلما بلغ الأمير اسكندر ما حل بأصحابه من القتل والهزيمة جرد همته وتقدم بنفسه حتى حط في العيناء، فلما بلغ الإمام الهادي إلى الحق أحمد بن عز الدين تألب الأتراك وحصرهم لمن في الهجرة من السادة الكرام جرد همة عالية وأقبل في ثمانين فارسا من خيل أهل الشام، فلما تيقن الأمير اسكندر وصول الإمام ارتحل إلى صعده بمن معه من الأروام وتقدم الإمام إلى الهجرة ثم تقدم على محطة من الأروام بآل حباجر فهزمهم إلى حول صعده وعاد إلى الهجرة بمن معه من العساكر. ثم إن الأمير اسكندر خرج إلى الحضائر فقصده السيد أحمد بن الحسين إلى هنالك فكان بينهما وقعة عظيمة وملحمة جسيمة كانت اليد الطولى فيها للسيد شمس الدين وارتحل ليلة ثاني الوقعة الأمير اسكندر ومن معه إلى صعده منهزمين.

وفي أثناء ذلك وصلت كتب من السيد فخر الدين المطهر بن الإمام شرف الدين إلى الإمام أحمد بن عز الدين أنها قد توجهت إليكم عساكر لا طاقة لكم على مقابلتها فانظروا لأنفسكم بالنظر الثاقب وما يصلح به العواقب، وكان بين الإمام والسيد فخر الدين المطهر معاهدة على أنه يمنع من أراد الوصول إلى جهات صعده من الأتراك، فلم يقدر المطهر على منعهم. فلما صح للإمام وصول العساكر المذكورة ارتحل إلى الحرجة والسيد أحمد بن الحسين عزم بأولاده وإخوانه ومن بقي معه من عسكر إلى عند المطهر فقابله بالاحسان الجزيل والإنصاف، وقام به وبجميع من ألم به من إخوانه وخواصه وعسكره وأعوانه وقرره في حصن الجاهلي فبقي بمن معه إلى سنة أربع وسبعين وتسعمائة، ثم إن المطهر بن الإمام ألزم السيد شمس الدين في تلك السنة بالعزم إلى جهات صعده لحرب الأتراك واستفتاح تلك الأقطار فنهض من حصن الجاهلي بأصحابه حتى وصل إلى طرف بلاد خولان، فلما بلغ الأمير علي وهو أمير صعده وجهاتها في ذلك الأوان نهض في عساكره إلى عرو، فحط فيه وأرسل عينة إلى حيدان، فتقدم السيد شمس الدين على تلك العينة فاستولى عليها، وكان أخذها عنوان النصر والظفر، ثم تقدم فحط في جبل الدو[3] وألزم في تلك الليلة من حضر بأن يشعلوا النيران فأشعلوها، وكان في تلك اللحظة حائر الفكرة لما هو فيه من قلة الرجال وعدم الناصر فلما شاهد أمير الأتراك تلك النيران داخله الفشل وأمر بالارتحال في تلك الليلة فسمع السيد شمس الدين صائحا يقول: هربت المحطة، فلما تأكد الخبر حمل عليهم السيد شمس الدين وحال بينهم وبين مرادهم ولاحمهم بالقتال، وأقبلت عليهم القبائل من جميع الجهات، فترك الأتراك المحطة وما احتوت عليه ونجوا بنفوسهم وتفرقوا في الطرق على رؤوسهم، فكانت طريق الأمير علي من فلله فنجا إلى صعده بمن معه من الخيل وباقي العسكر كانت طريقهم إلى صارة، فوقع القتل والنهب في العسكر واستقر السيد شمس الدين في

---

(1) الخطم يقصد به خطم هجرة فلله.

(2) العيناء غربي هجرة فلله بمسافة ١٠كم.

(3) كذا في الأصل.

المحطة يغنم ما فيها من الكراع والآلات، وأقبلت إليه القبائل بالخيل والسلاح فاستقوت شوكته وعظمت كلمته واشتدت وطأته ولبث أياما ينظم أحوال الرعية ويقررهم.

ثم وصلت كتب الأمير عز الدين محمد بن الناصر الحمزي إلى السيد شمس الدين أحمد بن الحسين أنه يحب اتحاد الحال وأن يتعاضدا على الأتراك في القتال، فأسعده السيد إلى ذلك، فالتقيا إلى النهود وتقرر بينهما بعد تأكد الأيمان والعهود أن نصف المدينة ومخلافها وبلاد المشارق أجمع إلى الأمير محمد، وما قد حازه السيد شمس الدين من بلاد سحار قبل الاتفاق وبلاد خولان والجهات الشامية ونصف المدينة إلى السيد أحمد، فتعاضدا على ذلك وتقدما على صعده، فحطا في المشهد فحصراها أربع وعشرين ليلة وافتتحاها عنوة يوم عشرين في ربيع الآخر من سنة أربع وسبعين وتسعمائة واحتاز الأمير علي ومن معه من عسكر الأروام في المنصورة قدر ثلاثة أشهر، وخرج بأمان منهما وكان طريقه إلى الجوف ثم إلى صنعاء واستمرت سكناهما بصعده قدر خمس سنين ثم حصل بينهما ما لا تطيب به النفوس فخرج السيد أحمد إلى ساقين وأقام به قدر شهرين وأخرج أولاده من صعده إلى الهجرة، فلما بلغ الأمير جمال الدين علي بن محمد الشويع بن عبد الله بن الحسين بن علي بن قاسم بن الهادي بن الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة ما بين السيد شمس الدين والأمير عز الدين من المنافرة والمباعدة وعدم المساعدة على ما كان تقرر بينهما اغتنم الفرصة فارتحل من ثلا قاصدا للسيد أحمد بن الحسين في جماعة من أصحابه فعرّفه وهو في الطريق أنه يريد اتحاد الحال والنصفة من الأمير محمد بن ناصر لأنه استبد بالجوف فجوب عليه السيد شمس الدين بالاسعاف وأن يستقر في علاف وأنفذ إليه بعض أصحابه الذي يركن عليهم وأمره بالقيام فيما يحتاج إليه الأمير ومن معه، ثم نهض السيد شمس الدين من ساقين إلى الهجرة المقدسة وحصل بينه وبين الأمير محمد بن ناصر اتفاق في خطم فلله وخوض طويل في الاتحاد فلم يحصل بينهما سداد فرجع السيد إلى الهجرة والأمير محمد إلى صعده.

وفي اليوم الثالث من الاتفاق جهز السيد أحمد بن الحسين محطة إلى سودان ونهض من الهجرة بعساكر تضيق بها الآفاق والتقى هو والأمير علي بن محمد الشويع حول حرف بني معاذ وتعاهدا وأجمع رأيهما على حرب الأمير محمد ثم تقدما لقصد صعده وخرج الأمير محمد بن ناصر من صعده بجند كثيرة وخيل فالتقى الفريقان حول الصحن في بير الفقيه فالتحم بينهم القتال واستعرت نار الحرب حتى كانت الدائرة على الأمير محمد وأصحابه فانهزموا وتبعهم السيد أحمد حتى أنقذهم من العبدين بأحزابه وتمت هزيمة الأمير محمد إلى الجوف، وتقدم السيد إلى صعده تلك الليلة على أحسن حال وأنعم بال بعد أن أمر بصائح للناس بالأمان، وكان أولاد الأمير محمد في دار مطهر وجميع ما يضن به فالزم السيد أحمد بعزمهم إلى الجوف بجميع ما هو له من قليل وكثير فساروا مصحوبين بالسلامة ولم يفت عليهم ما يوازي القلامة وعدت هذه من مناقبه المعدودة ومحاسنة المحمودة.

واستمرت مملكته بصعده إلى أن استشهد قدر ثماني عشرة سنة وخرج إلى الجوف ثلاث مخارج وحط على الزاهر وفيه الأمير محمد بن ناصر وطلب الصلح من السيد فاصطلحوا ورجع السيد إلى صعده وخرج المرة الثانية إلى

الزاهر فأخذه وعمر قلعته وأعطاها لآل الشويع وهي على عمارته إلى الآن سنة ثلاث وأربعين وألف وخرج إلى الجوف المرة الثالثة وطرد الأمير محمد منه حتى انحاز إلى الأتراك وبقي في رداع وأغار على المطهر بن الإمام في مدته مرتين الأولى إلى جبل رياب وحصل بوصوله شد أزر المطهر والأخرى إلى حوشان بعد حطاط الوزير الأعظم سنان باشا على كوكبان سنة ست وسبعين وتسعمائة فكان بوصوله هو والأمير محمد بن ناصر النفع العظيم.

***

قلت: وقد ذكر القاضي ابن أبي الرجال أيضا أن السيد العلامة الحافظ أحمد بن عبد الله الوزير دخل صعده المحمية مستنصرا بالأمير أحمد بن الحسين المؤيدي لما اشتد الحصار في قاع حوشان على مطهر بن الإمام وعمل في هذا المعنى قصيدته التائية التي أولها:

هات الأحاديث عن أحبابنا هات ما حال أهلي وجيراني وساداتي

ونورد أبيات القصيدة هنا لغرض التوثيق وهو ما وقفت عليها في بعض المجاميع:

هات الأحاديث عن أحبابنا هات ما حال أهلي وجيراني وساداتي
ما حال ملك بني المختار قاطبة مطهر ذي المقامات الشهيرات
من يشهد الملا الأعلى بأن له ملاحماً ليس تحصى في الجهادات
وأنه لم يزل مذ كان منتضياً سيفاً يفلق هامات المهمات
ولم يزل وهو يسقي الروم صاغرة يوم الكفاح بأقداح المنيات
ما حال من كوكبان العز مسكنه بعد الحطاط بمخذول المحطات
وكيف حال سلالات مطهرة من أحمد وعلي فاطميات
وكيف أطفال بيت من بني حسن تسمو فخارا على السبع السموات
عنهم يصاول ملك ضيغم حنق تحفه أخوة آساد غابات
محمد سيد السادات أيده رب العباد بعادات الاعانات
وصنوه شرف الإسلام من ظفرت له بيوميه آيات الفخارات
ففي عجيب وفي يوم الذراع له شهادة أنه سباق غايات
ما حالهم وجنود الروم قد نصبت لهم هنالك أنصاب العداوات
مدافعاً كرعود الصيف يدفعها ربي بأسرار أسماء وآيات
مع بنادق لا تنفك ضاربة في كل وقت وأحيان وساعات

بالله يا مخبري عنهم عسى خبر لديك منهم به تطفي حراراتي
فإن أشجان قلبي اليوم قد بلغت فيما تشاهد في روحي وفي ذاتي
يبيت ليلي يطويني وينشرني نشر الثياب وطيات السجلات
فارقت صحبي إلى دار أكون بها وحدي لأدفع عن صحبي الأذيات
وقلت نوموا هنيئاً إن صاحبكم يسامر النجم هاتيا اللئيلات
حتى أرى شمس أهل البيت قد سفرت منيرة تحت أعلام ورايات
إذا ضربن برحبان مضاربه عادت علي بحمد الله لذاتي
نجل الحسين بن عز الدين أحمد من في سلك نسبته عقد الإمامات
الناصر الحق والهادي ووالده وعمه الهادي الهادي لخيرات
عصابة أنجبتهم من أئمتنا من آل يحيى بن يحيى أي ساداتي
إذا درسنا درسنا في علومهم وإن نصنف فمنهم كل ما نأتي
وعمه الماجد المهدي ووالده وركن مفخره العالي الإنافات
من حيدر فيه عن أخلاقه خلف في يوم مكرمة أو شن غارات
يا من يؤمل فيه المسلمون على تباين في ديار أو ديانات
من في الشآم وفي صنعاء وفي الـ ـيمن الأقصى ومن حل منهم في تهامات
آل الإمام الأولى شادت رماحهم بيت الفخار على أقوى الأساسات
شم الأنوف وهزام الصفوف وهـ ـزام الألوف وفرسان الحقيقات
أما الأمير علي بن الشويع فقد شاعت له شايعات في الجهادات
ما موزع ما زبيد ما تعز ولا حوشان بعد الشماحي الحفيات
غنى بها الحادي الغادي وكررها أهل البوادي بتدوين الحكايات
فانهض إلى خمر في جحفل جمعت أمواجه منك أمواج الغطيات
تجد أبا قاسم في دست إمرته في السلم غيثاً وليثاً في الحرابات
محمد سيف دين الله ناصره وصنوه الناصر الماضي العزيمات
من معشر هم حصون للحصون فما زالوا يفكون أغلال المحطات

فيجمع الشمل من ملكين قد جمعا في يوم صعده أسباب الفخارات
جمعاً يسر به الله الصديق كما ساء العدو ووطى نخوة العاتي
فيه أسود شيوخ الشام قد ركبوا على سلاهب خيل أعوجيات
وقلدوا بسيوف الهند واعتقلوا سمر الرماح الطوال السمهريات
أولئك أنصار دين الله من لهم بيض الجمائل أيام القتالات
يا قومنا قد أتيناكم لمكرمة لمثلكم مثلنا في مثلها يأتي
يا قومنا قد أتيناكم نظن بكم خير الظنون ومحمود العقيدات
بأن إفراج رب العرش حاصلة سعياً لديك وتعجيل المسرات
بفضله وأياديه ورحمته وستره لخطايانا القبيحات
إنا لندعوه في سر وفي علن بذلةٍ وضراعات وإخبات
وإننا قد وثقنا من مراحمه ولطفه بسريعات الإجابات
شمس الهداية يا شمس الهداية يا شمس الهداية يا شمس الهدايات
دعاء مستنجد وافاك أرسله من قد علمت وقد أبطت إغاراتي
ما فيك يأمل من في كوكبان على ما هم عليه المواعيد البطيات
يا رب قائلة والدمع منحدر كأنه سمط در فوق لبات
قد أبطات غارة الأرحام وابتعدت يا ذا الجلال فأمدونا بغارات
أكرم وصول أمير قد أتاك له الـ ـمجد المؤثل عن عز الإمارات
فصالح بن حسين غرة الشرف الو ضاح إن عد أرباب السيادات
وذا نظامي وأبياتي وقد سبقت إليك من قبل أبياتي رسالاتي
فاجعل نهوضك فورا من كرامتنا حباك ربك أنواع الكرامات
واجعل قدومك هذا الشهر عارفتي ولا تعِد بي إلى الشهر الذي يأتي
وانهض بإخوتك الصيد الذين هم أعلى المراتب من بيت النبوات
أعني ليوث بني المنصور عمدتنا في كل عصر لتفريج المهمات
فرض الجهاد وإنقاذ العباد وإصـ ـلاح البلاد وتخليدات قالات

في حفظ حق يطوقن أنعمه كل الرقاب كأطواق الحمامات
وحق أهل وأرحام حقوقهم فرض عليكم بإجماع البريات
وفرصة أن تنالوا من عدوكم محصول تضيعها كل الندامات
أهل الشهامة يا أهل الزعامة يا أهل الرياسة يا أهل الجهادات
ثقوا من الله مولاكم بنصرته وفتحه وبغارات سماوات
من ينصر الله ينصره كما وردت بذا شهادات آيات كريمات
والله يقرن بالتوفيق عزمكم واليمن والعون منه والسعادات
ثم الصلاة على المختار دائمة منهلة بتحيات زكيات
وآله الغر والأصحاب عن كمل وتابع الكل من أهل الإنابات
ما لاح برق وما غنت مطوقة على غصون أراكات وبانات

وللقاضي العلامة الكبير الحسين بن محمد المسوري قصيدة إلى الأمير أحمد بن الحسين على نفس الوزن والرويّ والمقصد أولها:

إن النفوس النفيسات السريات هي المرادة في بعث السريات
وهي التي إن تراخت عن إغاثة من يرجو إغاثتها غير الحريات

وقد تقدم قصيدة أيضا ثالثة على نفس الوزن والروي والمقصد نظمها الفقيه سعيد بن داود تقدم بعض أبياتها أثناء ترجمته في حرف السين من هذا الكتاب.

رجعنا إلى الترجمة قال في التحفة العنبرية: ثم وقع الصلح بين المطهر وبين الوزير سنان المذكور فرجع السيد أحمد بن الحسين إلى صعده بعد الصلح فعدل في العباد وضبط البلاد وساسها أحسن السياسية وأقر له بالسبق أهل الرئاسة وأعز في أيامه أهل العلم الشريف وقام بما يحتاج إليه العربي منهم والشريف وكثر أهل الطلب للعلم من كل إقليم حتى بلغت الحلقات في مساجد صعده قدر ثمانين حلقة من أهل العلم والتعليم وأما أهل صعده فكانوا في مدته كلها في ظل ظليل ونعيم جليل ولم يطلب منهم لا قليلا ولا كثيرا ولا فتيلا ولا نقيرا وملك مع صعده من نجران إلى جازان ومن الطلحة إلى خيوان انتهى بتصرف غير مخل إن شاء الله تعالى.

ولم يزل أمره إلى ازدياد حتى دعا الإمام الحسن بن علي بن داود وحصل النقص في دولته وتقدم أعيان الإمام الحسن إلى صعده وافتتحوها يوم الجمعة ٢٦ ربيع الأول سنة سبع وثمانين وتسعمائة ثم وصل السيد أحمد بن الحسين إلى الإمام الحسن وهو في بلد الروس من جبل الأهنوم فبايعه ولم يزل يظهر موالاته حتى وثب على صعده في أوائل سنة ثمان وثمانين وكان فيها والياً من قبل الإمام الأمير محمد بن ناصر الحمزي، فملكها السيد أحمد من

ذلك الوقت إلى أن وجه إليه الوزير حسن باشا كيخياه سنان فكانت بينهما الوقعة المشهورة في بلاد آل عمار بالشرفة، وقتل فيها، وقبره بذلك المكان مشهور، وكانت الوقعة في يوم الأربعاء ثامن شهر ذي القعدة من سنة ٩٩١ إحدى وتسعين وتسعمائة، واحتاز ولده السيد صلاح بن أحمد بن الحسين وعمه السيد المهدي بن عز الدين وسائر محارمهم إلى حصنه الذي أسسه في جهات يسنم المسمى بأم ليلى، وهو من أحسن الحصون وأمنعها، وكان بعد ذلك مواجهة المذكورين بعد حصارهم بأم ليلى، واستسلامهم إلى يد الكيخيا سنان المذكور وتقدم بهم إلى صنعاء.

٥٦ ـ الإمام عبد الله بن علي المؤيدي

الإمام المتوكل على الله عبد الله بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني اليمني المؤيدي الفللي.

مولده بهجرة فلله شهر رمضان سنة ٩٣٥ خمس وثلاثين وتسعمائة. ونشأ يتيماً في رعاية السيد عماد الدين يحيى بن أحمد بن الإمام عز الدين وأخذ عنه العلم وعن أعيان العلماء في أيامه منهم الإمام الهادي إلى الحق أحمد بن عز الدين والمولى الحافظ أحمد بن عبد الله الوزير والسيد المدره محمد بن يحيى بن أحمد بن الإمام عز الدين والفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي التهامي وغيرهم.

وعنه أخذ عدة وافرة من العلماء منهم السيد داود بن الهادي وولده السيد محمد الملقب بأبي علامة الآتية ترجمته في حرف الميم. وله من التصانيف الشافية: (رياضة الأفكار على مقدمة الأزهار)، و(مصباح الرايض على مفتاح الفايض) في علم الفرائض، و(مشارق الإطلاع في حصر مسائل الإجماع)، و(كتاب النجاة في معرفة الله) وكتاب (شفاء الفؤاد على الآيات المعتبرة في الإجتهاد) و(كتاب روضة الجِنَان ونزهة الجَنَان في بيان إعجاز القرآن)، و(تعليق على الكافل) في أصول الفقه و(تعليق على تلخيص المفتاح)، وله (المقامة العصيفرية)، وله جوابات رسائل عديدة وخطب فاخرة ورسائل وقصائد متعددة.

ترجم له ولده في التحفة العنبرية فقال:

خاتم الألف الإمام المتوكل على الله. كان في علمه الغاية التي لا تنال والمرجوع إليه في حل كل إشكال وله التصانيف المبنية على التحقيق والأنظار المنبثقة على طرس التدقيق، أودع فيها الفوائد العجيبة الموجزة والمعاني الفرائد الغريبة المعجزة، الشاهدة له بتملك أزمة الحل والعقد في البراعة وصنعة التصرف الباهرة في العبارة واليراعة، فهو مليك حل البيان وعقده، ونطاسي التصرف في نظمه وسرده:

تفعل فعل الراح لكنها ترشف بالسمع وبالناظر
تزداد حسناً كلما كررت فهي كمثل المثل السائر

وله الشعر الذي لو نظر إليه الملك الضليل لطأطأ خاضعا، أو لبيد البليغ لخر لله ساجداً وراكعا، وبلغ في جوده وكرمه الغاية التي لا ينازعه منازع، مع ما حاز من الورع وحسن الإنقطاع إلى رب العالمين، ولقد كان إذا فرغ من

الوضوء يصفر لونه وينتقع وإذا صلى في بعض الجهريات يختضل وصوته من العبرة ينقطع، وكان في أيام الإمام الهادي أحمد بن عز الدين الداعي سنة ٩٥٨ ثمان وخمسين وتسعمائة يتولى كتابة الرسائل والمكاتبات الإمامية المتضمنة للمعاني القويمة والأساليب البليغة المستقيمة المودعة للأدلة القرآنية والسنة النبوية، فألفاظها قوالب غرائب المعاني، ومعانيها دقائق بلاغة القاصي والداني.

ثم ذكر في التحفة العنبرية كثيراً من أحوال صاحب الترجمة وتنقلاته ودعوته بعد أسر الإمام الحسن بن علي بن داود من قبل الأتراك وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ٩٩٤ أربع وتسعين وتسعمائة ببلاد صبيا إلى غيرها من الأحداث وهي أي هذه الترجمة على اعتبار سيرة خاصة به فليرجع إليها من أراد الاستقصاء.

وقد ذكر السيد العلامة الكبير أحمد بن محمد الشرفي وغيره مجمل أخباره بعد الألف فلا حاجة للتطويل بها هنا. وترجمه المولى عبد الله بن الإمام الحسن بن يحيى القاسمي في الجواهر المضيئة مختصر الطبقات وذكره المولى مجد الدين بن محمد المؤيدي في منظومة الزلف الإمامية فقال:

وعالم أهل البيت للألف خاتم هو القائم الداعي إلى الله ضارع

وعلى الجملة فصاحب الترجمة من الأئمة السابقين وقد أجمع الموالف والمخالف على بلوغه الدرجة العليا من العلم والكمال. وله في الأدب ملكة عالية وفي فن المنثور والمنظوم إجادة وبلاغة. ومن شعره الفائق قصيدته اللامية التي أوردها بكمالها ولده محمد الملقب بأبي علامة في التحفة العنبرية وذكر أنه نظمها غرة شهر محرم سنة ٩٩٦ وأولها:

علام اللوم لوامي علاما رويدك عاذلي خلي الملاما
وكيف يلوم ذا شجو وضيم وقرح لا ترى فيه إلتحاما
ودع من غمه كرب عظيم وصيره كئيبا مستهاما
وأشعل في حشاه نار وجد فكاد القلب ينقسم انقساما
وقد أضحى لشدته مصاباً ودمع العين ينسجم انسجاما
وقد طار الكرى عن مقلتيه وحق لمثله أن لا يناما
يبيت مفكرا والليل مرخ ستورا من غياهبه سحاما
لما نال الشريعة من هوان وصدع لا يرى فيه إلتئاما
من العجم اللئام وهم قليل لقد دفنوا لها الداء العقاما
وهدوا من قواعدها ربوعا وأولوا دين شارعها انهداما
ولم يغضب لدين الله شخص وقد أضحى غريبا مستضاما

وكيف ينام ذو عقل ودين وموج الظلم يلتطم التطاما
فيا لله للإسلام حقاً يهون ما نرى الموت الزؤاما
وليس لنا على الأعداء إلا معونتك التي ترجو اعتصاما
وإني والحديث له شجون رأيت الظلم يشتد ابتهاما
ولم أسمع بعدل في بلاد فلا عيناً ولا دالاً ولاما
فقمت لنصر دين الله حقاً وصرت لطالب التقوى إماما
وقد أصبحت رأسا للبرايا وساقاً للهدى حين استقاما
ولي فخر تقر به الأعادي وودوا لو يرون له انكتاما
ولي شرف أناف على المعالي ويأبى مجدنا من أن يراما
ونحن السابقون إذا نجارى ونحن الفايقون إذا نسامى
ونحن بنو النبي إذا انتسبنا وكهف للأرامل واليتاما
ونحن سفينة الناجين حقاً وقدوة كل من صلى وصاما
يصلي كل محتلم علينا إذا صلى ويتبعها السلاما
ورثنا المجد عن آباء صدق إذ كان الورى عن ذا نياما
وعروتنا التي من يلتزمها ينل فوزا ولا تخشى انفصاما
ووجهت الرسائل في النواحي أحث لنصره الدين الأناما
واكشف ظلمة للظلم عمت وراعت كل من بلغ الفطاما
فلباني أولوا الألباب طرا وأعلى الناس في فضل مقاما
ومن رسخت علومهم فصاروا ضياء للورى يجلو الظلاما
وإن المغورين الغر منهم بأرض عزها فيهم أقاما
أقامته سيوف بني علي بصبيآء فقر بها وداما
ونحوي الراكب اليعسوب منهم وفي ضمد عيون والسُّلاما
وعتود والشقيق وزد إليهم عيون الدرب واستمع النظاما
وشيعتنا بتلك الأرض طراً شموس العلم إذ كانوا كراما

هم أهل الكمال وكل شأن عظيم لا نزاع ولا خصاما
وإن تهامة حازت ليوثاً معودة فوارسها الصداما
سراة من بني حسن كماة مساعر لا يملون الضراما

ومنها:

كتبت إلى القبائل كل حين وطولت الرسائل والكلاما
دعوتهم وشيعتهم جميعاً وما قصرت نثرا وانتظاما
فلبوني سوى خب حسود وأحمق عن هدايته تعامى

ومنها في ذكر وقعاته بالأتراك:

وأصبحنا ببدر في خميس فلقت به نوافيجاً وهاما
وصبحنا الأعادي في صياص تركنا المحصنات به أيامى
وصاروا حين وافتهم أسود برازح بين أيدينا نعاما
فأروينا السيوف وكل لدن دماء من أعادينا انتقاما
وأشبعنا سباع الأرض منهم وفرقن المفاصل والعظاما
وحزنا كل مكرمة وغنم غنمناه من الترك اغتناما

ومنها:

فقل للعرب في كل النواحي اطيعوا الله وامتثلوا الإماما
وقوموا يا بني الإسلام طراً وجدوا وارفعوا منه المقاما
أيحسن أن تسومكم علوج طماطمة يحلون الحراما

الخ أبيات القصيدة وهي كما ترى تدل على ما وراءها من البلاغة والترسل وتشير إلى همة قائلها عليه السلام واجتهاده في محاربة الأتراك قبل دعوة الإمام القاسم بن محمد.

ولما ظهرت دعوة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد من جبل قارة سنة ١٠٠٦ تقدم المترجم من ذهبان وتلك النواحي إلى بلاد جماعة وكاتب الإمام القاسم بواسطة الشيخ يحيى بن مخارش النصري ثم ترجح الوصول إلى محروس شهارة فوصلها والإمام القاسم يومئذ فيها أول شهر شعبان من السنة المتقدمة لقصد الإصلاح واجتماع الكلمة قال المولى مجد الدين بن محمد المؤيدي في التحف الفاطمية: فتلقاه الإمام القاسم بالإجلال والإكرام وأعطاه الخيل واتفقا على أن يقوم الإمام عبدالله بالجهاد والإصلاح في بلاد الشام، ومتى استقرت الأحوال نظر العلماء في الأولى، فسعى وسائط السوء بالفساد وإضرام نار الفتنة، وقصدوا الإمام عبدالله وأهل بيته بالحرب

فاضطروهم إلى مصالحة الأتراك، لأجل الدفاع عن أنفسهم وغرروا على الإمام القاسم بأنه قد نقض ما بينه وبينه، فالإمام عبدالله معذور في المصالحة إلى أن يقول: وقد جرت أمور لا يحسن ذكرها ولا ينبغي نشرها، فقد انتهت الحال بحمد الله تعالى إلى المصافاة بين الإمامين وأولادهما والمسامحة والمعافاة كما هي السجايا النبوية والشمائل العلوية، نقل ذلك العلامة الشرفي شارح الأساس في اللآلي المضيئة، وصاحب السيرة الجرموزي، وولد الإمام الأمير محمد بن عبدالله في التحفة العنبرية، وقد أثنى فيها على الإمام القاسم وأولاده غاية الثناء، ووصل إلى الإمام محمد بن القاسم عليهم السلام، وكانت المسامحة في جميع ما جرى انتهى بلفظه.

وكانت وفاة صاحب الترجمة رضوان الله عليه وسلامه يوم الخميس ٢٠ الحجة سنة ١٠١٧ سبع عشرة وألف وعمره اثنتان وثمانون سنة وقبره بهجرة فلله غربي المسجد الأعلى مشهور مزور وأولاده خمسة هم محمد وعلي وصلاح ويحيى وإبراهيم.

٥٧ ـ السيد عبد الله بن الهادي الحيداني

السيد الماجد الفاضل المجاهد فخر الدين عبد الله بن الهادي الحيداني الهادوي.

كان هذا السيد من أعيان أصحاب الإمام القاسم بن محمد عليه السلام السابقين إذ هو ممن حضر بسلاحه في جبل قارة أول ظهور دعوة الإمام القاسم وجاهد مع الإمام جهادا محمودا في جهات عدة حتى نال الشهادة في إحدى شهور سنة ١٠٢٣ ثلاث وعشرين أو السنة التي قبلها وكان قد تجهز في تلك السنة إلى جبل تيس فانتقل منها إلى بلاد حجة، فلما وصل إلى الخبت إلى موضع يسمى (العبسي) مكان ابن الأهدل الصوفي غدر به هناك بعض النواصب من أهل تلك البلاد، فاستشهد هناك، وكان أصحابه قد تفرقوا عنه في ذلك الوقت، لأمنهم وعدم خوفهم في ذلك الموضع، ولكونهم في بيت الصوفي وهو محترم عندهم، فما شعر السيد إلا وقد دخل عليه شيخ بني معاوية المسمى عديعد إلى العِّشة التي هو فيها، وأصحابه غافلون فطعنه حتى مات شهيداً رحمه الله، وأخذ سلاحه ومركوبه وأعلامه.

ورأيت في مشجر روضة الألباب للسيد محمد بن عبدالله الملقب بأبي علامة:

أنه عبد الله بن الهادي بن حسن بن محمد بن علي بن سليمان بن عمر بن عامر بن عاتوب بن مهدي بن عبد الله بن يحيى بن سليمان بن أحمد بن إسحاق بن الإمام يوسف الداعي بن الإمام المنصور يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين والله أعلم.

٥٨ ـ القاضي عبد الله بن يحيى الفهد

القاضي العلامة عفيف الدين عبد الله بن يحيى الفهد الصعدي الزيدي اليمني.

كان عالماً فروعياً انتهت إليه رئاسة العلم بصعده وله قراءة متقنة على مشايخها المتصدرين للتدريس أمثال القاضي الفروعي عبد القادر بن سعيد الهبل والقاضي شمس الشريعة أحمد بن يحيى حابس وغيرهما. وأخذ عنه جلة من أهل وقته منهم القاضي يحيى بن جار الله مشحم كما سيأتي في ترجمته.

وقد ذكر صاحب الترجمة السيد المطهر بن محمد الجرموزي في تحفة الأسماع والأبصار عند ذكر أعيان العلماء الشيعة في أيام ودولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل فقال في صفته: من أهل العلم الواسع والفضل الجامع يضرب به المثل في صعده بالخشوع وكثرة البكاء حتى أنه كان ينقطع كثيراً من أوقاته في زيارة القبور انتهى.

وترجم له صاحب الدامغة الكبرى فقال:

القاضي بصعده، أحد قضاة المتوكل على الله عليه السلام بها، فإنه كان قاضياً في جانب منها إذا حضر القاضي حسن بن يحيى حابس المقدم ذكره قضى في بعض جوانبها، والقاضي الحسن في المحكامة المعروفة المعمورة غربي جامع الإمام الهادي عليه السلام، فإن غاب القاضي الحسن فهو القائم بالحكم في المحكامة، وكان بصعده أيضاً القاضي علي بن قاسم طشي من أهل غُرَاز حاكماً معتبراً يقضي في جانب آخر حتى توفي في زمن الإمام المتوكل على الله عادت بركاته. وأما الفهد فلم يزل حاكماً، وحجَّ في آخر عمره وتغير عليه الإمام المتوكل لأمور جرت بصعده أنكرها هو ودرسة صعده، فعانده من عاند وغيَّر قلب الإمام عليه، فحج ثم عاد مريضاً فبقي بصعده أياماً ثم توفي بها وقبره في القرضين، وعمر عليه حي السيد الجليل عبد الله بن أحمد بن الإمام القاسم مشهداً حسناً، وكان له ولد فلما توفي قبر إلى جنبه. وبيض لتاريخ وفاته وكان على قيد الحياة كما تحكي بصائر الوقف سنة ١٠٨٦ ست وثمانين وألف. وقد أشار إليه في أبيات منظومة الدامغة هو والعلامة الأصولي علي بن صلاح الطبري الآتية ترجمته فقال:

والعالم الفهد عبد الله عُدَّ به وبالجمالي جمال المكرمات علي

أكرم به من علي في تشيعه وعلمه فهو في بيت الفخار علي

قلت: ثم إني وقفت على قبره بالقرضين مقبرة صعده ونقلت عن شاهد القبر أن وفاته يوم الأحد ثاني وعشرين شهر محرم غرة سنة ١٠٨٧ سبع وثمانين وألف رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين.

٥٩ ـ القاضي عبد الهادي بن أحمد حابس

القاضي العلامة الحاكم الرضي ضياء الدين عبد الهادي بن أحمد بن يحيى بن أحمد حابس الدواري الصعدي اليمني. وقد تقدمت لوالده وعمه الحسن بن يحيى حابس ترجمة قريبا.

وصاحب الترجمة أخذ عن القاضي الحسن بن يحيى سيلان وعن القاضي يحيى بن أحمد الحاج الأسدي ومن مقروءاته عليه شفاء الأوام. وكان المترجم عالماً حاكماً بصعده مرضياً أخذ عنه السيد الحسن بن صلاح الداعي صاحب الدامغة الكبرى وقال في ترجمته:

القاضي الرضي الولي الزكي عين أعيان الشيعة الورع الزاهد الفاضل. كان مجمعاً على فضله غير مختلف في ورعه وزهده تولى القضاء والأوقاف بصعده بعد وفاة والده وارتحال عمه إلى صنعاء وكان مقرياً مدرساً وقرأت عليه في الكافية لابن الحاجب وبقي في القضاء مدة ثم توفي في شهر شعبان سنة ١٠٩٤ أربع وتسعين وألف وقبر إلى جنب أبيه وجده في مشهدهم بالقرضين رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين.

٦٠ ـ السيد عبد الوهاب بن محمد الرغافي

السيد العلامة الولي عفيف الدين عبد الوهاب بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن القاسم بن محمد بن الهادي بن إبراهيم بن الأمير المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى الحسني اليحيوي الرغافي. ترجمه صاحب شرح الدامغة الكبرى فقال:

كان سيداً فاضلاً عالماً عاملاً، توفي شاباً زكياً رضياً وفياً حميداً سعيداً في شهر رمضان من سنة ١٠٣٥ خمس وثلاثين وألف فقبر أولاً مع السيد أحمد بن يحيى ابن أبي القاسم في قبته وتابوته ثم نقل إلى المسجد الأسفل بهجرة رغافة وعليه قبة متصلة بالمسجد، وله فضائل جمة رحمه الله تعالى.

ثم قال: وقبر والده محمد بن إبراهيم بمحروس هجرة قطابر في القبة التي في المسجد الواسط، وتوفي في شهر صفر سنة ١٠١٧ سبع عشرة بعد الألف، وعلى ضريحه ما لفظه:

وعاش من الدنيا ثمانين حجةً ... ونيفاً على الطاعات هذي الفضائل

وفي سبع عشر بعد ألفٍ وفاته ... وفي صفر نجم الهداية آفل

وإلى جنب قبره في القبة المذكورة قبر السيد الإمام محمد بن يحيى بن أحمد بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد، قال في صخرة على قبره: توفي صلوات الله عليه يوم السبت سابع عشر في شهر شعبان سنة خمس وتسعمائة. قلت: وأحسبه هو الذي تردد نظر السادة بني المؤيد في نصبه إماماً أو الإمام أحمد ابن عز الدين قال: وله في قطابر نذور واسعة تفيض من أهلها للقبة المذكورة انتهى كلام صاحب الدامغة. وسيأتي لوالده هذا ترجمة في حرف الميم.

٦١ ـ السيد عز الدين بن محمد المفتي المؤيدي

السيد الأكمل عز الدين بن علي بن زيد بن محمد بن أبي القاسم بن الإمام علي بن المؤيد الحسني اليحيوي المؤيدي. من السادة بني المؤيد الكمل، وهو المذكور في التحفة العنبرية أثناء سيرة الإمام المتوكل على الله عبد الله بن علي المؤيدي المتوفى سنة ١٠١٧ ووصفه هناك بالسيد الأكمل الأفضل. وكان موجودا في العشر بعد الألف، ولم أقف في ترجمته على غير ما ذكر يسر الله ذلك، وقبره بهجرة فللة.

قلت: ومن الفائدة بمكان في التعريف بالمترجم له أن نذكر أنه أحد أجداد السادة بيت الحمران بضحيان وخولان وبلاد جماعة وغيرها، وولده كما في مشجر أبي علامة وفي الجوهرة المضيئة السيد محمد بن عز الدين هو الملقب الحمران، ومن ذريته أيضا آل هاشم بضحيان وسيأتي التعريف بالنبلاء من أهل هذا البيت في مواضع من هذا الكتاب، وصنوه صاحب الترجمة السيد زيد بن علي بن زيد بن محمد بن أبي القاسم من السادة الأماثل، وهو من أجداد السادة بيت اللبلوب وبيت ستين وبيت القاسمي وبيت الصغير وغيرهم، ويقال لذرية هذين الأخوين السيدين آل زيد إحدى البيوت الثلاثة الكبار لبني المؤيد[1]

---

(1) البيوت الثلاثة هم آل صلاح وآل زيد وآل علي بن الحسين وسيأتي التعريف بهم.

في أيامنا، وهو نسبة إلى الجد الجامع لهم السيد العالم الأفضل زيد بن محمد بن أبي القاسم بن الإمام علي بن المؤيد قال في مشجر أبي علامة: وهو جد آل زيد بضحيان وغيره، ووفاته في شهر محرم سنة ٩٤١ وقبره بهجرة فللة قبلي بيت آل السراجي انتهى.

٦٢ ـ السيد عز الدين بن محمد المفتي المؤيدي

السيد العالم العارف عز الدين بن محمد بن عز الدين بن صلاح بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني المؤيدي الصعدي الأصل الصنعاني الدار والوفاة.

كان المترجم له أحد السادة بني المؤيد الذين أخرجهم الأتراك قسرا من صعده إلى صنعاء بعد مقتل الأمير أحمد بن الحسين المؤيدي سنة ٩٩١ قال في الطبقات: وبقي في الحبس مدة حتى أخرج ثم سكن صنعاء وله قراءة في أصول الفقه وفي الكشاف وبيض لمشايخه. وترجمه القاضي ابن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

السيد المفتي العارف عالم بن عالم وأبو عالم والده مؤلف الحاشية على الكافية، وولده خاتمة المحققين محمد بن عز الدين صاحب البدر الساري. كان السيد المذكور فقيهاً محققاً، ينوب للقضاء عن ولاة الأروام، وتارة وهو الغالب ينوب في الفتيا، وكانت بينه وبين أهل عصره الفضلاء ملاحات وتخاصم، وفاته (بياض) ومن المشهور أن أهل هذا البيت يكون الأب الأعلى على صفة في التحقيق في العلم، فيكون ولده أقل منه، أو يكون الوالد متوسط الحال فيكون ولده أكثر تحقيقاً منه والله أعلم. وأما عز الدين بن محمد حفيد هذا، فهو في التحقيق أجل من هذا؛ لأنه وإن كان مقدار العلم والتفاوت فيه غير محقق عندي، لكن الأصغر كان متقناً ذكياً، وختم له بالصالحات، وراجع أمره مراجعة الفضلاء، وفارق الدنيا على حال جميل، ومن شعره . وله أشعار كثيرة . يذم ذهبان المخترف بصنعاء:

ذهبان أخبث مكسب كسب الفتى ... لله در رياضها والوادي
بلد بها حل السقام مع الضنى ... فكأنما كانا على معياد
بلد بها نكد المعاش أما ترى ... سخط الإله لأهل ذاك النادي
فعليه مني كل يوم لعنة ... ما غرّد القمري وزمزم حادي

وله أشعار أخرى حسنة، وكان يملي الحديث وقت الأصيل بجامع صنعاء ويحسن الإملاء ويجيده بإعراب فائق وحروف بينة، ثم بيض لوفاته وهي في نحو عشر السبعين وألف أما تاريخ وفاة جده صاحب الترجمة فلم أضبط ذلك وهي قبل سنة ١٠١٧ لما سيأتي ذكره.

ففي المستطاب للسيد يحيى بن الحسين بن القاسم أثناء ترجمة السيد عز الدين المذكور: أنه عاصر الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد وكان سكونه في صنعاء ولم يخرج إلى الإمام بناء منه على عدم وجوب الهجرة قال: وقبره في غربي صنعاء بخزيمة مشهور مزور، ولما توفي شيّعه سنان باشا وحمل النعش وحضر دفنه انتهى. قلت: ووفاة سنان باشا معزولا عن ولاية اليمن ببندر المخا سنة سبع عشرة وألف والله أعلم.

(ووالد صاحب الترجمة)

هو السيد الإمام الحافظ لعلوم الآل علامة اليمن المجتهد المحقق محمد بن عز الدين بن محمد بن عز الدين الملقب بالمفتي كوالده وجده مصنف الحاشية على الكافية فكل واحد منهم يعرف بالمفتي.

وهو شيخ العلماء في عصره وإمام العلوم المطلق ومقرر القواعد الفقهية قرأ بصنعاء وغيرها على عدة من العلماء منهم والده السيد عز الدين بن محمد والسيد صلاح بن أحمد الوزير قرأ عليه في أصول الفقه وعلم الحديث وقرأ في الفروع على صنوه السيد المهدي بن عز الدين وعلى سيد العلماء عبد الله بن أحمد بن الحسين المؤيدي وقرأ في المطول وغيره على القاضي عبد الله بن المهلا النيسائي وقرأ في الحديث أيضا على الشيخ الخاص الحنفي وأجازه فيه وفي غيره وقرأ على العلامة يحيى بن أحمد الصابوني وعلى العلامة محمد شلبي الرومي وقرأ الرسالة الشمسية في المنطق على الشيخ أحمد بن علي بن علان البكري المصري لما قدم من مصر واستقر بمسجد الزبير بصنعاء فحقق وأتقن وأنفق جمهور شبابه في طلب العلوم العقلية والنقلية ثم أقبل على الفقه بالقلب والقالب فجلى في ميدانه وملك قبض عنانه وكان مقيما في صنعاء أيام الأتراك ولم يهاجر وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويفعل مصالح عظيمة مع الإلمام بالإمام القاسم ومكاتبته ووجه إليه الوزير جعفر باشا منصب الإفتاء بصنعاء فكان يفتي بكل المذاهب مع ورع شحيح ودين قويم صحيح واتفق في مدة جعفر الباشا أنه أفتى بيوم الفطر فأفطر من أفطر بفتواه فطلبه الباشا وعاتبه وقال له: كان عليك أن تشعر الأفندي فقال السيد المفتي: قد أشعرته فطلب الأفندي إلى مقام الباشا وسأله فقال كلاما معناه: أفتى السيد بشاهدين ما يكمل بها الحكم على مذهب أبي حنيفة لأنهم لا يعملون إلا بأربعين شاهدا حيث الأفق لا علة فيه من سحاب ولا غيره فتغير خاطر الباشا وقال للسيد المفتي: ليكن حبسك في بيتك فانفصل عن مقام الباشا وبقي في بيته أياما ثم إن الباشا استدرك هذه الهفوة فاستطاب خاطر السيد المفتي ونوع له الإحسان ذكر ذلك في خلاصة المتون.

ومن أجل من لازمه بصنعاء أيام الأتراك السيد العلامة الأديب صلاح بن عبد الله الحاضري فإنه كان لا يفارقه ولا يزال يستمري سحائب علمه هو وغيره وكانا زينة لمحافل العلم شيخين من آل محمد وكان إذا خرج السيد محمد المفتي من الجامع في بعض الأيام تقدمه السيد صلاح وقدم له نعاله إجلالاً لصاحب الترجمة وهو حري بذلك وممن أخذ عنه في تلك الأيام في أكثر الفنون القاضي أبو بكر بن يوسف بن عقبة وكان القاضي المذكور يحمل سجادة صاحب الترجمة ذكر ذلك ابن أبي الرجال في مطلع البدور.

وبعد افتتاح الحسنين ابنا الإمام القاسم لمدينة صنعاء سنة ١٠٣٧ وخروج الأتراك منها إلى زبيد ومنها عن اليمن عموما كانت صنعاء قبلة العلماء والمتعلمين وزهت بها في تلك الأيام محافل العلم وكان صاحب الترجمة أحد الأكابر الذين تصدروا للتدريس بها فأخذ عنه الناس في الأصول والفروع ومن مشاهير الآخذين عليه السيد أحمد الذنوبي والسيد الحسن بن أحمد الجلال مصنف ضوء النهار والسيد أحمد بن علي الشامي قرر عليه قواعد الفقه والسيد الحسين بن محمد التهامي صاحب الحاشية على الأزهار والسيد أحمد بن صلاح الشرفي والسيد الحسين بن علي العبالي والفقيه حسين بن علي ذرة والقاضي إبراهيم بن يحيى السحولي والقاضي علي بن جابر الهبل والقاضي عبد الله بن محمد السلامي والفقيه علي بن جابر الشارح

والفقيه علي بن يحيى الخيواني والفقيه عبد القادر بن علي المحيرسي صاحب الحاشية على الأزهار ومنهم أيضا المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد وله منه إجازة لجميع مروياته ومستجازاته ومؤلفاته.

ومنهم أيضا المولى شرف الإسلام الحسن بن الإمام القاسم وحضر القراءة عيون العلماء. ومن تلامذته أيضا السيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي المؤيدي قرأ عليه وحقق، وله في تقريض كتاب شيخه السيد المفتي المسمى بالبدر الساري وهو شرح متن له يسمى واسطة الدراري في توحيد الباري هذه الأبيات:

هذا هو البدر في ليل الشكوك فسر في نوره لا تخف من ظلمة الدلج
وقل له ناشدا ما فيه من أرب ومنشدا لمقال طيب أرج
ليهن ركباً سروا ليلاً وأنت بهم مسيرهم في صباح منك منبلج
فليصنع القوم ما شأوا لأنفسهم هم أهل بدر فلا يخشون من حرج
فيه عقائد أهل البيت سالمة من قول ذي ميل في الدين أو هوج
الأمر قول إله الخلق أنزله على النبي مقالا غير ذي عوج
وسنة عن نبي الله واضحة وآله قرناء الوحي والحجج

ثم كتب بعد الأبيات هذا التقريض ولفظه: قد وجدت هذا السفر أعذب من السلسبيل وأسقى من كأس مزاجها الزنجبيل، أحاط بما في الجوامع من الفوائد، وقيد ما في تلك الشوارد. لا جرم أن مصنفه من هو درة التقصار ونقطة البيكار وبقية المجتهدين وعلامة آل الأنزع البطين، أودع متنه الفوائد وحشّا، وصحح أقواله بالسنة وما حشا، ذلك فضل الله يؤيته من يشاء ولعمري أن مؤلَّفه كالمعجز لصغر حجمه وسعة فوائده وعلمه، وإني لا أزال أتعجب من إطلاع مؤلفه وإحاطة مصنفه بأقوال الموالف والمخالف، وإتيانه بما لم يأت به أحد من أهل الزمن السالف ولكن الشمس لا يدركها الأعمى والحكمة لا تسمعها أذن صما:

وما للشمس في العميان ذنب إذا ما أبصروا الدنيا ظلاما

فالله يبقي مؤلفه غرة في جبين الدهر وفي سماء المعالي بدرا منيرا أي بدر انتهى.

ومن مؤلفاته أيضا: كتاب الإحكام شرح تكملة الأحكام في علم الطريقة، وله منهج الانصاف العاصم من الاختلاف وله غير ذلك، وقد نسب له أغلب من ترجم له الأبيات المتقدمة في ذهبان المخترف بصنعاء:

ذهبان أخبث مكسب كسب الفتى لله در رياضها والوادي

والصحيح أنها من نظم نجله وولده السيد عز الدين بن محمد كما هو ثابت في كلام القاضي ابن أبي الرجال في مطلع البدور المتقدم في أصل الترجمة. وتوفي السيد المفتي رحمه الله بذهبان شمالي صنعاء ثاني عشر شهر شعبان سنة ١٠٥٠ خمسين بعد الألف وحمل فدفن بخزيمة بجنب والده وعقبه إلى الآن بصنعاء يسمون ببيت المفتي.

٦٣ ـ السيد علي بن إبراهيم المحنكي الحيداني

السيد العالم المثاغر المجاهد السابق المعمر جمال الدين علي بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن صلاح بن المهدي بن الهادي بن علي بن محمد بن الحسن بن يحيى بن علي بن الحسن بن عبد الله بن إسماعيل بن عيسى بن عبد الله بن عيسى بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني القاسمي.

وهو من أعيان السادة العلماء في وقته السابقين إلى مناصرة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد والجهاد معه للأتراك، ومولده في نحو سنة ٩٧٠ سبعين وتسعمائة وقرأ على شيخ الزيدية بصنعاء القاضي المحتسب علي بن قاسم السنحاني وعلى القاضي الفروعي إبراهيم بن محمد بن مسعود الحوالي صاحب هجرة الظهرين ببلاد حجة قرأ عليه في التذكرة وكان المترجم هو وأسرته وقرابته يسكنون بهجرة محنكة جنوبي مدينة حيدان من بلاد خولان، وإلى ذلك نسبته فيقال له المحنكي الحيداني. وكان له كلمة نافذة في بلاد خولان ولما كانت دعوة الإمام القاسم بن محمد عليه السلام أوائل سنة ١٠٠٦ كان السيد المذكور أحد أعيان السادة المشار إليهم بالفضل والعلم إذ يذكر القاضي المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال أثناء ترجمته أنه وصل إلى جبل قمر من بلاد قارة إلى الإمام القاسم بن محمد راكباً على فرس وعليه قميص أبيض ولم يحضر أحد من السادة بهذه الصفة غيره فلم يرض الإمام بالعقد حتى عرض على السيد فامتنع قال: وظني أن عرض هذا من الإمام لتدبير محكم وهو تأكيد الحجة عليه لأنه كان لا يلين لعارك، وله كلمة نافذة بخولان، وإلا فجملة معلوماته الفقه كان مبرزاً محققاً، يعارض بأنظاره المذاكرين، وأصول الدين على قواعد أهله الكرام، والفرائض، ولم يكن له في علوم الاجتهاد قدم. قال: وكان السيد رحمه الله سيدا هماما ذا عزيمة خارقة ونية صادقة وله في الجهاد وقعات كان هو المجلي فيها وكان من أهل الأيد والقوة مع أنه لم يكن ربعة فضلاً عن أن يكون طويلاً بل إلى القصر، ومما حكاه عن نفسه غير مرة أنه عزم صبحاً من صعده وأمسى ذلك اليوم بسودة شظب، وقطع هذه المسافة في يوم. قال: ولم يزل السيد بعد عقد البيعة للإمام القاسم مناصراً وحيناً يلازم الحضرة انتهى كلامه.

وقد ذكر لصاحب الترجمة تلاميذ أخذوا عنه في العلم كالقاضي محمد بن الهادي بن أبي الرجال قرأ عليه كتاب حقائق المعرفة ووضع له إجازة، والقاضي علي بن أحمد بن أبي الرجال قرأ عليه أيام ولايته على حاشد وبكيل في كتاب البحر وحضر تلك القراءة محمد بن صالح حنش وحسن بن محمد سلامة وكانت من أعجب القراءات، وقرأ عليه الفقيه علي بن محمد بن سلامة في عدة من الكتب منها شرح الأزهار والبيان والتذكرة والفصول ونهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام وقرأ عليه غيرهم من الأفاضل.

وقد ترجم له أيضا في طبقات الزيدية، وفي غيرها من سير الأئمة الذي عاصرهم، وهم الإمام القاسم بن محمد وولده المؤيد بالله وأخيه المتوكل على الله إسماعيل ومن الأعمال التي أسندت إلى صاحب الترجمة ولاية بعض خولان صعده أوائل دعوة الإمام القاسم بن محمد وفي سنة ١٠٣٢ كلفه الإمام المؤيد بالله محمد بولاية بلاد حاشد وبكيل

وكان له جهاد ومشاركة أثناء حصار الأتراك بصنعاء سنة ١٠٣٦ ثم تولى بعد هذا التاريخ على ذيبين قال السيد مطهر الجرموزي: وأقام آخر مدته في ذيبين مشهد الإمام المهدي أحمد بن الحسين الشهيد، وجعل الإمام عليه السلام ولاية تلك البلاد إليه ومصالح المشهد المقدس نحواً من ثلاثين سنة وتوفي هناك في شهر شوال سنة ١٠٧١ إحدى وسبعين وألف قال القاضي ابن أبي الرجال: وقبر في مشهد له هناك فعله عند داره وما زال ملازما في جميع مدته على وظائف الطاعة حتى كبر وهرم وحصل معه بعض تغير ونقل إلى جوار الله الكريم في نحو مائة سنة وكان حزبه من القرآن دائما سبع القرآن أعاد الله من بركاته.

قلت: وله ذرية بصنعاء والسودة وذيبين ونحوها يعرفون ببيت زبيبة، وقد وقع في الخطأ السيد النسابة محمد بن محمد زبارة في نسبة هذا البيت في نيل الحسنيين حين قال: ينتهي نسبهم إلى السيد العالم علي بن إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله بن صلاح بن المهدي بن الهادي بن علي بن محمد بن الحسن بن يحيى بن علي بن الحسن بن عبدالله بن عيسى بن إسماعيل بن عبدالله بن إبراهيم بن القاسم الرسي الحسني المتوفى في الشاهل ببلاد الشرف سنة ١٠٠٦ للهجرة انتهى والصواب أنهم ينسبون إلى المترجم له المتوفى في التاريخ المتقدم ونسبه كما تقدم صدر الترجمة فليلعم ذلك.

(هجرة محنكة)

وهي هجرة علمية قديمة في الجنوب من مدينة حيدان من بلاد خولان الشام، وفيها استقر الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام المتوفى سنة ٥٦٦ هجرية أيام دعوته الشريفة وفي أثناء تلك الإقامة وصل إليه وهو بها الشيخ العلامة الكبير المحدث الحافظ زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أحمد بن عبد الله الخراساني البيهقي، المشتهر في كتب علمائنا بزيد بن الحسن البيهقي وذلك في شهر جمادى الأولى سنة ٥٤١ إحدى وأربعين وخمسمائة قال في السيرة: ومعه كتب غريبة وعلوم حسنة عجيبة فسر بها الإمام عليه السلام وتلقاه بالبشر والاتحاف وقرأ عليه الإمام في الأصولين واستجاز منه انتهى.

٦٤ ـ القاضي علي بن إبراهيم المحربي

القاضي العلامة المجاهد علي بن إبراهيم المحربي.

ترجم له القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

هو القاضي الفاضل العابد الناسك، صاحب الاحتياط والعزيمة، ولي القضاء زماناً بمدينة ساقين وحمد المسلمون أثره، وانتفعوا بحميد مقصده، وكان من أهل الزهد ومن أصحاب الشهيد علي بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد عليهم السلام، وأصحابه جميعهم يضرب بهم المثل في العبادة، ولهم أيضاً كرامات رضي الله عنهم من جملتهم ابن محمود العابد، ومنهم الحاج عبد الله المحمدي الذي سُمع الأذان والإقامة من قبره انتهى بلفظه. قلت: ولم يذكر له تاريخ وفاة وفي البصائر الشرعية التي اطلعت عليها أنه كان موجودا سنة ١٠٥٣ والمحربي لم أقف على وجه النسبة وما هو الصحيح في ضبط الكلمة لعدم التنقيط.

ومن جملة العلماء أصحاب الأمير الشهيد علي بن الإمام القاسم:

الفقيه العلامة عفيف الدين عبدالله بن أبي القاسم الوهم العبيري الصلهبي الأصل، ذكره في العقيق اليماني فقال: كان من أهل العلم في زمنه ولازم خدمة أولاد الإمام القاسم بن محمد سفرا وحضرا وحيا وميتا، وكان من جملة من استشهد مع علي بن الإمام في يوم الشقات بصعدة سنة ١٠٢٣ رحمه الله.

٦٥ ـ السيد علي بن أحمد بن الإمام الحسن

السيد العلامة الأجل علي بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود الحسني المؤيدي الصعدي وباقي النسب تقدم في ترجمة والده وجده. كان المترجم من صدور أهل زمانه بصعدة، عالما فاضلا وهو صنو السيد العالم الرئيس محمد بن أحمد بن الإمام الحسن الآتي ترجمته في حرف الميم، ولهما صنو ثالث هو الحسن بن أحمد كانت له ولاية لا أدري ما كنه تلك الولاية في صعده وقد نقلنا عن شرح الدامغة الكبرى حادثة الحسن المذكور التي جرت له مع السيد الإمام محمد بن علي الفوطي ولهذا الحسن وصايا معروفة منها بير الشعيبي برحبان وبير خنادق برهوان وفي علاف وغيرها وتوفي يوم الأحد غرة شهر جمادى الأولى سنة ١٠٦٤ أربع وستين وألف وقبره بالقرضين وبجواره قبر والدته وهي الشريفة الطاهرة المحسنة خديجة بنت الإمام القاسم بن محمد المتوفاة سنة ١٠٧٠هـ.

قلت: وقد انقطعت ذرية صنوه الحسن بن أحمد هذا وقد اكتفينا بذكره هنا لعدم الاطلاع على كثير من أحواله، أما صاحب الترجمة فقد تأخرت وفاته إلى بعد سنة ١٠٨٣ ثلاث وثمانين وألف، وقفت على وصيته بخط يده في درج الأوقاف وهي مؤرخة في هذا العام الذي ذكر، وكانت له سمسرة بمدينة صعدة بناها شامي شارع المطراق بالقرب من جامع الإمام الهادي وله من الأولاد: إبراهيم وقاسم وإسماعيل وحسين هؤلاء ذكرهم في الدرة المضيئة، وفي وثائق الوقف التي اطلعت عليها أنه له أيضا حسن وعبدالله وعلي كان موجودا سنة ١١٠٢هـ فهم على هذا سبعة أولاد. والعقب والذرية لصاحب الترجمة في أيامنا هذه من ولده إبراهيم فقط وله ترجمته ستأتي في القسم الثاني، وباقي إخوته الظاهر انقطاع نسلهم، فمن ذرية إبراهيم بن علي المذكور السادة آل الهاشمي، وسيأتي لاحقا التعريف بأول من تلقب بهذا اللقب من أهل هذا البيت.

٦٦ ـ الفقيه علي بن إسماعيل مشحم

الفقيه علي بن إسماعيل بن علي بن حسن بن محمد مشحم، من نبلاء المدينة الصعدية الأماثل رأيت له مصحف خطه بيده وهو خط حسن باهر، وكان الفراغ من ذلك شهر رجب سنة ١٠٣٣ ثلاث وثلاثين وألف رحمه الله.

٦٧ ـ الفقيه علي بن الحسن الطبري

الفقيه العلامة علي بن الحسن الطبري الملقب بالوحش. من مشايخ العلامة أحمد بن علي الحبشي وهو أحد علماء صعده الفضلاء تتلمذ عليه عدة من العلماء من أجلهم السيد الجهبذ زيد بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد مصنف المجاز إلى حقيقة الايجاز في علم المعاني والبيان.

لم أقف في ترجمته على غير ما ذكر وفي تاريخ السيد محسن أبو طالب المسمى طيب الكسا في حوداث سنة ١٠٦١

أثناء ذكر وفاة القاضي أحمد بن يحيى حابس ما لفظه: وفي ربيع الأول منها توفي قاضي صعده وعالمها وناظر أوقافها وحاكمها العلامة أحمد بن يحيى حابس إلى أن يقول: وخلفه من بعده أخوه الحسن بن يحيى فمشى على منهاجه في تلك الأشياء واستمر على النظر فيما هو إليهم من التولي على أوقاف صعده وأقام على ذلك بعد وفاة صنوه مدة ولما ولاه الإمام قضاء صنعاء جعل ما كان إليه من نظر الوقف بصعده إلى الفقيه علي الطبري الملقب بالوحش انتهى.

٦٨ ـ السيد علي بن داود المؤيدي

السيد العلامة علي بن داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن الإمام عز الدين بن الحسن المؤيدي الحسني الفللي وقد تقدمت ترجمة والده قريبا في حرف الدال.

كان صاحب الترجمة عالما فاضلا له مشايخ أخذ عليهم في العلوم منهم والده السيد الكبير داود بن الهادي ومما أسمع عليه مؤلفه مرقاة الأصول سنة ١٠٣٣ وهو بعد ذلك ممن له في جمع الفوائد في الأنساب والتراجم وتدوينها، وقفت من ذلك على ما شاء الله من ذلك ترجمة والده المتقدم نقلها، ورأيت للمترجم إجازة للكتاب المذكور مرقاة الأصول حررها للسيد المولى عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام القاسم مؤرخة في سنة ١٠٦٤ ولم أقف على كثير من أحواله والله المستعان.

وممن قرظ مرقاة الأصول كتاب والده السيد محمد بن الهادي جحاف فقال:

إذا ما شئت تبلغ كل سؤل فلازم درس مرقاة الأصول
ولا تبرح عليها ذا اعتكاف إذا ما كنت من أهل العقول
فنعم المرتقى المرقاة يوماً لمن يبغي الوصول إلى الأصول
فتلك المنتهى لا ما ادعاه من الأبناء أرباب الفضول
ولم لا وهي نظمها خبير بغامض علم أبناء الرسول
له نظر يذلل كل صعب به أربى على كل الفحول
فتى كالشمس مرتبة ونفعاً فسلمه الإله عن الأفول
ويبقى للعلى والدين ركناً يزول بعلمه دار الجهول
فذاك هو المعد لكل خطب ودرة تاج أبناء البتول
جزاه الله عنا كل خير وبلغه المهيمن كل سؤل
ولا زالت أيادي الله تترى عليه الدهر دائمة الهمول

ووفاة المترجم له شهر شعبان سنة ١٠٦٩ تسع وستين وألف ومن ذريته السادة الأماجد آل شايم ينسبون إلى حفيده السيد علي بن محمد بن علي بن داود بن الهادي المتوفى ١١٣٤ أربع وثلاثين ومائة وألف كما نُقل عن

شاهد قبره بهجرة فلله وسيأتي تراجم أهل هذا البيت في القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

٦٩ ـ الفقيه علي بن داود الحيمي

الفقيه علي بن داود الحيمي قال من ترجم له: سيدنا وبركتنا الفقيه الفاضل عالم شيعة أهل البيت العامل المتهجد بآيات القرآن المفني عمره في طاعة الملك الديان جمال الدين سيد المتقين علي بن داود الحيمي توفي إلى رحمة الله تعالى في سلخ شهر جمادى الأولى من شهور سنة ثماني عشرة وألف سنة بعد الألف وقبره غربي قبر ومشهد الإمام الرباني إبراهيم الكينعي انتهى.

٧٠ ـ الفقيه علي بن صلاح الطبري

الفقيه العالم العامل محب آل محمد نور الدين علي بن صلاح بن علي بن محمد بن عبد الله بن قاسم بن أحمد الطبري نسبا الصعدي بلدا. هو العلامة المحقق الأصولي أحد علماء صعده الأفاضل ترجم له السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى فقال:

الفقيه الشيعي الخلاصة المحب الجامع بين فضيلتي العلم والعمل. كان من أعيان علماء صعده ومدرسيها، وكان له عناية بأصول الفقه ظاهرة، وله فيه تأليفات حيث شرَح الكافل شرحاً نافعاً، وله مؤلف فيه مختصر سماه (مغني ذوي العقول في معرفة قواعد الأصول) وشرحه بشرحين، وله مؤلف في النحو، وفي المعاني والبيان، وله (جوابات أهل العدل والانصاف على أهل الجور والاعتساف) في أصول الدين، وله (تحرير المقال جواب رسالة الجلال) في الفقه، وله (دقائق ما به تُنوجِي في بيان معاني ايساغوجي) شرح رسالة الأبهري في المنطق، وله (مفيد الرائض في علم الفرائض) وعليه له شرحان أحدهما: مبسوط والآخر موجز، نقلت ذلك كله من خط ولده إسماعيل بن علي.

قلت: ومن مؤلفاته أيضا: (منهج الكمال فيما جاء الحديث من كلام ذي الجلال)، و(مطلب الأدب في معرفة كلام العرب)، و(التفصيل لأسباب التنزيل)، و(شفاء غليل السائل بما تحمله الكافل) وهو شرح متن الكافل وقد تقدم. ومتنه في الأصول المسمى مغني ذوي العقول في معرفة قواعد الأصول شرحه الصغير سماه (سبيل الوصول إلى مغني ذوي العقول)، والشرح الكبير سماه (إحكام أحكام الأصول في بيان مغني ذوي العقول). ومما قاله رحمه الله تعالى في ذكر هذا المتن مغني ذوي العقول هذه الأبيات:

لا تحقرنْ جمعي لأجل حقارتي فالحق حق والصوابُ تجارتي

لا تعدلنْ عن فضله لحداثة كم لاحقٍ هو سابقٌ في الغارة

ومنها:

ضمّنته فن الأصول بأسره مع قلةٍ في لفظه وعبارة

وللفقيه جمال الدين علي بن صلاح رحمه الله قصيدة عظيمة ضمنها صدرا كان مكتوباً على خاتم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو قوله: سبحان من فخري بأني له عبد.

والسبب الحامل له على نظم هذه القصيدة أن المولى سلطان اليمن عز الدين والإسلام محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد اتفق أنه قرئ عليه كتاب الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة المسمى الشافي وكان في أثناء تلك القراءة يفيض على المسترشدين من فوائد علمه ومما تضمنه ذلك الكتاب الكريم ما جاء في حق أهل البيت وفي طي ذلك جاء في ذكر خواتم أمير المؤمنين وسيد الوصيين وما نقش عليها، وأن خاتمه الذي زكى به وهو راكع كان منقوش فيه: سبحان من فخري بأني له عبد، فاقتضى نظر المولى عز الإسلام أن تشاع هذه الآية الباهرة والمنقبة الباقية بأن تضمن في أبيات من الشعر فدعى إلى مضمار تتفاضل فيه سوابق الأفكار بنجائب الأشعار فأول من ابتدأ ذلك الفقيه العلامة علي بن محمد بن سلامة وحذا حذوه السيد الأديب صلاح بن أحمد بن عز الدين وعزز السيد الأديب يحيى بن أحمد العباسي ثم عقب ذلك ولده إسماعيل بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم ثم سلك ذلك السيد علي بن محمد بن الحسن المحرابي ونسخ على ذلك المنوال السيد علي بن الحسين بن علي الحوثي ثم نافس في هذا المقام الفقيه العلامة على بن صلاح الطبري فقال:

إلى الآل آل المصطفى ينتهي المجد ومنهم أتانا الحق واتّضح الرشدُ
بنى لهم مجداً أبوهم ومفخراً وليس لما يبنيه من فخرهم هد
فقال هم آلي وإني لتارك لديكم نجوماً ليس في هديها زهد
وناظرُ ماذا تخلفوني فيهم بيوم طويل شاب من هوله المهدُ
بهم عز دين الله والدين دينهم فضائلهم معلومة مالها جحد
فهم عصمة اللهفان والله عونهم ومن لم يكن منهم فليس له رشد
وطاعتهم فرض على كل مسلم وحبهم دين به الفوز والسعد
وبغضهم كفر مناط لأهله به النار تعلوهم ويشتعل الوقد
ومن ذا تولاهم يفوز بما رجى ومن ذا يعاديهم فليس له عهد
فيهنئكم آل النبي محمد بنى جدكم بيت المكارم والجد
لقد حزتم خير الخلال وقد غدت علومكم تخفي الكواكب إذ تبدو
فأحمد ربي أن هداني لودهم وأنشاني من صلب من هم لهم جند
فحربهم حربي وحزبهم حزبي وحبهم عندي هو العسل الشهد
لقد صار قلبي موطنا لهواهم وملكتهم إياه فهو لهم عبد
وحبي إياهم فلا عن كلالة ولكنه والله ورثه الجد
فقد كانت الآباء ترعى حقوقهم لحتى تخلى عنهم المال والولد

***

نماهم أبو السبطين حيدرة الذي له الخطة العليا وهو بها فرد
يقول رسول الله جهرا مناديا لأنت أخي باب العلوم فلا رد
فمن رام علماً من سواه فإنه لسارق دار يلزم الحد والجلد
وأنت وصيي والخليفة في الورى وقاضٍ لديني إن بقيت وإن أغدوا
تصدق في بعض النهار بدرهم وآخر في ليل به الجو مسود
وآخر في سر وآخر معلنا فليس له مثل وليس له ند
وقد جاهد الأرجاس حتى أبادهم وغادرهم في الناس فهي لهم وِرْد
وجاء فقير سائل لنوال مَنْ بمسجد خير الرسل مِن نفر عُدّوا
فلم يحظ منهم باليسير ولا بما يليق جواباً بل له القوم قد صدوا
وحينئذ كان الوصي مصلياً يسائل مولاه طويلاً له رعدُ
فبادر إيماءً إليه بكفِّه مشيراً إليه أن هذا هو الرفدُ
وقد كان منقوشاً على ظهر فصه: فسبحان مَنْ فخري بأني له عبدُ
فأنزلت الآيات بالحق أنه هو المنفق المولى له الحل والعقدُ
وجاء طريق الحصر حصراً لغيره وتلك طريقٌ أجمع الحر والعبد
وتأخيره عمّا له ليس ضائراً أيسلب ضوء الشمس أو اسمها ضدُّ؟
وليس له من موجب غير أنه هو الكبر والضغناء والحسد والحقد
فليت سقيفتهم لما كان منهم عليهم قبور أو لأجسادهم لحد
لقد فتحوا باباً عظيماً لحينهم وشادوا بناء للخلاف وما سدوا
وقد أبلغ الهادي إليهم نصائحاً ولكنها لا تبصر الأعين الرمد
وقد أفصح المنصور من آل أحمد فضائل من بحر وليس لها عد
وأبرز درا من عميقات قعره بأحسن أفكار لها أبحر مد
إمام صبور وافر الحلم والتقى عليم بحل المشكلات له سَعْدُ
وذلك عز الدين لا زال كاسمه ولا زال معطاء يؤمله الوفد
ولا زال سباقا إلى كل غاية ولا زال تهدينا طوالعه السعد

ولا زال عوناً للأنام وغوثهم ولا زال مطواعا له السهل والنجد
إليك مليك الآل جاءت قصيدة بتضمين بيت حشوه المسك والند
ودمت لنا في الملك يا ابن محمد وفي نعم تترى وليس لها حد
ولست وبيت الله أبغي إجازة سوى جنة الفردوس يتبعها خلد
وبعد سلام الله تتلو صلاته على خير رسل الله ما سبح الرعد
وآل كرام ما حييت وما تلي إلى الآل آل المصطفى ينتهي المجد

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة ١٠٩٧ سبع وتسعين وألف بمحروس صعده، وقبره بها ورثاه ولده إسماعيل الآتي ترجمته في القسم الثاني من هذا الكتاب بهذه الترثية:

شَرِقتُ بضرَّاء دهري الخؤون فيا ليتها كانت القاضيه
تمنيت مِمّا ألاقي المنون فما أنا في عيشةٍ راضيه
وتذرف عيناي ماء الشئون تكاد به تحمل الجاريه
فأين قريني بماضي القرون كميداً وفي الأمم الماضيه
فلمْ أزلِ الدهر أمضي الحُزُون لعلي أفوز بآماليه
وكل عظيم علينا يهون سوى حادثٍ جلَّ من داهيه
وذاك ثُوى شيخنا في الفنون له همة كاسمه ساميه

ومنها:

فقد فقَدتْ خيره المؤمنون كما فقد البدر في الداجيه

ومنها:

فلي مسمعٌ طال ما اوردته مناهلَ تعبيره الشافيه
ولما غدت لي سماعيَّة مصادرُها كانت الكافيه
أبي كان ما خفتُه أن يكون فعلمي أخذتَ ومن ماليه
أبي كنت عيناً ولا كالعيون ولكنها كانت الصافيه
أبي كنت غيثاً يرى الممحلون على أرضهم سحبَه هاميه
فإنا إلى ربنا راجعون رضينا بأحكامه الماضيه
أعَلامةَ العصر كشافه سراج تجلى به الناحيه

وسعد المعاني شريف البيان صحيح أسانيده وافيه
جليل الأصول ربيع الفروع فدونك أزهاره الزاهيه
فيا قبره كيف واريته وذي الأرض من علمه ماليه
تضمَّنت قاموسه الجوهري وصرتَ محيطاً به حاويه

إلى آخرها وهي متضمنة تاريخ وفاته.

٧١ ـ السيد علي بن عبد الله بن الإمام القاسم

السيد جمال الدين علي بن عبدالله بن الإمام القاسم بن محمد الحسني القاسمي اليمني قال في بغية المريد مترجما له ما لفظه: كان سيدا جليلا رحل مع الإمام المهدي أحمد بن الحسن رحمه الله أيام دخوله إلى صعدة فتوفي هنالك وخلف من الأولاد محمدا وإسماعيل فأما محمد فكان سيدا جليلا فاضلا توفي ولا عقب له من الذكور وله بنتان وإسماعيل بن علي سيد جليل فاضل له من الأولاد أحمد ومحمد والحسن بمحروس ذمار انتهى بلفظه.

قلت: وصاحب الترجمة هو جد السادة آل الكاظمي بذمار ونحوها، ودفن في المشاهد اليحيوية بجامع الإمام الهادي عليه السلام وقبره متوسط بين قبة أحمد بن القاسم وقبة الغرباني، وتاريخ وفاته كما ألمح صاحب بغية المريد سنة ١٠٨٨ ثمان وثمانين وألف، وقد حرر له بعض المعاصرين ترجمة ذكر فيها مبلغه من العلم وأن وفاته في ذات السنة شهر ربيع الآخر والله أعلم.

٧٢ ـ السيد علي بن عبد الله الرغافي

السيد العلامة علي بن عبد الله الرغافي اليحيوي. ذكره السيد مطهر الجرموزي في الجوهرة المنيرة ضمن عيون السادة أيام الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم فقال: ومنهم السيد الجليل العالم الفاضل جمال الدين علي بن عبد الله الرغافي. كان فاضلاً عالماً، ولي القضاء في بلاد السلمي من بلاد المعافر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان حريصاً عليهما، توفي عام ١٠٤٠ أربعين وألف انتهى.

٧٣ ـ الأمير علي بن الإمام القاسم بن محمد

السيد المجاهد الأمير الليث الباسل جمال الإسلام علي بن الإمام القاسم بن محمد الحسني الهادوي اليمني وبقية النسب تقدمت في ترجمة صنوه أحمد بحرف الألف.

وصاحب الترجمة هو المستشهد في الشقات غربي جبل تلمص وهو أحد أنجال الإمام القاسم بن محمد مولده بهجرة الشاهل من بلاد الشرف سنة ٩٩٤ أربع وتسعين وتسعمائة فنشأ وترعرع هناك. ومع تداني عمره إلا أنه كان من أعيان المجاهدين وأحد أنصار الدين جليلا عارفا ناهضا بالأمور الصعبة وكان له أصحاب أيام جهاده اشتهروا بالورع والتقوى والديانة جهزه والده الإمام عليه السلام إلى بلاد خولان صعده لاستفتاحها في شهر رمضان سنة ١٠١٤ وأصحبه جماعة من العيون كالسيد جمال الدين علي بن إبراهيم الحيداني وزها من مائة

وخمسين رجلا فكان في بني ذويب من بلاد خولان يغزي الأتراك ويغزونه وجرت بينه وبينهم وقائع عدة فكان والده يخاف عليه كثيرا حتى لقد أرسل من يقبض حصانه لكثرة مباشرته الحروب الشديدة، ثم في شهر رجب سنة ١٠١٦ رجع إلى والده، فكانت مدة بقائه في بني ذويب وما إليها نحو سنتين، ثم أرسله والده بعدها في مهام عدة منها إلى بلاد وادعة وإلى بلاد الأشمور لفك حصار أخيه الحسن ثم رجع بعدها إلى صعده أوائل سنة ١٠٢٣ أو أواخر السنة التي قبلها وعلى يديه كانت وقعتي عرو والحضائر قتل في الوقعتين كثير من الأتراك ولم يزل على تلك الحال من مصادمة الأتراك ومنابذتهم حتى كانت وقعة الشقات غربي جبل تلمص وسقوطه فيها شهيدا سعيدا حميدا مرضيا. وقد نقل القاضي الحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري عن خط والده الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد رضوان الله عليه وسلامه ما صورته:

استشهد الولد البر التقي المجاهد في سبيل الله علي بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد رحمه الله في جبل الشقات قرب صعده يوم السبت لاحدى عشرة ليلة إن بقيت من جمادى الآخرة أحد شهور سنة ثلاث وعشرين وألف سنة رحمه الله رحمة الأبرار ووقاه عذاب النار بحق محمد صلى الله عليه وعلى آله قتله جند الأتراك أقماهم الله في ولاية جعفر باشه وسلطانهم أحمد بن محمد خان نسأل الله أن يفرق شملهم بحق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان له من العمر ثماني وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصف شهر انتهى بلفظه.

(وخبر وقعة الشقات)

هي ما أورده السيد العلامة الكبير أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي في كتابه اللآلي المضيئة ولفظه:

قضية الشقات واستشهاد جمال الإسلام علي بن أمير المؤمنين عليه السلام وذلك أنه لما بلغ الخبر بوقعة غارب أثلة إلى جهات صعده إلى السيد الأجل الفاضل الهمام والليث الباسل الضرغام وسهم الله المرسل على المردة الطغام جمال الإسلام علي بن أمير المؤمنين رحمه الله وأعاد من بركاته وكان في تلك الجهة محاصراً لمن بصعده من الأتراك، فكان رحمه الله في شق جبل تلمص، وكان السيد شمس الإسلام أحمد بن الإمام الناصر الحسن بن علي بن داود في بير غازي، وكان السيد شرف الإسلام الحسين بن أمير المؤمنين في العبلا من جهة المشرق ثم انتقل إلى الطويلة فبقي هناك مدة، ثم طلبه الإمام عليه السلام إلى الأهنوم، وبقي جمال الإسلام علي بن أمير المؤمنين رحمه الله وشمس الدين أحمد بن الإمام الناصر رحمه الله، وكانت محطة الأتراك خارج باب صعده في الموضع المسمى الجنيبة، وكان الحرب لا يزال بينهم أكثر الأيام قتل فيها كثير من الفريقين، وكان أصحاب الإمام هم الذين يقصدون الأتراك بالحرب، وكانوا قد حصروهم ومنعوا المواد منهم وبلاد خولان وبني جماعة كلها للإمام، فما كان استمدادهم إلا من أهل صعده حتى أضروا بهم مضرة عظيمة، فلما بلغ خبر هذه الوقعة المذكورة وشاع ذلك رجى جمال الإسلام علي بن أمير المؤمنين عليه السلام أنه إذا قصد صعده يظفر بمن فيها من الأتراك مع عظم موقع هذه الملحمة مع الأتراك ومع سائر الناس كافة، فحشد أصحابه من الرؤساء والأتباع وقصد بهم إلى موضع قريب من صعده يسمى الشقات، وهو مكان سهل تعمل فيه الخيل، ولم يكن معه رحمه الله ما يقاوم خيل الأتراك، وكان رحمه الله جري القلب يقدم في المواضع الخطرة، فأشار عليه السيد شمس الدين أحمد بن الإمام الناصر وغيره أن لا يقف في ذلك الموضع فأبى،

وذلك لما سبق في علم الله سبحانه من اختصاصه بالشهادة هو ومن قُتِلَ معه، ولما وقف في ذلك الموضع اغتنم الفرصة العدو فقصدته عساكر الأتراك بكرة اليوم الثاني وهو يوم السبت تاسع عشر شهر جمادى المذكور، وكان السيد علي بن أمير المؤمنين في طائفة من العسكر وقبائل الأحلاف من خولان في الموضع المذكور فوقع الحرب واستمرت ساعة، وأمر الأتراك جماعة من أهل الخيل وغيرهم أن يأتوا من جهة السيد شمس الإسلام فثبت لهم ساعة، وانحاز إلى جبل هناك لما لم يقوى على رد الأتراك، فما شعر جمال الإسلام رحمه الله إلا بعسكر الأتراك من ورائه خيلاً ورجلاً وقد اتصلوا إليه من الموضع الذي كان فيه شمس الإسلام، فأحاطوا به وبأصحابه، فقاتل هو وأصحابه رحمه الله قتالاً شديداً، واختلط العسكران حتى استشهد رحمه الله وأعاد من بركاته، وقُتِلَ عامة أصحابه زهاء مائتين وحزوا رأسه وأرسلوا به إلى صنعاء بعد سلخه، وبقيت جمجمة رأسه رحمه الله قريباً من سنتين ثم حُملت إلى شهارة فقُبرت عند قبر السيد الفاضل جمال الدين علي بن صلاح العبالي، وقبرت جثته رحمه الله عند بيت الشيخ أحمد بن علي كباس في موضع يسمى علاف، ثم مكن الله عز وجل ممن حمل رأسه إلى صنعاء فقُتل شر قتلة والحمد لله، وهذا دأب الدنيا فإنها ما سمحت لأحد بفرحة إلا عقبتها ترحة، أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم، وكان قتله رحمه الله رزءاً في الإسلام عظيم، وخطبٌ فادحٌ جسيم، فإنه كان أعاد الله من بركاته ركناً من أركان الدين، وسيفاً ماضياً من سيوف رب العالمين، مع الورع الشحيح، والكرم الصريح، والقيام بموجب الدين والرغبة في جهاد المعتدين، فألحقه الله بآبائه واختار له سبيلهم بالموت بأيدي أعداء الإسلام وأعدائه، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

وكتب على قبره رحمه الله تعالى هذه الأبيات:

هذا الضريح ضريح السيد البطل ... نجل الإمام الولي بن الولي علي

العابد الزاهد الميمون طائره ... وقارن العلم بالإخلاص والعملِ

الباذل المال لا منٌّ يكدّره ... والثابت الجأش يوم الروع والوَهَلِ

الطاهر القلب من عُجْبٍ ومن صلَفٍ ... ومن رياءٍ ومن غشٍ ومن دغَلِ

يا سيدي يا علي بن الإمام لقد ... أدركت منزلة في الفضل لم تُنَلِ

ما زلت في طلب العلياء مجتهداً ... من يوم أدركت حتى منتهى الأجلِ

هبطت تبغي جهاد الترك محتسباً ... لله من غير ما رُعبٍ ولا فشلِ

وحين أبصرك الأعداء منفرداً ... مالوا إليك فلم تجزع ولم تَمُلِ

وحين وافوك راموا أن تطاوعهم ... على الأسار فقلتَ القتل أشرف لي

فاستشهدوك حميداً يا أبا حسنٍ ... ومزقوك ببيض الهند والأسلِ

لم يرقبوا فيك إلاًّ يا ابن فاطمة ... ولم يخافوا غداً من خاتم الرسلِ

ففاحت الأرض طيباً إذ ثويت بها ... وربْع أهل التقى والفضل عن كملِ

فاستبشرت بك جنات النعيم معاً وقالت الحور والوِلْدان حي هلِ
عليك أزكى صلاة الله دائمة تغشى ضريحك في صبحٍ وفي

وفي مطلع البدور أثناء ترجمة القاضي العلامة علي بن إبراهيم المحربي المتقدم ترجمته قريبا ما لفظه:

كان من أهل الزهد ومن أصحاب الشهيد علي بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد عليهم السلام وأصحابه جميعهم يضرب بهم المثل في العبادة، ولهم أيضاً كرامات رضي الله عنهم من جملتهم ابن محمود العابد، ومنهم الحاج عبد الله المحمدي الذي سُمع الأذان والإقامة من قبره، وكان سيدهم علي بن أمير المؤمنين صاحب المقام العظيم والعبادة والصلاح، كان عين أعضاد والده، نكى الأعداء نكاية عظيمة، وكان يباشر الحرب بنفسه الكريمة، وقعت وقائع هو صاحبها من قبل أبيه، وله الكرامة في جبل شظب وذلك أن الأعداء دخلوا عليهم بغتة، فرأى التحيز إلى فئة من المسلمين، فطلع من جبل هنالك وعر ودعا بذلك الجبل دعوة ظهر أثرها لم يزل ينصب وتتهادى أحجاره وترابه إلى يوم الناس هذا، وقتل عليه السلام في الشقات من أعمال بلاد خولان والربيعة مشرفاً على الصحن ونواحي الصعيد، ودفن بعلاف وقبره مشهور، واحتز رأسه الكريم وذهب به الأروام إلى كبرائهم، فلقيهم شيخان من ذوي عكام من حاشية بلاد سفيان، فأخذوا الرأس بعد قتل الحامل له، وكانت قضية من العجائب؛ لأنه جالد مجالدة مثله وعرف مكانه، ولم يخف على الأعداء، وطلبوا منه أن يستأسر لهم، فقال في وقت الحرب: (القتل أشرف) وإلى هذه لمح العلامة الفقيه مطهر الضمدي في مرثيته حيث يقول:

وحين أبصرك الأعداء منفرداً مالوا إليك فلم تجزع ولم تَمُلِ
وحين وافوك راموا أن تطاوعهم على الأسار فقلتَ القتل أشرف لي

انتهى كلامه. وممن رثاه أيضا فأحسن القاضي العلامة جمال الدين علي بن الحسين بن محمد المسوري وابتدأها مخاطبا للإمام عليه السلام بقوله:

محلك أعلى أن ترى الدهر باكيا على من غدا في جنة الخلد ثاويا
وإن كان قد أشجى المعالي فراقه وضعضع منها منزلاً كان ساميا
فقد صار في دار النعيم محله عليٌّ وللحور الحِسان مدانيا
يطاف عليه بالكؤوس ويكتسي بها سندساً غضاً ويُحلى لآليا
هنيئاً له أن بات لله مرضياً وعنه فرب العرش قد صار راضيا
فتى نازل الأعداء قبل احتلامه لهم لم يزل كأس المنية ساقيا
فتى علِق الحرب العوان فلم يزل إليها على الحال الكريهة ساعيا
بغير العوالي البيض ما كان مولعاً كأنَّ المواضي البيض بيضاً صوافيا
سواء عليه أن يلاقيه جحفلٌ لحرب وأن يلقى صديقاً مواتيا

ويغشى المنايا راغباً غير راهب أكان يرى أن المنايا أمانيا
بعزمٍ له لو يطلب الشهب نالها وألقت إلى كفيه منها النواصيا
أقاتِله تبّت يداك لقد غدت بقتلك إيّاه المعالي عواريا
وعطّل جِيد المجد من جوهر الوفا وأصبح روح الفضل ظمآن ذاويا

***

جمال الهدى بؤساً ليومك إنه ليومٌ أرانا زِنْد بلواه واريا
وأدنى إلينا الحزن بعد انتزاحه وقرّبه منا وقد كان قاصيا
وقرّح أكباداً وروّع أنفساً وصعّد أنفاساً وهاج بواكيا
وأسبل دمعاً ما جرى قط قبله ومن بعده قد أخجل الغيث ساريا
أناعِيْه إن كنت لم تدر من له نعيت فيا قبحاً لمثلك ناعيا
وإن كنت قد حققت من هوْ فما الذي أتيت به قل لي وقبّحت آتيا
أتيت إلينا ناعياً لمكارم هوت وغدا منهنّ ذا الدهر خاليا
لبَأسٍ يقود الأسد وهي حواردٌ ويُجري على هام السماك المذاكيا
وجُودٍ لوَ أنّ الغيث ساواه واكفاً لأصبح وجه الأرض كالبحر طاميا
ونُسكٍ حلت منه الشريعة جيدَها وشادت به بعد انهدامٍ مبانيا
وصبرٍ إليه الصبر يُعزى وهمّةٍ تسهل للراقي المعالي المراقيا
فيا دهر لا تشمت بنا فلنا بمن تقدّم منا أسوة هي ما هيا
أليس عليٌّ ذاق بالسيف حتفه وكم مرة روّى السيوف المواضيا
كذاك ابنه السبط الحسين وأهلُه مضوا ولعاب السيف يقطر قانيا
كذا زيد البحر الخضم سقى الثرى دمٌ منه إذ أمسى إلى الله داعيا
وهل كابنه يحيى بن زيد وقد غدا دم منه في أرض الأعاجم جاريا
ونفس ابن عبد الله نفسٌ زكيةٌ أعدَّ لها الدهر الخؤون الدواهيا
فسالت على حد الحسام ولم يزل كذا الدهر للآل الكرام مُعاديا
وإخوته ذاقوا الذي ذاق بعدما رمى بهم ريب الزمان المراميا
وفي فخ قد فاضت من الآل أنفسٌ سقى دمها تراباً هنالك ضاحيا

وما زال من أولاد أحمد قائمٌ يرى الموت من داء المذلة شافيا
يجاهد في الرحمن حق جهاده فيُهلك جباراً ويردع عاصيا
ويرفع من دين الإله منارَه ويظهر نوراً منه قد كان خافيا
ويطلب ما عند الإله ببذل ما يعزُّ فيفني نفسه والذراريا
وثوقاً بوعد الله جل جلاله لمن كان عن دين الإله محاميا
وعزّة نفسٍ لا ترى الذل مذهباً ولو نال من يمشي عليه الدراريا
وصوناً لأصل لو يُحل رداؤه على الليل عاد الليل بالصبح زاريا

***

فصبراً أمير المؤمنين فإنه الـ زمان على الأحرار ما زال باغيا
ومثلك من لاقى الخطوب بهمة وصبرٍ يهدُّ الشامخات الرواسيا
ألست على رزء الأسير أريتنا احـ تمالاً وصبراً باذخاً متعاليا
وألْهمتنا يا بن الكرام إلى التي ترد بها باب المكاره نابيا
إلى حُلَّةِ الصبر التي من سمَا لها وأُلْهِمها لم يلق للدهر شاكيا
وإن ابنك الماضي وإن جلَّ رزؤُه لأغبط ممّن صار في السجن عانيا
وأشرف إن لم يدفع الموت دافعٌ لذي الفضل أن يلقى إلى القتل ساعيا
فموت الفتى بالسيف فخرٌ وهل ترى من الناس من أمسى على الدهر باقيا
وأبشر أمير المؤمنين بنصرة بها الملك القهار يفني الأعاديا
ويمكن منهم عاجلاً ويذيقُهم بواراً ويفنيهم قريباً ونائيا
ففَوِّض إليه الأمر في كل حالة تجده تعالى منهمُ لك كافيا
وأرسل عليهم من دعائك عسكراً تهدُّ به أمصارهم والصياصيا
فيغدو وإن شادوا الحصون عليهم فيترك ما شادوه منهن خاويا
ولا زلت منصوراً معاناً مؤيَّداً مسدّد آراءٍ كريماً مساعيا

والشقات موضع في قرية آل عقاب من أعمال الصحن غربي جبل تلمص وفي ذلك الموضع مكان يسمى مكان الأمير لعل ذلك نسبة إلى صاحب الترجمة وحادثة استشهاده.

***

٧٤ ـ القاضي علي بن قاسم طشي

القاضي العلامة جمال الدين حاكم المسلمين علي بن قاسم بن علي طشي الغرازي السحاري.

وطشي بدون ألف التعريف كما حكاه أحد الأخوان وضبطه بكسر المهملة والمعجمة الفوقية وهم من أهالي صعده في القرن الحادي عشر والذي يليه ويرجع أصلهم إلى غراز إحدى قبائل سحار إلا أنهم هاجروا واتخذوا مدينة صعده مسكناً لهم وتفقهوا في الدين فصاروا علماء قضاة للمدينة. وصاحب الترجمة هو أول من أحيا هذا البيت بالعلم قال في ترجمته السيد الحسن بن صلاح الداعي: كان حاكما معتبرا أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل يقضي في جانب من المحكامة مع القاضي العلامة الحسن بن يحيى حابس والقاضي عبد الله بن يحيى الفهد وتوفي في مدة الإمام المتوكل على الله انتهى.

قلت: كانت وفاته يوم الثلاثاء تاسع شهر رجب سنة ١٠٦٩ تسع وستين بعد الألف، وقبره رحمه الله في مقبرة القرضين إلى جهة الغرب من قبة القاضي أحمد بن يحيى بن سالم الذويد وستأتي تراجم أولاده وأحفاده في القسم الثاني من هذا الكتاب.

٧٥ ـ القاضي علي بن محمد جعفر الزبيدي

القاضي العلامة الشاب الزكي التقي جمال الدين علي بن محمد بن علي بن جعفر الزبيدي الخولاني ثم الرازحي ووالده هو القاضي العلامة الرئيس محمد بن علي بن جعفر عامل بلاد رازح في وقته وله ترجمة ستأتي في حرف الميم. قرأ صاحب الترجمة على والده وهاجر إلى صعده وقرأ فيها على المشايخ منهم القاضي العلامة يحيى بن صلاح الرتوة المتوفى سنة ١١٠٧ وغيره.

ذكره معاصره السيد الحسن بن صلاح الداعي فقال ما موجزه:

كان هذا القاضي آية من آيات دهره، وحسنة من حسنات عصره علماً وعملا وديانة وأدباً ولطافة، قرأنا نحن وإياه بصعده في شرح الأزهار على حي سيدنا الفقيه العلامة عماد الدين يحيى بن صلاح الرتوه مدة في مسجد النِّزاري بصعده، وتوفي والده وهو على قيد الحياة فولاه الإمام المتوكل على الله إسماعيل على بلاد رازح عن أبيه فلم يبرح إلى أن توفي في دون الشهر من وفاة والده إذ توفي في شهر محرم الحرام سنة ١٠٨٠ ثمانين وألف وقبر إلى جنب والده فوق مسجد قلعة غمار إلى جهة الشرق انتهى. قلت: وسيأتي أن وفاة والده في ١٨ شهر رمضان سنة ١٠٧٩ فيكون وفاة المترجم له في شهر شوال من السنة المذكورة حسبما يقول السيد الحسن الداعي أن وفاته دون الشهر من وفاة والده.

وكان صاحب الترجمة أديبا ينظم الشعر ومما أرسل إليه السيد الحسن بن صلاح الداعي مترجمه بالعبارات السابقة قوله يتوجع من فراقه بعد الاتصال والملازمة للقراءة بصعده:

رويداً بصب سال من جفنه الدم وعطفاً فقد وافاكم يتسلّم

أهجراً وهذا الليل أرخى ذيوله وقد غفل الواشون والناس نوّم

بعينيك بل بالحاجبين ترفقي بمن صار في أبوابكم يتلوم
يرى العيش في الدنيا هباء إذا نأت ركائبكم نحو الجنوب ويمّموا
فهل يجد الصبر المتيم بعدكم وقد كان لا يقوى عليه لديكم

إلى أن قال:

فيا راكباً تهوي به أرحبية عرندسة وجناء للسير تعتم
تحمّل سلاماً يفضل البدر نوره ويملأ أقطاراً بها الصحب خيموا
سلاماً على القاضي علي بن جعفر يدوم ولا يفني ولا يتصرّم
من الحسن الداعي الذي طال شوقه إليه ولم يبرح من الشوق يهرم
على أنه مذ غاب عنه متيمٌ يقول إذا ما الناس في الليل هوّم
رعى الله أياماً تقضت بصعده ونحن بها للدرس في الليل نغنم
وأنت بها بدر وندماك أنجم يحفون بالبدر المنير فيُفهِم

ويقصد بذلك شيخهما القاضي يحيى بن صلاح الرتوه.

فيا أيها القاضي الأجل الذي له مكارم جلّت أن تحاط وتكتم
كوالده العزي آية عصره رضيع الهدى مذ شب بالعلم
محب بني الزهراء ونحن شهوده إذا قيل يا آل النبي تقدموا
لعمرك إن الدهر باعد بيننا وذاك على كرهٍ وربك يعلم

إلى آخر الأبيات فأجابه صاحب الترجمة بقوله:

أروضٌ أنيقٌ أم جمان منظم أم الراح بالمسك الذكي مختم
أم البرق يشرى في الصباح وطيُّه هياكل أشباح بها الصب مغرم
بلى إنها در القريض أصاغها فتى من بني الزهراء قرمٌ غشمشم
يضاهي بهاها الشمس وهي كليلة ويحكي سناها البدر وهو متَمَّم
ففاقت بديع النظم حسناً لأنها محبِّرها في الآل حبر معظم
تقي نقي ألمعي مهذبٌ رضيع لبان المجد نجلٌ مكرّم
فصيح بليغ سامي القدر ماجدٌ سليل سَراة جارهم ليس يهضم
له شغف بالمكرمات كأنه يرى أن تنقيح المعاني تحتم

إذا كلَّت الأفكار عنه وأحجمت فليس يكل الفكر عنه ويحجم

عليه سلام الله من بعد جده وآلٍ كرامٍ في المعالي تقدموا

ولصاحب الترجمة أخ فاضل عالم اسمه يحيى بن محمد بن علي بن جعفر تولى بعد وفاة صنوه أياما يسيرة على بلاد رازح حتى وصل السيد شرف الإسلام الحسن بن المتوكل على الله إسماعيل إلى بلاد رازح ولعل وفاته في عشر التسعين وألف رحمه الله تعالى.

٧٦ ـ السيد علي بن محمد الجديري

السيد الشهيد العلامة الفاضل الزاهد علي بن محمد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن الإمام يوسف الأشل بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن الإمام يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحسني الهادوي الملقب بالجديري نسبة إلى جديرة بالجيم وبالدال المهملة قرية من بلاد خولان.

ذكره المولى العلامة أحمد بن محمد الشرفي في اللآلي المضيئة فقال: كان هذا السيد رحمه الله من أعيان أهل البيت عليهم السلام علماً وورعاً وشجاعة، قيل أنه قتله مصطفى المذكور بيده، وكان قد أسر في وقعة رحبان ولم يمهل الله مصطفى بعده بل أهلكه الله بعده بأيام يسيرة قيل أنه مسموماً وقيل غير ذلك، وقد روي أنه كان يقول وهو في النزع: يكفي يا سيدي علي يكفي يا سيدي علي كأنه يستجير من فِعل يُفعل به والله أعلم. **وصفة وقعة رحبان وما حصل فيها من الأمتحان** أن الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في سنة الدعوة جهز إلى جهات صعده جماعة من أصحابه فافتتحوا بلاد خولان جميعاً ووالاهم أهلها بعد حروب وقعت في نواحي حيدان وغيره صعيبة، وبقي من عسكر الأتراك جماعة في صعده وفي جبل رازح، فلما امتدت يد الإمام عليه السلام إلى تلك الجهة، تقدم لحصار صعده عدة من الأعيان بجموع كثيرة منهم السيد العلامة علي بن إبراهيم الحيداني ومنهم السيد الفاضل علي بن محمد الجديري ومنهم الشيخ بدر الدين محمد بن جابر الخياري من بلاد بني صريم ومنهم القاضي شرف الدين الحسن بن علي بشاري، ومنهم عمدة الرؤساء والأعيان الأمير الكبير الحسين بن محمد بن ناصر الحمزي الجوفي وصنوه الأمير المهدي، قال في اللآلي المضيئة: واجتمع إليهم خلق كثير من خولان وحاشد وبكيل ومن غيرهم وقصدوا صعده، فحطوا في خارجها في موضع يسمى رحبان ورتبوا في بيوته بعض الجند وبقوا فيه ليلة أو ليلتين، وكان في صعده أمير من الأتراك يقال له مصطفى ومعه عسكر وخيل كثير وكان من شياطينهم ودهاتهم وشجعانهم، فلما استقر أصحاب الإمام عليه السلام برحبان وتيقن مصطفى أنهم قد عزموا على الحطاط في ذلك المكان، طمع فيهم لعلمهم أن ذلك لم يكن عملاً منهم بالحزم لأن الموضع قريب من صعده صاحب صعده فيه أقوى ولكونه في القاع الجدد، وكان معه من شياطين عسكر الأتراك وفرسانهم كثير وأصحاب الإمام عليه السلام ألفاف مع كثرتهم واختلاف آرائهم، فلما عرف ذلك مصطفى المذكور أمر أصحابه بالخروج وخرج هو بنفسه وجعل من معه كبكبة واحدة فحملوا على أصحاب الإمام عليه السلام حملة واحدة، ولقيهم أصحاب

الإمام فناوشوهم شيئاً من قتال وقُتل من الفريقين جماعة، وقُتل من أصحاب الإمام عليه السلام الأمير مهدي بن أحمد بن ناصر الحمزي وغيره، وانهزم الباقون وتعلقوا بالجبال، وانحصر من كان من أصحاب الإمام عليه السلام في البيوت فيها وحط عليهم الأتراك إلى أن آل الأمر أن خرجوا إلى أيدي الأتراك بأمان لم يتم بل قُتلوا جميعاً بعد الأمان، إلا السيد الفاضل العلامة جمال الدين علي بن محمد بن الهادي الجديري فإنهم استبقوه في السجن أياماً ثم قتلوه.

هذه رواية السيد أحمد بن محمد الشرفي في صفة الوقعة.

وفي النبذة المشيرة للسيد مطهر الجرموزي ما لفظه: وصفة الوقعة أن المجاهدين لزموا أعناب رحبان وبعض دورها فخرج أمير العجم فيها المسمى مصطفى وكان من عظمائهم ورؤسائهم وملوكهم فحصل تخاذل فاقتطع منهم نحو من خمسمائة فقتلوا واجتزت رؤوسهم، منهم الشيخ محمد الخياري ومن أصحابه نيف وثمانون نفراً وهزم الباقون، وللأمير الحسين وصنوه في هذه الوقعة أثر عظيم وذكر فخيم فإنهما دافعا عن كثير من المسلمين، ونجا الأمير الحسين بن محمد الحمزي واستشهد صنوه المهدي رحمه الله، وكان فيمن طعن الأمير الحسين الأمير عثمان قلفات المشهور بالفراسة في العجم من كبرائهم وما خاطوا بطنه إلا بالمخيط، وللأمير الحسين في هذه الوقعة أشعار حماسة سمعت بعضها، وأسر السيد الفاضل علي بن محمد الجديري، فعلاه العلج مصطفى بسلاح للعجم يسمونه كلنجاً على شبيه فوس الحجارة الدقيق وله رأس مربوع ويحلونه فيتخذونه سلاحاً حتى شق رأسه رحمة الله عليه وهو بين يديه صابراً محتسباً، ويروى أن هذا الشقي لم يلبث بعده إلا نحو ثمانية أيام وأهلكه الله، وكان في كل ليلة إذا نام يصيح حتى يفزع من حوله وهو يقول: يكفي سيدي جديرة يكفي سيدي جديرة، ويخبر أنه يراه يطعنه كل ليلة، وهذه القضية مشهورة سمعتها من غير واحد في صعده حرسها الله بدوام المشاهد المقدسة، وذكرها السيد عيسى في تأريخه كذلك، والحق ما شهدت به الأعداء انتهى كلام الجرموزي.

وهذه الوقعة كانت في سنة الدعوة القاسمية على صاحبها رضوان الله وسلامه في أحد الجمادين أو شهر رجب سنة ١٠٠٦ ست وألف وقد ذكر السيد محمد زبارة في بعض كتبه أن وقوعها كان في سنة ١٠٠٨ والأول أصح وأظهر وكان جملة من استشهد فيها من أصحاب الإمام نحوا من أربعمائة وقيل غير ذلك.

وفي شرح الدامغة الكبرى للسيد الحسن بن صلاح الداعي عند ذكر المترجم ما لفظه:

وكتب إليّ بعض أولاد المتأخرين ما لفظه: أن جده المذكور كان مبايناً للترك قبل أن يقوم الإمام القاسم بن محمد عليه السلام، فغزاه الترك إلى محله وهو بلده الأصلي الذي يسمى جديره، فقبضوه وحبس في الحصن المسمى بالمفتاح بأرض حيدان، ثم احتال صنوه في إخراجه فخرج، وبعد ذلك قام الإمام القاسم عليه السلام فجمع السيد من خولان قوماً أحاطوا بصعده، فأراهم الأتراك الضعف وأغلقوا أبواب صعده، فنزل جمع خولان في بيوت رحبان، فعند ذلك خرج عليهم الترك من صعده وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، قال: فبقي جدي هذا في دار في غربي رحبان من عُكَابة، فأحرقوا البيت الذي هو فيه فحُرِق إلا المنظرة الذي هو فيها فلم تحرق، فاعتقد فيه خدم الترك وقبضوه

وأدخلوه إلى المنصورة بصعده، وكان من قتله ما كان، فعذب الله التركي الذي قتله وهو مصطفى سبع ليال فمات في الليلة السابعة لا رحمه الله تعالى.

وقد أشار إليه في أبيات منظومة الدامغة فقال:

وللشهيد الجديري قصة عظمت إذ مات بالفتك صبرا غير ذي فشل

فانصف الله ممن قد أضر به في سرعة وأراه الموت في عجل

من مصطفى الترك بيت البغي عمدته فمات وهو يدعو كفى يكفي فلم يقل

وقبر المترجم له مقابل المنصورة عند مشهد وقبر الشيخ الإمام إسحاق بن أحمد بن عبد الباعث وقد وقفت عليه رحمه الله وإيانا والمؤمنين. **قال في شرح الدامغة:** وقبر مصطفى بجنب دائر المنصورة إلى الخارج غرباً، وعليه قبة كبيرة إلى جانبها من جهة الشام بستان كبير وفي جانبه من جهة الغرب قبة فيها قبر الغُريب بضم الغين المعجمة هكذا يسمع في ذكره انتهى.

(رحبان)

وادي رحبان الشهير يقع جهة الجنوب من مدينة صعده بنحو ميل وهي من الضواحي الزراعية ومخارف العنب وإليه جنوبا يقع وادي العبدين. وفي رحبان ووادية يقول أحد الشعراء في القرن الرابع الهجري:

وما القلب بالناسي على كل حالة وإن نزحت دار وبان شسوعها

مسارب رحبان إذا الأرض أزهرت رباها وغصت بالمياة جميعها

وذلك لأن رحبان كان في الزمان الماضي يسيل عليه مياة سد الخانق الشهير قبل هدمه، وفي هذه الأيام قد صار وادي رحبان يضم عدة قرى وهي: بئر الشريفة وبئر الطحم وبئر يعقوب وبئر الجرش وعكابة والصنجا وبير المكراب. وكانت في القرن الحادي عشر وما بعده مخرفا لمدينة صعدة، مثله مثل العشة المتقدم التعريف بها سابقا، وقد يحصل المنافسة بين المخرفين والتفضيل لأحدهما على الآخر من مثل ما ورد في أبيات القاضي العلامة الجليل علي بن الحسين المسوري المتوفى سنة ١٠٣٤ وهي قوله:

سقى الحيا العشة الغناء منهمر ما ماء ورد خدود بالحيا قطرا

فإنها نزهة الأبصار فارع بها سرح البصيرة إما كنت معتذرا

قد أرغمت أنف رحبان بما جمعت من المحاسن حتى ضاق وانكسرا

وفي سنة بنى برحبان ملك اليمن المولى محمد بن الحسن بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد داره المعروفة بدار الفتح وفي ذلك يقول القاضي الحافظ شمس الدين أحمد بن سعد الدين المسوري مؤرخا لبناية تلك الدار بهذه الأبيات:

على اليمن والإيمان كان بناؤها وبالبر والتقوى أنار سناؤها

وللباقيات الصالحات تأسست وللحسن الزاكيات اقتناؤها
وللوصل للأرحام والجود في الورى وإطلاع حق الله منها اعتلاؤها
وللكفل للأيتام فيها وحفظهم وأرملة قد قل عنها عناؤها
وللذكر والقرآن فيها مساجد يلوح لرائيها عليها بهاؤها
فيا رب بلغ ربها كل همة إليك تواليها وفيك عناؤها
وزده من الخيرات في الدين والدنا وأعدد له دارا يدوم بقاؤها
وبارك لنا في عترة قاسمية ينير على السارين منها ضياؤها
وتاريخها قد جاء: هاتا منازل على اليمن والإيمان تم بناؤها

وللمولى محمد بن الحسن محاسن عدة بمدينة صعدة أيام ولايته عليها، منها سمسرة كانت جهة القبلة من جامع الإمام الهادي وغير ذلك وكانت ولايته على صعدة ما بين ١٠٣٦ إلى ١٠٤٨ رحمه الله تعالى وكان المعول أن تفرد له ترجمة في هذا المجموع فالله المستعان.

٧٧ ـ السيد علي بن محمد المنتصر

السيد العلامة جمال الدين علي بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن المنتصر بن سليمان بن علي بن سليمان بن الأمير يحيى بن الأمير أحمد بن علي بن سليمان بن يحيى بن عبد الله بن الإمام يوسف الأصغر بن أحمد بن الإمام يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق.

أحد السادة المدرسين بصعده ومن تلامذته السيد الحسن بن صلاح الداعي صاحب الدامغة الكبرى والصغرى، وقد ذكره السيد مطهر بن محمد الجرموزي في تحفة الأسماع والأبصار عند ذكر أعيان السادة بصعدة في دولة وأيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل فقال: ومنهم السيد الفاضل العالم جمال الدين علي بن محمد بن المنتصر اليوسفي الهادوي كان سيدا فقيهاً محققاً مدرسا انتهى كلامه. ووفاته يوم الأربعاء عاشر شهر صفر سنة ١٠٩٣ ثلاث وتسعين وألف وقبره بأعلى القرضين وقفت عليه ونقلت منه نسبه وتاريخ الوفاة.

٧٨ ـ الفقيه علي بن الهادي القصار

الفقيه المحقق الزاهد العابد جمال الدين علي بن الهادي بن صلاح القصار الصعدي.

أحد علماء المدينة الصعدية أهل الفضل والعرفان قرأ على شيخ المشايخ القاضي أحمد بن يحيى حابس وكان شيخه المذكور يستعين به في البحث واستحضار حواصل وضوابط وتقريرات أثناء تأليفه كتابه في الفروع المسمى التكميل على الأزهار وله تلامذة أخذوا عليه منهم الفقيه محمد بن إبراهيم المتميز. ذكره القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور فقال:

كان من الفضلاء المعتبرين بصعده، المفزوع إليهم للفُتْيا والتحقيق والأدعية، كان كثير العبادة يقطع ليله في

الصلاة، وكان يكتم ذلك عن أهله وخاصته، وكان كما أخبرني مولانا السيد أحمد بن الهادي بن هارون رحمه الله تعالى يحتاج أهله للسليط للسِّراج فيأمرون صنوه أحمد بن الهادي يشتري، فيستنكر ذهاب السليط بسرعة، فيقول الفقيه علي: اشتر لهم يا صنو، ويمنعه من التطويل في المجاراة لأهله، وكان في وقت القراءة ينعس ويهوّم لطول سهره في الليل. وكان أهل صعده يعظمون فقهه كثيراً وهو حري بذلك، وكانت عيشته هنية ليس بالمستكثر من الدنيا وليس بملحف في المطالب مع تجمله ونظافة ثيابه، ونسبه رحمه الله في بني عبد المدان من نجران، وأهل هذا البيت جماعة بصعده حرسها الله تعالى، وتعلق الفقيه في مبادئ أمره بالتجارة، ونزل الجوف وسافر، وسمعت منه شيئاً من أحوال العلامة محمد بن يحيى بهران نقلته في محله انتهى بلفظه.

وذكره السيد مطهر الجرموزي في تحفة الأسماع والأبصار فقال:

كان من عيون العلماء في صعده يعتمده العلماء في ترجيحه وآرائه في العلم، كان صاحب ليل وعبادة خفية قل أن عرفها أحد إلا بعد وفاته، وكان وضاءً جميلا انتهى. وفي اللآلي المضيئة للسيد أحمد بن محمد الشرفي ما لفظه: وفي شهر صفر من سنة ١٠٤٩ تسع وأربعين بعد الألف لنحو ثمان أيام مضت كانت وفاة الفقيه الأفضل الأعلم جمال الدين علي بن هادي بن صلاح الملقب القصار الصعدي رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، وكان من الفضلاء العلماء الأخيار، وذلك بعد رجوعه من سفر الحج، فوصل إلى الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم إلى شهارة قبل وصوله إلى بيته بصعده فبقي عنده أياماً، ثم توجه إلى بيته فوصل إلى الهجر وهو مريض فتوفي فيه انتهى.

٧٩ ـ الفقيه علي بن هادي الشقري

الفقيه الفاضل العارف علي بن هادي الشقري الصعدي اليمني. ذكره السيد المؤرخ مطهر الجرموزي ضمن أعيان العلماء في دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل فقال في نعته:

كان فقيهاً محققاً، وله عبادة ورياضة وعزم في الله عز وجل. قرأ على شيخ الشيوخ في صعده عز الإسلام أحمد بن يحيى بن حابس رحمه الله انتهى. واستطرد ذكره القاضي ابن أبي الرجال في مطلع البدور أثناء ترجمة سابقه العلامة علي بن هادي القصار فقال:

وفي أهل صعده الفقيه علي بن هادي أيضاً وهو الشقري عارف فاضل، قرأ البيان والتذكرة والبحر، وكان صالحاً براً تقياً، وزمانهما واحد إلا أنه تأخر موت علي بن هادي الشقري، وتولى شيئاً من الأعمال لإمامنا المتوكل على الله انتهى. وفي هامش تلك الترجمة جاء بخط شيخي القاضي العلامة عبد الرحمن بن محمد النجم رحمه الله المتوفى سنة ١٤٢٦ ما لفظه: هو علي بن الهادي بن أحمد بن محمد بن سليمان بن غانم بن سليمان بن محمد بن علي بن يحيى بن سليمان بن يحيى الشقري وفاته رحمه الله يوم الأربعاء ١٨ القعدة سنة ١٠٦١ وقبره قبلي مدينة صعده.

٨٠ ـ الشيخ قاسم بن محمد الحطروم

الشيخ الرئيس قاسم بن محمد الحطروم المعروف بالقاسمي هكذا عند الجرموزي، وفي اللآلي الشيخ علم الدين قاسم المعروف بالعدار الصعدي.

كان المذكور شيخ أهل صعده في أيام الإمام القاسم بن محمد وذكرت له أخبار في سيرته عليه السلام وُصِف فيها المترجم بأنه من أهل الفتك والرئاسة وذُكر أن الأمير صفر المتولي صعده من قبل الوزير جعفر باشا صادر الشيخ قاسم بمال وعذبه عليه وأراد قتله ففلت من سجنه وصار إلى الإمام القاسم عليه السلام وبقي عنده في الهجر ببلاد الأهنوم وبسببه جرت مكاتبة بين الإمام القاسم وجعفر باشا فبقي في الهجر حتى انتقض الصلح فتجهز مع السيدين الكاملين محمد بن أحمد بن عز الدين والسيد أحمد بن المهدي لفتح صعده وبلادها المرة الثانية في سنة ١٠٢٢ قال السيد مطهر الجرموزي راويا عن صاحب الترجمة خبر هذا التجهيز ما لفظه:

وأما أخبار شام صعده ونواحيها فأخبرني الشيخ الرئيس قاسم بن محمد الحطروم القاسمي الصعدي أنه لما لجأ إلى الإمام عليه السلام، وبقي عنده في الهجر حتى انتقض الصلح أنه طلع إلى الإمام عليه السلام وكان عند الإمام السيدان الفاضلان عز الدين محمد بن أحمد المؤيدي المعروف بابن حورية، والسيد أحمد بن المهدي في جملة من عند الإمام عليه السلام وما إلى الشام إلتفات للاشتغال باليمن، وكان الأمير صفر قد خرج قبل نقض الصلح لكونه من خاصة جعفر باشا للمسير معه إلى الروم عند وصول إبراهيم باشا كما تقدم، وقد استخلف على صعده أميراً يسمى الأمير حسن، وضم إليه عيوناً من العجم والعرب جنوداً كثيرة، قال الشيخ المذكور: فجمعني والسيدين المكان ومعرفة البلاد فقلت لهما: هلما نعزم الشام ونجاهد فيه وكذا من التحريض على الجهاد وكانا من عيون سادتنا آل المؤيد، ووعدتهما أني آخذ لهما ما يحتاجانه من أصحاب أهل صعده من الهجر، وقد وصلني بعض مالي أيضاً ودخلنا على الإمام جميعاً ورجحنا له ذلك فلم يكد يرضى خوفاً علينا ولئلا نفتح عليه باباً وهو مشغول باليمن، فعاودناه حتى قلنا: لا تمدنا إلا بالكتب والباروت والرصاص، فرجحه وكتب ولاية للسيد محمد بن أحمد بن عز الدين والسيد أحمد عضده وجعلني معهما معيناً، قال: فحصل لنا من شهارة اثني عشر نفراً ونشرنا البيرق وضرب لنا مرفع، وخرج الإمام عليه السلام لوداعنا حتى عاد من أعلى المدرج، وكان في الحبس من ولاة الظلمة ثلاثة، أحدهم جوهر كاشف وفرحات وسالمين، ممن أخذوا من حجة وغيرهم فسألوا الرسم إلى أين هذه الغارة اليسيرة؟ فقالوا: ولاهم الإمام بلاد صعده فضحكوا كثيراً، وقالوا: ولهذا قد رأينا دوائر صعده تعرق وأكثروا من ذلك، فأخبر الرسم الإمام عليه السلام فقال: الخير فيهم إن شاء الله تعالى واستبشر وقال: لحقارتهم عندهم يجعل الله في عملهم الخير والبركة، قال: فلما وصلنا الهجر استدنا ما لا بد منه ثم قصدنا بلاد خولان فأجابنا أكثرهم، وصار إلينا عيون من بلاد خولان وحاصرنا محطة في حيدان فخرج لهم مدد من صعده وأحطوا في ساقين مع عظيم منهم يسمى قرى جمعة، وجعلنا رتباً في الطريق لا يمدونهم، ثم تقدمنا لحرب من في ساقين وإذا بأهل حيدان وهو الآغا المسمى مصطفى وآخر يسمى أحمد وكان من أهل السطوة والتأثير في الشام قد طمعوا في الاتصال بأهل

ساقين، فلاحمناهم، وأقبلت إلينا القبائل في (حمك) قريباً من حصن المفتاح، واتفق حرب ليس بالهزل انجلى على مقتلة فيهم قريباً من ثلاثمائة نفر وأسرناهم جميعاً، وأرسلناهم إلى الإمام عليه السلام وأميرهم، فلما وصل إلى الإمام عليه السلام أرسله إلى الحبس، وقال: قولوا لمن في الحبس من ولاتهم هذا دائر صعده عرق أو كما قال، ثم أقبلت إلينا بعدها سادة الشام، وتفرقنا لحصار صعده المحروسة بالله وأخرجوا خيلاً تدافع عليهم لعلمهم إن ما عندنا من الخيل ما يكافئ خيلهم مع أنه قد انضم إلى السادة خيلاً من أشراف الجوف ورؤساء الشام أيضاً كالشيخ أحمد بن علي كباس فاهتدينا إلى دخول المشهد الخارج من المدينة الذي لصلاة العيدين والقبور متصلة به، فأصبحنا في تلك المواضع فبالنهار تغلبنا الخيل على القاع ولا تقدر أن تركض علينا من القبور، وإذا كان الليل قربنا منهم حتى ننالهم، والأمداد تأتي إلينا من البلاد والسادة في ظهورنا حتى يسر الله سبحانه وهيأ الاتصال في بعضها بالدائر، وابتاع لنا جانب مما يقرب من باب سويدان بأن احتال فيه فلان بن عناش عماراً فصعدنا منه إلى المدينة على خفية، ثم تتابع الناس حتى صرنا في المدينة ونحن أهلها ونعرف المواضع التي تنفعنا وتضرهم، ثم ثرنا في المدينة ونصرنا للإمام عليه السلام ليلاً فالتبس على العجم الموضع ففروا بين أيدينا حتى دخلوا القصر والمنصورة والقتل والنهب فيهم، ثم فتحت الأبواب ودخل السادة وشددنا عليهم الحصار، ثم إن العمار الذي احتال في نقب دائر المدينة احتال في نقب دائر المنصورة حتى أشرف النقب من تحت امرأة من الرهائن وهي تطحن وكانوا نحو ألف نفس، وكان عادتهم لا يبات عندهم إلا الصغار، وأهل الرهائن يتصلوا بهم النهار فقط فبشروها ثم أخرجوا من ذلك السرداب جميع الرهائن، وكان هذا الموضع كالهوة فلا يتمكن أصحاب الإمام من صعوده فيقاتلون منه، وعظم الأمر على المحصورين في قصر مطهر ثم خافوا لا ينقبوا عليهم من تحت الأرض مثلما فعلوا في المنصورة فطلبوا الأمان فأمنوهم وأخرجوهم صاغرين إلى صنعاء فخرج الأمير المذكور ومن معه وشرط لهم السلامة وإخراجهم إلى صنعاء من أي طريق شاءوا وخرجوا ووفينا لهم، هذه رواية الشيخ قاسم القاسمي بالمعنى.

قلت: ولم أضبط تاريخ وفاته رحمه الله تعالى وبيت الحطروم وبيت العدار بكسر العين وفتح الدال لا زال بمدينة صعدة لهم بقية إلى أيامنا هذه.

٨١ ـ السيد محمد بن إبراهيم الرغافي

السيد العلامة الفاضل عز الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن القاسم بن محمد بن الهادي بن إبراهيم بن الأمير المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى الحسني اليحيوي الرغافي. مولده في نحو ٩٣٥ خمس وثلاثين وتسعمائة. كان أحد العلماء المدرسين بهجرة قطابر وعليه أخذ الفقيه العلامة أحمد بن مهدي البهكلي التهامي المتوفى سنة ١٠٣٨ قال صاحب مطلع البدور في ترجمة هذا التلميذ ما لفظه: قرأ في المشاهد اليحيوية ومن شيوخه السيد العلامة محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن القاسم، والسيد محمد بن صلاح بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم رحمهم الله، وله إليهما أبيات شعرية أعاد الله من بركتهم أجمعين، وهي:

أمحمدٌ ومحمد لله من جبلين يحمَى كل مَن بكما

هل عطفة بالوصل تشفي غلتي ويلذ عيشي حيث كنتُ وكنتما
وتعود أعيادي بطيب وصالكم وأردُّ أنف من اعتداني مُرْغما
قد كنتما عيشاً يمد ظلاله ستراً على مثلي ويمطر أنعما
كم عمَّ برُّكما وأيّمُ الله مِن كلفٍ إليه ونال فضلاً منكما
وغدت رياض الناس روضانية بكما تشعشع نورها متبسما
فشربتما كأس الوصال رويّة في حضرة قدسية جمعتكما
ولبستُمَا من عبقري كرامة حلل الرضى لا العبقري المُعْلَما
إن الولاية خلقة مرقومة بكما وعزٌ في سموّكما سما
والهدي تاج للزمان مرصعٌ بجواهر العلم الذي علّمتما
ومتى أعود إلى (قطابرَ) نازلاً بالربع من ذاك الجناب مُسلّما
وأُهِلُّ بالإحرام زائرُ سادةٍ من زار تربتهم أهلَّ وأحرما
هي روضة مزجت بطينة طَيْبَة وسمت فناسبت الحطيم وزمزما
وعراصها غُنْم الغنى ومُنى المنى وخضم بحرٍ في البرية قد طما
وأبلّ خدي بالدموع لفَقْد من بكت الأنام لهم كما بكت السما
قمران بالذكر الجميل تجمّلا وتجلّلا وتسربلا وتعمّما
غوثان إن عرت الخطوب وإن قسا قلب الزمان فما أبرَّ وأرحما
فلذا وذا خُلْقٌ أرقّ من الصَّبا وألذّ من ماء العذيب مع الظما
فعليهما مني السلام ورحمة الرحمن ما صلى الإله عليهما

والمقصود بمحمد الثاني: أمحمد ومحمد في البيت الأول هو السيد العلامة محمد بن صلاح القطابري الآتي ترجمته قريبا. وقد تقدم في ترجمة نجل صاحب الترجمة السيد عبد الوهاب أن وفاة والده رحمه الله في شهر صفر سنة ١٠١٧ عن نيف وثمانين سنة من مولده.

٨٢ ـ الفقيه محمد بن إبراهيم المتميز

تقدمت ترجمته في حرف الألف عند ترجمة والده.

٨٣ ـ السيد الرئيس محمد بن أحمد بن الإمام الحسن

السيد العالم الرئيس الأمير الصدر محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني المؤيدي.

أحد أكابر الأعيان أهل الولايات في القرن الحادي عشر. وهو ثالث ثلاثة في هذا البيت المؤيدي نالوا من الكمال والعلم والرئاسة ما لم يتفق لغيرهم من أهل زمانهم، وهم: السيد أحمد بن المهدي وولده السيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي المتقدم ترجمتهما وهذا السيد المذكور:

ثلاث تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

مولده سنة ١٠٠٩ تسع وألف وقيل ١٠١٤ ونشأ في حجر أبيه السيد أحمد بن الحسن المتوفى سنة ١٠٢٤ المتقدم ترجمته بحرف الألف. وأخذ العلم على علماء عصره وكانت قراءته على مشايخ بصعده وصنعاء وكان كثير المذاكرة ولازم أولاد الإمام القاسم بن محمد وصار كواحد منهم فجمع بين فنون العلم والسياسية الحسنة والرئاسة الصالحة وكان يحب الأدب وأهله وحضرته معمورة بالفضلاء.

وكان في أول شبابه أحد أعيان الرؤساء الذين شاركوا في حصار الأتراك بصنعاء سنة ١٠٣٦ صحبة المولى سلطان الإسلام الحسن بن الإمام القاسم وعمره في تلك الأيام في نيف وعشرين من الأعوام وقد ألزمه الحسن بن الإمام أن يتقدم إلى الروضة ويستقر فيها بمن أضاف إليه من الجنود وأن يحمي تلك الأوطان والحدود. قال أحد أولاد السيد العلامة الرئيس المهدي بن الهادي النوعة يروي ذلك عن أبيه المذكور ما لفظه: وكان في الروضة السيد العلامة محمد بن أحمد بن الإمام الحسن فكابد من الأهوال ما تزول منه الجبال ولاقى من مكابدة الجهاد ما يتصدع منه الأكباد ويرفع منه الفؤاد وصبر صبر أولي العزم وثبت ثبات أولي القوة والحزم وأيامه مشهورة في عدونا لها غرر معروفة وحجول، وكانت تخرج إليه الأتراك في كل يوم فلا يرجعون إلا بعد معركة هائلة، ولا ينفكون إلا وشابيب الدماء سائلة وأنهار الأرواح على متون الصفاح حايلة، وكم رمى بنفسه في مضايق القتال وولج في لجج المعارك الأبطال ولكنها فسحة الآجال.

وقد أجمل التعريف به وترجمته القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في تاريخه فقال:

هو السيد الباسل الشجاع الحليم الفاضل. عين الزمان وفخره، بهجة المحافل صاحب الآراء الثاقبة والمحامد الدثرة الواسعة، نشأ على الصلاح والعلم بعد موت أبيه الرئيس أحمد بن الحسن، وصبر على مشاق الوقت، وقاسى في عنفوان شبابه أموراً صبر لها حتى أفضت به إلى محل من الخير ما يدرك. قرأ بصعدة وصنعاء، وكان كثير المذاكرة، وحضرته معمورة بالفضلاء ومع ذلك يقود المقانب ويشارك في المهمات كأحد أولاد المنصور بالله القاسم بن محمد، وكان لا يعد نفسه إلا منهم ولا يعدونه هم إلا من أجلائهم، وتولى في حصار صنعاء حصرها من الروضة وحمد أثره، ولم يزل مع السيد سيف الإسلام الحسن بن أمير المؤمنين في جميع المشاهد، ثم ولاه العدين وهو إقليم متسع، فحسنت حالته واستقامت حال خلائق معه، وعلا صيته بالعلم والجاه والرئاسة، ثم كان أحد أعيان دولة أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين المنصور بالله، وكان بينه وبين الإمام ود أكيد، وتولى في أيامه مع العدين جهة حيس من تهامة وبندر المخا، وألقت إليه الدنيا أفلاذ كبدها، وعاش حميداً ولم يشتغل بتكليفه، وشرح كافية ابن الحاجب بشرح سماه (تحفة الطالب وزلفة الراغب إلى معرفة كافية ابن الحاجب)، وشرح (الهداية في الفقه) رأيت مجلداً ولم أعرف إلى أي محل بلغ فيه، وله (ديوان شعر) فنونات وإخوانيات وغير ذلك، وكان يحب الأدب وأهله، توفي يوم الأربعاء الثامن عشر من ذي الحجة الحرام سنة اثنتين وستين وألف، وعمره تقريباً من ثلاث وخمسين سنة، بذلك يعرف سنة مولده انتهى بلفظه.

وترجم له السيد المؤرخ مطهر بن محمد الجرموزي عند ذكر أعيان العلماء الرؤساء في دولة الإمام المؤيد بالله

والإمام المتوكل على الله إسماعيل فقال: ومن سادة صعدة المحروسة بالله السيد العالم المجاهد المصابر المرابط ذو العلم الأوفر والجهاد الأكبر محمد بن أحمد بن الإمام الأعظم أمير المؤمنين الحسن بن علي بن داود المؤيدي. كان عالماً كاملاً رئيساً ناهضاً فارساً مقداماً، جمع كثيراً من فنون العلم مع السياسة الحسنة والرئاسة الصالحة، وله مصنفات نافعة في فنون مختلفة، توفي رحمه الله أواخر شهر الحجة الحرام عام اثنين وستين وألف في بندر المخا المعروف، وكان إليه ولايته مع بلاد العدين ومخلاف جعفر، وحُمل إلى مدينة حيس بوصية منه، وكانت ولايتها إليه أيضاً ودفن هنالك، وعلى قبره مشهد مزور مشهور انتهى.

قلت: وقد ذكر صاحب الجوهرة المنيرة أخبار معاصرته للإمام المؤيد محمد بن القاسم وكان صاحب الترجمة ختنه متزوج بإحدى بناته وهي الشريفة أسماء بنت الإمام المؤيد وكانت من الكمال في درجة عالية ولها قراءة حسنة فأنجب منها العقيلة المصونة الأديبة الشاعرة زينب بنت محمد الحسنية المتوفاه بشهارة سنة ١١١٤ القائلة تفضل شهارة على صنعاء برشاقة التورية وحسن التعليل:

يا من يفضل صنعاء غير محتشم على شهارة ذات الفضل عن كمل
شهارة الرأس لا شيء يماثلها في الارتفاع وصنعا الرجل في السفل
أليس صنعاء تحت الضهر من ضلع أما شهارة فوق النحر والمقل

ومن مواقع الصدارة التي نالها المترجم في أيامه ما ذكره صاحب مطلع البدور أنه لما كان الحج الكبير الذي اجتمع فيه أعيان من آل القاسم وغيرهم من جملتهم السيد الرئيس أحمد بن الحسن (يقصد بذلك الإمام المهدي سيل الليل) والسيد عز الإسلام محمد بن الحسين بن القاسم والسيد الأنبل محمد بن أحمد بن القاسم وكان فيهم أعيان من الشيعة كالقاضي أحمد بن سعد الدين في سنة ثلاث وخمسين وألف جعل الإمام المؤيد بالله أمير هؤلاء جميعهم السيد المذكور لكماله وأهليته.

وقد ترجمه المحبي الدمشقي في خلاصة الأثر وذكره أيضاً في نفحة الريحانة، وأورد من شعره قوله:

طرف بتلك اليعملات سباني وجوى بأطباق الفؤاد ذواني
وتعللي بخلت به ريح الصبا وتصبري كرمت به أجفاني
إن الحبيب وقد تناءت داره أغرى فؤاد الصب بالأحزان
لو زارني طيف الكرى متفضلاً بجماله وحديثه لشفاني
أو لو تفضل بالوصال تكرماً أصبحت من قتلاه بالإحسان
يا عاذلي دعني فلست بمرعو عذل العدى ضرب من الهذيان

ومن مديحها:

لولا طلوع الشمس في كبد السما خلناه أشرف من على كيوان

فكأنه السفاح منصور اللوا جاءت صوارمه على مروان
وكأنه الهادي بنور جبينه وكأنني المهدي في إذعاني
وكأن نور جبينه من يوسف فأنا الرشيد به إلى الإيمان
يا أيها المامون عند إلهه والمتبع الإحسان بالإحسان
والحاشر الماحي المؤمل للورى تحت اللوا ذخرا إلى الرحمن
المصطفى الهادي النبي أجل من وطأ الثرى وحباه بالقرآن
الجار والرحم الذي أوصى به رب السما ودعاك للإعلان
فالله فيّ أبا شبير وشبر كي لا أخاف طوارق الحدثان

***

ورأيت في بعض المجاميع ما لفظه: قال القاضي العلامة مهدي بن محمد المهلا ما لفظه: من نظم ناظم الأقران حين تنتشر الفرسان بالطعان مولانا العلم الذي قرر قواعد الاحسان وقلد الأعناق قلائد العقيان ذي الفضائل والمنن والفتكات المشهورة في الشام واليمن بدر الإسلام محمد بن أحمد بن الإمام الحسن أبقى الله ذاته لرفع الحق المبين وكان له خير ناصر وحافظ ومعين قالها في شيخه مولانا بحر العلوم وإمام المنطوق والمفهوم طود الحلم والعلم والكمال شرف الدين الحسن بن أحمد الجلال شيد الله بوجوده مفخر آبائه ولا برحت تتلى في محراب المجد آيات أنبائه قال:

إذا جالت الأفكار في غير مدح من أفاد علوم الآل قلنا لهم مهلا
أمير سرايا العلم والفاضل الذي غدا مثلا لم نلق يوماً له مثلا
تجاوز ما نالته أيدي ضراغم ولم يرض أن يسمى فكان هو الأعلا
فمن رام أن يسمو لإدراك فخره فقد ظن نيل البدر ملتمسا سهلا
أيحسبه الطلاب للمجد طالبا تعالى فإن المجد صار له نعلا
أيسعى لأمر قهقرت دون نيله قروم وأيديه تعين به طفلا
هو الحسن السامي الجلال بن أحمد الـ ـمنتضى على ذا الخلق من عقله عقلا
فيا حسن السباق جلى عليهم جلالك حتى أن فخرهم أجلا
وجلت صفات المجد فيك فأصبحوا وقد فشكلوا طراً وعاينهم ضلا
وخروا على الأذقان إذ ذاك سجّداً وسلم من صلى لديك وقد ذلا

ولم يسجدوا سهواً لجبران فرضهم ولكنهم دارون أن لك الفضلا
فخذها لتلميذ روى مدح شيخه وشرّف أفكارا تجلت بما أملى

وقد ذكر الأبيات المذكورة السيد محمد زبارة في نشر العرف أثناء ترجمة صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم ونسبها إليه في مدح السيد الحسن الجلال وهو من الأوهام وانتقال ذهن لتشابه اسم الأب والجد. ومن شعر المترجم أيضا ما وقفت عليه في بعض السفن الأدبية في مديح المصطفى صلوات الله عليه وآله وهي تدل على بلاغة وإجادة وفصاحة أولها قوله:

عل العذيب بمن نهواه محلول وعل واديه بعد المحل مسبول

وكانت وفاة صاحب الترجمة ببندر المخا في ثامن عشر الحجة الحرام سنة ١٠٦٢ اثنتين وستين وألف وحمل إلى مدينة حيس لوصية منه ودفن هناك بجنب الشيخ المعروف بالخامري.

(أولاده وذريته)

وقد ذكر السيد المؤرخ مطهر الجرموزي في تحفة الأسماع والأبصار سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم بن محمد عليهم السلام أن صاحب الترجمة علق وصيته بالإمام المتوكل على الله إسماعيل فقام بها أتم قيام وأنفذها وكفل أولاده وكان أكثرهم صغارا.

قلت: وفي مشجر أبي علامة أن له من الأولاد خمسة هم: حسن وعلي وإبراهيم وإسماعيل وعبدالله، ورأيت في إحدى بصائر الوقف بصعدة أن من أولاده أيضا أحمد وداود وأختهما زينب وأسماء.

وقد اشتهر من أولاده السيد الحسن بن محمد بن أحمد بن الإمام الحسن وكان من الأعيان الرؤساء في وقته وعاصر أيام صاحب المواهب وتولى له على العدين سنة ١٠٩٨ وكان ساكنا قبل ذلك في العدين وله أموال واسعة هناك، أفاده في بهجة الزمن. وصنوه هو السيد العلامة الأديب علي بن محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المتوفى بصنعاء سنة ١١٠٧ سبع ومائة وألف المترجم له في زهر الكمائم، وولده السيد الأديب محمد بن علي بن محمد المتوفى في أيام صاحب المواهب قبل سنة ١١٣٠ المترجم له في نفحات العنبر، وغيرهما من أولاده وللجميع تراجم في كتاب نشر العرف بنبلاء اليمن بعد الألف، وقد أكتفينا بذكرهم في هذا الموضع والظاهر بقاء ذرية صاحب الترجمة قال في بغية المريد عند ذكر ذرية الإمام الحسن بن علي بن داود: وله ذرية من أحمد بن الحسن سادة أجلاء كملاء وعقبهم الآن في صعدة وصنعاء وذمار والعدين من مخلاف جعفر مشهورين معروفين انتهى بلفظه ومثله ذكر المولى أحمد بن يحيى العجري المتوفى ١٣٥١ عن حاشية في المشجر أن عقبه بالعدين والله أعلم.

٨٤ ـ السيد محمد بن الإمام أحمد بن عز الدين

السيد العلامة الفاضل محمد بن الإمام الهادي أحمد بن عز الدين بن الحسن بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني المؤيدي الفللي.

وهو من علماء هذا البيت المؤيدي الحافل بالعلماء وقفت على أنه قال يروي عنه السيد العلامة الكبير داود

بن الهادي كتاب معتمد الأصول في أحاديث الرسول للعلامة ابن بهران وهو يرويه عن والده الإمام الهادي الذي يرويه عن الفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي الذي يرويه عن المؤلف. قال من ترجم له: كان سيدا جليلا مالكا لأزمة العلوم متقنا في شتى المعارف والفنون وهو الذي جمع فتاوى جده الإمام عز الدين، توفي رحمه الله شهر شعبان سنة ١٠١٣ ثلاث عشرة وألف.

٨٥ ـ السيد محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي

السيد الفاضل العلامة عز الإسلام واسطة عقد السادة الأعلام محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد الحسني المؤيدي الفللي.

وهو الملقب بابن حوريه وقد تقدم لولديه أحمد وإبراهيم ترجمة بحرف الألف، ووالدهما المذكور رحمه الله كان من أكابر السادة وأجلاء أهل وقته المجاهدين مع الإمام القاسم بن محمد ذكره القاضي ابن أبي الرجال استطرادا في مطلع البدور أثناء ترجمة السيد أحمد بن المهدي فقال:

وهو يعني السيد أحمد بن المهدي أحد الذين افتتحوا صعده وكان مناط الأمر بيد السيد العلامة محمد بن أحمد بن عز الدين أحد أفراد وقته علماً وفضلاً، وهو والد الإمام المحقق إبراهيم بن محمد المؤيدي، وكان هذا السيد الجليل من أهل الوفاء والرياسة مقدماً في الفضائل، ولم يرض السيد أحمد بن المهدي أن يلي شيئاً من الأمور مع وجوده وإنما كان تبعاً له، وفتح صعده هذا من العجائب؛ لأنه توجّه السيدان من شهارة وبين يدي السيد محمد مرفع يضرب وليس معه عسكر، فقال الأمير قرى جمعة من أمراء الأتراك وكان محبوساً بشهارة: عرقت دوائر صعده مستهزءاً بهم، فلم يصل السيدان إلى صعده إلا بإمارة كاملة، ودخلوها عنوة من سورها واجتمع بهم شيوخ سحار وكانوا من الكمال بمحل عظيم، ودخلوها في صبيحة واحدة على وجه لا يخطر ببال. ومن عجيب ما اتفق ما أخبرني به شيخي العلامة أحمد بن سعد الدين المسوري قدس الله روحه قال: دخل السادة صعده وقت الفجر، وبلغني الخبر إلى هجرة ابن المكردم ببلاد الأهنوم ذلك الوقت عقيب صلاة الفجر، وامتلأت الأسماع من العامة والخاصة بذلك الخبر، ولم يزل الناس يتحدثون بذلك حتى كاد يظهر لهم أنه لم يأت الخبر من جهة معروفة، فكادوا يتشككون في ذلك، فوصل الخبر وقت العتمة والله أعلم انتهى.

قلت: وقد جمع بين صاحب الترجمة والسيد أحمد بن المهدي في الذكر الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد البهكلي التهامي في قصيدته التي ذكر فيها أعيان السادة بني المؤيد فقال:

واذكر أخا الفضل ومصباح الهدا بدر سماوات العلا محمدا
من صان دين الله حقاً فاغتدا يفخر بين باغضيه والعدا
برأي داعي الحق عالي الجد
لا زال ذخرا وملاذا يرتجى ومن صروف الدهر سترا وحجا

يا رب حقق فيه آمال الرجا لا زال للملهوف كهفا ولجا
يا صادق الوعد اغث بالوعد
وصنوه الشمسي خير تالي في درجات المجد والمعالي
لا برحت نعماء ذي الجلال واصلة إليه بالإفضال
فهو لجيد دهرنا كالعقد
السيد الماجد ذي الفضلين أحمد من جانب كل شين
وجوده الفياض كالبحرين همة تعلو على النسرين
أبا صلاح وسليل المهدي

وذكرهما أيضا وجمع بينهما في الذكر والإشادة حفيدهما السيد الإمام أحمد بن إبراهيم حوريه المؤيدي في قصيدته الرائية المتقدم التنويه بها في حرف الألف أثناء ترجمته فقال:

كذاك رئيسا الآل طرا وها هما لجداي حقاً لا أمين وأهجر
فعز الهدى بر شهيد مجاهد له في جنان الخلد حظ موفر
وكان لداعي الحق سيفاً وناصرا وأنعم به ذاك الإمام المظفر
وشمس الهدى ركن عظيم مؤثل لكل ضعيف بل كريم ومؤثر
وكان لداعي الحق سيفا مؤيدا لدين الهدى جوزي ثواب مكرر

ويقصد بعز الهدى السيد محمد بن أحمد بن عز الدين صاحب الترجمة، وهو جده من قبل أبيه، وقصد بشمس الهدى السيد أحمد بن المهدي وهو جده من قبل الأم، قال بعض الأفاضل: وكان يضرب بهما المثل في وقتهما أعاد الله من بركاتهم.

(فتح صعدة أيام الإمام القاسم)

قلت: واستفتاح صعده المذكور قد تقدم خبره برواية الشيخ قاسم الحطروم في ترجمته بحرف القاف ونورد هنا موجز ما جاء في كتاب اللآلي المضيئة لمزيد الفائدة قال:

لما عاد السيد العلامة عز الدين محمد بن أحمد المؤيدي ومن معه من أقاربه من بلاد عفار إلى مقام الإمام القاسم عليه السلام احتال السيد رحمه الله هو ومن معه أن يتوجهوا إلى جهات صعده ويكون جهادهم فيها لكونها جهتهم، فتأثيرهم فيها أكثر ونفعهم فيها أظهر. فاستحفهم الإمام عليه السلام إلى ذلك بعد علاج كثير وهو كاره، وذلك أنه عليه السلام كان مشغولاً بحرب الأتراك في اليمن، إلا أنه استحيا من الرجوع مما كان وعد به السيد عز الدين من العزم إلى تلك الجهة، وكان الإمام عليه السلام يحاول تأخير ذلك والسيد يلح فيه ويُرغب

الإمام عليه السلام في ذلك، ووعد أنه لا يطلب من الإمام شيئاً إلا البارود والرصاص، وأنه يقوم بأمر العساكر فيما يحتاجون من الجوامك، فأخذ عليه الإمام أن لا يقرر معه أحد إلا من كان من العصيمات فمن بعدهم إلى جهة الشام، وأنه لا يدخل تلك الجهة إلا بعسكر كثير اشفاقاً من الإمام أن يتورط السيد في تلك الجهة ولا يجيبه أحد ويقع في جانبه وهن فيكون ذلك وهناً في الإسلام وتقوية في العدو فكان الأمر كما قال تعالى {فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً} فإن عزم هذا السيد وقع فيه من الخير ما لا يحد مما سنذكر بعضه.

وقد كان الإمام القاسم عليه السلام قبل أن يشرع في الجهاد في الوقت المذكور وهو سنة اثنتين وعشرين وألف سنة أمر إليها الحاج الفاضل الورع الكامل العارف العالم شمس الدين وعين أشياع آل النبي الأمين أحمد بن علي بن دغيش الغشمي رحمه الله تعالى لقبض شيء من الواجبات والنذور، فلما وقع الجهاد وانتقض الصلح أمره الإمام عليه السلام أن يدعو أهل تلك الجهات إلى جهاد الظالمين ومباينتهم، ففعل ما أمره الإمام عليه السلام، وأجابه قبائل بني جماعة أولاً، ودخلوا في طاعة الإمام وبقي الحاج شمس الدين هناك إلى أن توجه لجهات صعده السيد الفاضل العلامة عز الدين محمد بن أحمد بن عز الدين المذكور، واجتمع معه جماعة يسيرة من العسكر بنادقهم نحو الثلاثين، وسار حتى وصل أطراف بلاد حيدان، وقد كان السيد المذكور قبل مسيره من بلاد الأهنوم قدم ابن عمه السيد الفاضل شمس الإسلام ومفخر الآل الكرام أحمد بن المهدي بن محمد بن علي بن الحسين إلى جهة بني جماعة حاثاً للحاج أحمد بن علي دغيش وأهل تلك الجهات على التقدم إلى بلاد خولان للقياه، ولما وصل السيد عز الدين محمد بن أحمد أطراف بلاد حيدان اجتمع إليه من اجتمع من أهل تلك الجهة، وأشاروا عليه بقصد رتبة الأتراك في قرية حيدان المسماة تَوَل فقصدهم إليه، ووقع بينهم وبينه حرب لم يثبت فيه من مع السيد محمد لأنهم لم يكونوا على نظام ولا فيهم من الرؤوساء من يخاف الملامة في الفرار فانهزموا وعاد كل منهم أعني أهل البلاد إلى وطنه، وعاد السيد عز الدين إلى بلاد حيدان المصافية لبلاد البدو هو ومن بقي معه من عسكره، وكان أمير صعده المتولي لجهات صعده وخولان كلها لما علم بوصول السيد تلك الجهة أمر عسكراً من صعده مدداً لمن في قرية تَوَل، فلما وصلوا ساقين كتبوا إلى من في تَوَل أن يصلوا إليهم إلى ساقين بناءً منهم أنهم يجتمعون فيه، وتكون شوكتهم مع الاجتماع أقوى، فسار من في تَوَل منهم قاصدين إلى ساقين. ولما أحس بهم القبائل وبخروجهم من تَوَل قاصدين إلى ساقين تبعهم من كان قريباً منهم، ووقع الصريخ في القبائل فتلاحق القبائل في أثرهم، وبلغ ذلك السيد عز الدين محمد بن أحمد وهو في أطراف بلاد حيدان فتبعهم، فلم يزل القبائل يكثرون ويحربونهم من خلفهم إلى أن وصلوا قريباً من ساقين في موضع يسمى (حمك)، ووافق ذلك وصول السيد شمس الدين أحمد بن المهدي والحاج الفاضل أحمد بن علي بن دغيش بمن اجتمع معهما من قبائل بني جُماعة وغيرهم إلى ذلك الموضع، وجاءوا من قدامهم فمنعوا الأتراك من الاتصال بساقين بعد أن كانوا قريباً منه، وانحاز عسكر الأتراك إلى خراب هنالك، وأحربهم المتقدمون لهم وهم السيد أحمد والحاج أحمد ومن معهم من أمامهم، وأحربهم من لحقهم من خولان من خلفهم وأنزل الله في قلوبهم الرُعب، وحمل عليهم من كل جهته فاستولوا عليهم جميعاً، وقُتِلَ منهم نحو المائتين

والباقون أسرى، إلا أن القبائل أفلتوا من وقع في أيديهم من العسكر لأن أكثرهم كان من أهل تلك الجهة أو ساكن فيها، وأمّا الأتراك فلم ينج منهم أحد بل قُتِلوا عن آخرهم، ثم قصد الجميع من أصحاب الإمام عليه السلام إلى ساقين. وقد كان في خلال ما تقدم جمع الشيخ المجاهد أحمد علي كباس السحاري من قدر عليه من قبائله سحار وغيرهم وقصد بهم من كان في ساقين من عسكر الأتراك الواصلين من صعده فحاصرهم فيه، فلما رأى من في ساقين من عسكر الأتراك ما نزل بأصحابهم أيقنوا بالهلكة فلم يجدوا بداً من تسليم أنفسهم فأُخذوا جميعاً أسرى وقُبِضَ منهم سلاحهم، وأرسل السيد محمد رحمه الله بروؤسائهم من جملتهم العبد المسمى قرا جُمعة وبعض سلاحهم إلى محروس شهارة وأودعوا السجن والحمد لله.

ثم تقدم الشيخ أحمد بن علي كباس والشيخ علم الدين قاسم المعروف بالعدار الصعدي، وكان هذا ممن تصدر في هذا القيام وله فيه أثر لا يجهل، وكان ممن سجنه الأتراك ففلت من سجنهم، فتقدم المذكوران قاصدين صعده، وانضم إليهم جماعة من أشراف الجوف أهل خيل من آل داود، فأراد الأتراك قصدهم لظنهم أن القبائل لا يقدرون على حرب العسكر ولا سيما محاربة أهل الخيل فكان الأمر بالعكس فنصر الله أصحاب الإمام عليهم وهزموهم، وقتلوا رئيساً من رؤسائهم وعادوا صاغرين، ثم أن بعض العمار من أهل صعده فتح فتحاً من بعض نوب الدائر قريباً من باب سويدان، وذلك عن رأي جماعة من أهل صعده، ولما تم ذلك أرسل هذا الفاتح ومن والاه من أهل صعده إلى أصحاب الإمام وأخبروهم بما صنعوا فدخل من هذا الموضع جماعة نحو الأربعمائة، ولما اجتمعوا من داخل المدينة نصروا للإمام وأجابهم أهل صعده بالتنصير وإيقاد النار، فانهزم عسكر الأتراك الذين كانوا عند الأبواب وفي النوب إلى ناحية المنصورة ودار مطهر، وتبعهم أصحاب الإمام وقتلوا منهم من لحقوا، وسلم الله صعده من النهب إلا ما كان من بيوت بعض العسكر الذين لحقوا بالمنصورة، ثم فُتحت الأبواب صبح ذلك اليوم، ودخل أصحاب الإمام كلهم صعده، وانحاز عسكر الأتراك في المنصورة ودار مطهر، ثم أن العمار المذكور أولاً أشار بحفر سرداب إلى موضع كان فيه رهائن مشايخ قبائل تلك الجهة، وكان هذا الموضع بناه الباشا سنان وجعله متصلاً بالمنصورة، وله باب إليها، فجعلوا خلل المشائخ أعني رهائنهم فيه وهم نحو الألف نفس، وهو موضع يهول من رآه واسم هذا الموضع العجما فلما أشار ذلك الرجل بما ذكر فعل ذلك وتهيأ في أقرب مدة مع بعد المكان الذي ابتدوه منه ولما انتهوا إلى داخل الموضع استخرجوا من كان فيه من الناس والأطفال وهم خلق كثير، ولم يمكنهم الإتصال بالمنصورة لمنعها، ولأن هذا المكان إنما هو كالهوة البعيدة القعر لا يدخل إليه إلا من بابه المتصل بالمنصورة فقط، ولما استخرجت الرهائن على الوجه المذكور وخلصت الرهائن من السجن ازداد أصحاب الإمام قوة وتشدداً على المحصورين من الأتراك، وذلك لأن المشائخ الذين كانت رهائنهم في الموضع المذكور كانوا يتهمون من سائر القبائل بالمحاباة للأتراك، فلما خلصت رهائنهم زال ذلك وآيس الأتراك بعد ذلك من الفرج، ثم أخذ أصحاب الإمام في حفر طريق أخرى في قصر مطهر، وبلغ ذلك الأتراك فقطعوا بالهلكة وطلبوا الأمان من أصحاب الإمام ففعلوا لهم ذلك بعد أن استأذنوا الإمام عليه السلام فأذن لهم، وكان موضوع الأمان على أن يخرج

عسكر الأتراك مع أميرهم متولي صعده وجهاتها، ويسيروا صنعاء ويترك لهم جميع ما معهم من سلاح وخيل وأثاث وعدة إلا الحب والبارود والرصاص فيبقى للإمام عليه السلام، وكذلك خمسة زبرطانات تبقي للإمام، فتم الأمر على ذلك، وسلموا المنصورة وقصر مطهر وتجهزوا للعزم بعد أن أخذوا لهم رفقاً من القبائل الذين حوالي صعده والذين تأتي طريقهم عليهم وتواثقوا على تلك المواثيق برأي من الإمام عليه السلام، وكان القبائل حين أعطوا ذلك من أنفسهم مضمرين لضد الوفاء، وقد اجتمع منهم في صعده وحواليها خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى مترقبين أن يقع في الأتراك أي غدر أو سبب ينتهبونهم به، وطلب الأمير المذكور المبادرة بالمسير إلى صنعاء، وقد كان أُشير عليه بالتأخير حتى تتفرق تلك الجموع فأبى، وذلك لما سبق في علم الله من وقوع ما وقع معه من إنتهاب جميع ما كان جمعه في مدة ولايته، وقتل جماعة من العسكر الذين أرادوا أن يعزموا إلى صنعاء وانتهاب الباقين، ولما أراد أصحاب الإمام إخراجه من صعده أخرجوه من باب يفض إلى قصر مطهر بعد أن أغلقوا أبواب المدينة على من فيها من القبائل، وخرج معه الذين كانوا عقدوا له الرفاقة من مشائخ القبائل، وكان قد اجتمع في الطرف من القبائل ضعاف من في صعده فلما توسط رحبان موضعاً قريباً من صعده أوقع القبائل به وبمن معه يقتلون وينتهبون وتفرق أصحابه فأخذهم من أراد كيف شاء، وعاد منهزماً إلى صعده ومعه جماعة من أهل الخيل الذين كانوا يحامون عنه من أراد قتله حتى وصل قصر مطهر فآواه من كان في القصر من أصحاب الإمام.

فلما رأى السيد محمد بن أحمد رحمه الله والرؤساء من أصحاب الإمام جرأة القبائل على ما يحبون فعله وعدم التمكن من منعهم بالقهر لكثرتهم ولكونهم أهل البلاد وردت كتب السيد رحمه الله إلى الإمام يذكر عدم انقياد القبائل له وتمردهم عليه، ويستدعي وصول أحد أولاده ليكون أهيب عند القبائل وأضبط للأمور، لأن القبائل يراعون حق والده ويهابون لأجله جانبه، فأرسل الإمام عليه السلام ولده السيد شرف الإسلام وبهجة الأيام الحسين بن أمير المؤمنين وجعل إليه جماع أمر تلك الجهة، والسيد محمد بن أحمد رحمه الله من جملة أعوانه، فسار ولد الإمام إلى صعده، وسكن بوصوله ثائرة القبائل وانقادوا له واسترجع السيد محمد بن أحمد بعض ما كان فات على الأمير المذكور أولاً مما كان نُهب عليه مثل خيل وغيرها، وتعذر استرجاع الأكثر مما فات لتفرقه في أيدي القبائل، ثم اعتنى السيد في تسيير الأمير المذكور بما أرجع له وجهزه إلى جهة تهامة، فسار إليها أبي عريش سالماً، ثم رجع إلى صنعاء من طريق تهامة.

وكانت مجمل هذه الأحداث في شهور عام ١٠٢٢ اثنتين وعشرين وألف بعد ظهور عزل جعفر باشا وتعيين إبراهيم باشا بدلا عنه فما لبث إبراهيم باشا أن مات بذمار شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة بعد حوالي شهرين من وصوله إلى اليمن فعاد جعفر باشا من زبيد وكان قد تجهز للرحيل فدخل صنعاء وجهز قواته لحرب الإمام واستعاد أكثر ما كان الإمام استولى عليه من البلاد ودخلت قواته إلى صعده في عساكر كثيرة أميرهم الأمير حيدر أكبر أمراء الباشا جعفر فوصلها لعله في أوائل سنة ١٠٢٣ وقد خرج منها الحسين بن الإمام فملكها بدون مشقة وواجه إليه أهل صعده وخضعت صعده تحت يد الأتراك حتى تاريخ فتحها المرة الثالثة للإمام القاسم سنة

١٠٢٦ كما قدمنا استطراده في ترجمة النقيب سعيد المجزبي.

وفي خلال الفتحين المذكورين كانت وفاة صاحب الترجمة رحمه الله شهيدا قتل غيلة وسبب ذلك أن الأتراك دفعوا لمن يقتل السيد الشمسي أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود المتقدم ترجمته بحرف الألف مالا كثيرا فروي أنه قصد إلى قتله بهجرة فلله رجل من بلاد سفيان غيلة في الليل فصادف ذلك السفياني صاحب الترجمة خارجا من عند السيد الشمسي ومعه واحد مساير له فوثب عليه السفياني فطعنه طعنة كانت فيها نفسه وذلك إحدى شهور سنة ١٠٢٤ أربع وعشرين بعد الألف، ودفن بهجرة فلله.

٨٦ ـ السيد محمد بن أحمد المعروف بابن العنز

السيد العلامة المخترع بدر الدين محمد بن أحمد بن عز الدين بن الحسين بن عز الدين بن الحسن بن الإمام الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني اليحيوي المؤيدي.

وهو المعروف على ألسن العامة بابن العنز لأنه أمه ماتت وهو يرضع فعطف الله عليه عنزا كانت تنفرد من الغنم في المرعى وتجري حتى تدخل إليه ثم تتفحج له حتى يمكن الإرتضاع. مولده ببيت الوادي بربيع من أعمال صعده في ثاني ذي القعدة سنة ألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام. ذكر ما تقدم القاضي ابن أبي الرجال في مطلع البدور وانفرد بترجمته فقال في التعريف به:

هو السيد العلامة إمام العباد وسيد الزهاد. كان من عباد الله الصالحين وأهل التقوى والعفة على طريقة أهل الطريقة، كثير الصمت قليل الضحك لم يسمع له قهقهة، وكان في أيام شبيبته يعتزل الناس ويمضي في الجبال والشعاب متخلياً متعبداً ثم يعود إلى مسكنه بربيع ونحوه وكان له أصحاب صالحون يتبركون بخدمته ولقائه ويصفون عنه تمكناً في علم الأسماء وأنه كان يأتي من المسجد فيغلق مكانه على صفة الممازحة سويعة لم يفتح وهو متبسم ولا يعرف الفاتح ولا المغلق ولا يرى، وروي عنه أنه تمكن من الصنعة وأنه استأجر حاجاً لأبيه وأعطاه أجرة من الفضة الخالصة المعدنية، وكانت له فكرة عجيبة في كل شيء وعمل ناظوراً يدرك به البعيد، فأبصر به الناظرون من صعده إلى ربيع أو من ربيع إلى صعده والحكم واحد، وشرح قصيدة الإمام الهادي عز الدين بن الحسن عليه السلام الرائية وفيها معرفة المواقيت، فشرحها السيد وتكلم على مواد نافعة من علم الفلك الإسلامي وما يحققونه في الكسوف غير متعرض للأحكام صانه الله عنها وأعمال الربع المجيب، وحكى بعض الناس أنه صنف كتاباً في الفرائض، وأنا أحسبه يريد هذا الكتاب؛ لأنا مع خلطة السادة لم نعثر على شيء، وأنه رحمه الله صنع البياض بصنعه من نفسه والمداد بصنعة مبتكرة والتأليف من عنده، وأخرجه بعد إكمال أجزائه من صنعته. ووفاته بهجرة فللة مستقر سلفه الكرام في رابع وعشرين من ذي القعدة الحرام سنة ١٠٥٣ ثلاث وخمسين وألف، وقبر في قبة جده العابد العالم جمال الدين عز الدين بن الإمام الحسن إلى جنب السيد الكريم الحسن بن يحيى بن الإمام الحسن إلى جهة اليمن انتهى كلام القاضي بلفظه.

***

وقصيدة الإمام عز الدين بن الحسن عليه السلام الرائية في علم الفلك هو ما وقفت عليها ضمن شرح صاحب الترجمة على القصيدة المذكورة ومطلعها:

اسمع هديت مقالة منظومة فيها فوائد في الحساب غزار
نيسان ثالثه حزيران وثا نيه إذا حققت فهو آيار
هي أشهر للصيف وهي ثلاثة وبها الليالي المظلمات قصار
تموز آب ثم إيلول لها فصل الخريف وغيثه المدرار
تشرين أوله وثانيه وكا نونان ثم شباط ثم آذار
هي للشتاء وللربيع مقالة لا ريب يعروها ولا إنكار
هذه شهور الروم ثم عدادها نظماً وتم بشرحها الإخبار
أما البروج فصيفها حملٌ مع ثور وجوزاء بها الأمطار
سرطان مع أسد وسنبلة لها فصل الخريف فواكه وثمار
وكذلك الميزان يقدم عقرباً والقوس لكن ما لها أوتار
فصل الشتاء فكن له متأهباً بحوائج نظمت لها الأشعار
والجدي ثم الدلو ثم الحوت في فصل الربيع قضت به الأخبار
أما المنازل فاستمع في ذكرها نظماً يروق بدونه الأزهار
للصيف نطح ثم بطن والث ـريا بعد والدبران لا إدبار
زد هقعة مع هنعة وذراعها واسلم فلا قِلٌ ولا إكثار
أما الخريف فنثرة مع طرفها والجبهة احفظ لا تكن تحتار
مع زبرة مع صرفة وكذلك الـ ـعوا السماك لك المهيمن جار
عد للشتا فاعدد الغفر الزبا نا ثم إكليلا عداك العار
قلب كذلك شولة ونعائم مع بلدة حصر ولا إحصار
وإذا الربيع أردت فهْمَ نجومه فله السعود وفالها يختار
وردت لتركيب المضاف لذابح بلع سعود سعده قهار
وكذا الأخبية وعد لمقدم ومؤخر حوت ولا زخار
هذه المنازل كلها قد رتبت ما ثمة إقدام ولا إخار

منها منازل للزيادة كلها عشر وواحدة ولا استمرار
من زبرة أو ينتهي في بلدة حقاً بذلك تشهد الأبصار
ومنازل النقصان يأتي بعدها هي مثلها عددا عدتك النار
من ذابح فاعدد إلى دبرانها قطعاً بذلك تنطق الأسفار
ومنازل ست بقين فإنها للإستواء وذا لها إظهار
من هقعة وتنتهي في جبهة هذا الذي قد حقق النظار
أما الحساب إذا أردت بيانه فاسمع مقالا ليس فيه شجار
اضرب ليالي البين فيما زاد من فوق المئين كما هو المختار
مع غير عام أنت فيه فمهمل لا فيه إيراد ولا إصدار
واضمم إلى ما صار مجتمع به عشرين منها ما عليه غبار
مع خمسة وانظر إلى مجموع ما حصلت عداً ما هو المقدار
إن كان عدة عام شمس كامل فاطرحه واعلم أنها المعيار
أيام أسبوع وأيام ترى للبين فافهم لا عراك عثار
أو كان دون العام فاحسب ما تو فيه فقط واحفظ عداك بوار
وإليه ضم البين والأسبوع ذا الميزان حقا ليس فيه غبار
أو كان فوق العام ألغ العام وال عامين لست إذا فعلت تضار
وانظر إلى ما زاد فافعل مثلما قلناه فيما دون فهو عيار
هذا هو الميزان حقاً واضحاً فيما حكاه وحاكه الأخيار
وأضف إليه ليالي العام الذي هو حاضر طالت لك الأعمار
شهر يتم به وشهر ناقص ما تمّ تخصيصص ولا إيثار
فابسطه وافهم كم يكون مناره من عفرها وأجازك الغفار
وثلاث عشرة كل منزلة وقل عام يراد لصرفه دوّار
وبآخر الأيام منزلة تحل الـ ـشمس منها تسطع الأنوار
والفجر يقدمها لمنزلتين أما قبل منزلتين فلا إسفار

هذه الشرائد فاقتنصها ظافرا تم النظام وتمت الأوطار

وقد كتب الباحث المعاصر خالد الحديدي في مجلة المعرفة بحثا مفيدا عن نظرية عمل الناظور التي اخترع صاحب الترجمة طريقته فيها، وتابعه في ذلك الكاتب يوسف زيدان في مجلة العربي الكويتية العدد ٥٠٩ تحت عنوان: من نظر أولاً ابن العنز أو يانس (يقصد به المكتشف الهولندي للناظور).

(ربيع)

ربيع بضم الراء المهملة وفتح الباء المعجمة الموحدة وسكون الياء ثم العين المهملة بلدة من أعمال سحار في الشمال الشرقي لمدينة صعده تبعد عنها بنحو ١٥ كيلومتر.

٨٧ ـ الفقيه محمد بن أحمد السهيلي

الفقيه الفاضل محمد بن أحمد السهيلي الصعدي.

ذكره السيد المؤرخ مطهر بن محمد الجرموزي عند ذكر فقهاء مدينة صعده في دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم فقال: ومنهم الفقيه الفاضل الأمثل محمد بن أحمد السهيلي من ولد سهيل بن عمرو صاحب صلح الحديبية، قاله القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال وقال فيه: هو من أهل الطريقة الأويسية، ثم قال: من عجائبه إذا قام للصلاة انقبض ظهره كأنه مكسورٌ، وعند تلاوة الفاتحة يرصف كأنه مرتعش من مماسة الثلج انتهى بلفظه.

٨٨ ـ الفقيه محمد بن أحمد الحطروم

الفقيه التقي الزكي الطاهر النقي محمد بن أحمد بن هادي الحطروم. ذكره بهذه النعوت المتقدمة القاضي الحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري ويكفيه هذا الثناء من هذا العالم الجليل فمن شهد له خزيمة فهو حسبه.

كان الفقيه المذكور صاحب الترجمة من تجار أهل صعده أهل اليسار وله اختلاط بالعلماء الأكابر أثناء ترحله وتنقله ما بين البلدان كصنعاء وغيرها لمزاولة تجارته وله محاسن ومآثر باقية منها الوقفية المشهورة بوقفية الحطروم شمالي داير صعده وهي وقفية واسعة الأطراف كانت تسمى بمحجر الأشراف فاشتراها من الأشراف الحمزات آل حميضة وآل حسين في تاريخ شهر رمضان سنة ١٠٧١ وأوقفها وحبسها للرعي لأغنام أهل صعده والتقبير فيها وقد فات عني ما أنقله عن تلك الوقفية فالله المستعان. وفي كتاب بهجة الزمن للسيد المؤرخ يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد في حوادث سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف ما لفظه:

وفيها مات محمد الحطروم الصعدي التاجر فانكشفت تجارته أكثرها معاملة للناس وبيعت بيوته بصنعاء والجراف وقطعت لأهل الدين والمعاملات وكان المذكور له حسنات وصدقاته في حياته ومنها سمسرة وماجل للماء في نقيل عجيب وماجل آخر في العمشية من بلاد سفيان على طريق صعده انتهى بلفظه.

***

٨٩ ـ السيد الرئيس محمد بن صلاح القطابري

السيد الجليل الرئيس العلامة عز الدين محمد بن صلاح بن يحيى بن محمد بن يحيى بن القاسم بن محمد بن الهادي بن إبراهيم بن الأمير المؤيد بن أحمد بن الأمير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى الحسني اليحيوي الملقب القطابري كسلفه.

كان صاحب الترجمة من كملاء السادة في عصره ومن أعيان المجاهدين مع الإمام القاسم بن محمد ومن قبله مع الإمام الحسن بن علي بن داود، وقد ذكره هو ووالده مصنف سيرته، قال السيد يحيى بن الحسين بن القاسم في المستطاب مترجما له: كان هذا السيد من علماء الآل الكبار وفضلائهم الأخيار، عاصر الإمام المنصور بالله ولبى دعوته وناصره وجاهد معه، وتولى بعض بلاد خولان الشام من قبله، وكان البعض الآخر بنظر السيد علي بن إبراهيم المحنكي. وهو الذي وقع الحرب بينه وبين السيد محمد بن عبد الله أبي علامة حتى وقع في أسره.

وذكره السيد مطهر الجرموزي من عيون علماء أهل البيت المعاصرين للإمام القاسم بن محمد فقال:

ومنهم السيد العلامة الكبير محمد بن صلاح القطابري، وكان هذا السيد معروفاً بالعلم الغزير والفضل الشهير، وسمعت عن كثير عن المنصور بالله القاسم عليه السلام أن هذا السيد أهل للإمامة، توفي رحمه الله في عام ثمان عشرة وألف قال: ومنهم صنوه السيد العالم الفصيح الكامل عماد الدين يحيى بن صلاح وكان تلو أخيه معروفاً بالبلاغة والشعر الحسن. وفي مطلع البدور أثناء ترجمته ما لفظه: ومما يحسن نقله ما تساجل به هو والسيدان الكاملان يحيى بن صلاح صنوه والسيد محمد بن عبد الرحمن المؤيدي قال السيد محمد بن صلاح هذا رحمه الله:

وقائلةٍ مالي رأيتك فاركاً ... لقربى أما لي في هواك نصيبُ؟
ومالك ترضى بالبعاد وغربة ... وترغب عني إن ذا لعجيبُ
أما أنا ذات المبسم العذب واللمى ... وساجية الطرف الكحيل عَرُوبُ؟

فقال صنوه السيد عماد الدين:

فقلت وقد أشْكت بقلبي حرارة ... بِمنطقها فالقلب منه كئيبُ
أما وأبي ما غيّر الدهر لوعةً ... فحبك شيء لست عنه أتوبُ
وما مغرم بالماء حرّان صادياً ... يكاد من القيظ الشديد يذوبُ
بأبرح من شوقي إلى طلب العلى ... ولست وبيت الله عنه أثوبُ

وقال محمد بن عبد الرحمن:

دعاني إليها محتد أي محتد ... وإني لداعيه المهيب مجيبُ
على أنني أدعو العلا فيجيبني ... إجابة محبوب دعاه حبيبُ
لي المجد إرثاً من علي وفاطم ... ومن أنجبا في الناس فهو نجيبُ
فإن لم أصن مجدي فما أنا منهما ... ولا لي فيما خلفاه نصيبُ

ويروى أن الآخر أتم أبياته قبل أن يجف مداد الأول انتهى.

وقد ذكر السيد المولى الكبير أحمد بن محمد الشرفي في اللآلي المضيئة قضية أسر صاحب الترجمة وكان متوليا برازح وقصد السيد محمد بن عبد الله الملقب بأبي علامة له وما تعقب ذلك من وقعة المرازم ببلاد خولان في شهر محرم سنة ١٠٠٧ سبع وألف ثم ما تعقبها من وصول السيد محمد بن صلاح والسيد العلامة أحمد بن الحسن المؤيدي مأسورين إلى قراض من بلاد آل أبي الخطاب وسعي قبائل تلك الجهة إلى السيد محمد بن عبد الله في إطلاق السيدين المذكورين فأطلقهما قال السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى بعد نقل تلك الأحداث: ولم يزل السيد محمد بن صلاح القطابري في جهاته القطابرية مدرسا وكان ذا زهد عظيم حتى أنا نسمع أنه كان له في بيته مطحن لنفقته هو وأهله من الحلال ومطحن يطحن عليها قوت المتعلمين والوافدين للعلم من الزكاة حتى توفي رحمه الله تعالى بمحروس قراض في شهر ذي الحجة سنة عشر بعد الألف وقبره في قبة مسطحة في يماني المسجد المنسوب إلى آل يعيش.

وفي كتاب إجازات الحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري بعد رفع نسب صاحب الترجمة ما صورته:

توفي السيد محمد بن صلاح القطابري رحمه الله في العشر الأواخر من ذي الحجة آخر عام ١٠١٦ ست عشرة وألف وتوفي أخوه السيد العلامة يحيى بن صلاح في جمادى عام سبع عشرة وألف وكانا من عيون العترة وأكابرهم، ومحمد من مشاهير أكابر أصحاب الإمامين الأعظمين الناصر لدين الله الحسن بن علي والمنصور بالله القاسم بن محمد سلام الله عليهما ويحيى من نجباء العترة وأدبائهم وكلاهما عالمان متطلعان شهيران جليلان ومن ولد محمد بن صلاح السيد العلامة أحمد بن محمد بن صلاح طول الله عمره أحد العلماء الأفاضل وأعيان الزمان وهو الذي أخبرني بنسبهما وتاريخ وفاتهما وكتبه لي بخطه في رجب عام تسع وأربعين وألف بدرب الأمير في مقام مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله سلام الله عليه.

٩٠ ـ السيد محمد بن صلاح الداعي

تقدمت ترجمة السيد محمد بن صلاح الداعي أثناء ترجمة والده بحرف الصاد.

٩١ ـ السيد محمد بن عبد الرحمن المؤيدي

السيد المقام العلامة العلم عز الدين محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني المؤيدي.

من عيون السادة بني المؤيد وأماثلهم الأعلام الصدور. كان يسكن العشة من أعمال صعده عالماً بليغاً مقولا صدرا، وقد ذكره الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد البهكلي التهامي في قصيدته التي ذكر فيها أعيان السادة آل المؤيد وقد تقدم فيما سبق ذكر أبيات من القصيدة وخص صاحب الترجمة بقوله فيها:

هذا ولم أنس عظيم الأنس عز الهدى والدين زاكي النفس

والد يحيى وأخيه الشمسي وفرع دوحات نماها قدسي

فرد وحيد يا له من فرد
محمد بن عابد الرحمن عين عيون السادة الأعيان
ولجة المعروف والاحسان أربت سجاياه على كيوان
بهمة سامية وجد

وأخبار هذا السيد ومناقبه كثيرة أضاعها عدم التدوين وكان ممدحا بالشعر من قبل أهل وقته ومما وقفت عليه هذه القصيدة التي وجهها إليه السيد العلامة الفصيح يحيى بن صلاح بن يحيى القطابري المتوفى سنة ١٠١٧ ومطلعها:

لولا فراق ذوات الأعين النجل لما أجرت أدمعي كالعارض الهطل
ولا بقيت سمير النجم مكتحلاً بالسهد حتى رماني النجم بالنقل
ولا وقفت على الأطلال أسألها وقوف ذي ضايع يعزى إلى البخل
وكيف ذا وفؤادي في يد رشأ مستأسد لا بأعوان ولا خول

إلى أن يتخلص إلى ذكر صاحب الترجمة فيقول:

يا راحلاً راكباً وجناء يعملة سريعة الوخد والارقال والرمل
كأنها مضرحي خد في خبب أبو فروخ إليهم طالت العقل
عرج على سيد السادات من حسن من فاق أقرانه في العلم والعمل
أعني محمداً المحمود نائله حلو الشمائل والأخلاق عن كمل
خدن المكارم لا ترضى به بدلاً من أين أو كيف ترضى فيه من بدل
والثم ثرى العشة الغناء إذ شرفت بمن ثواها فصارت دارة الحمل
وسر بها في سواد الليل معتسفاً فنفحة الطيب تهديها إلى الحلل
وقل له قول من أصفى مودته في داخل القلب وداً غير منتقل
يا ليت شعري هل أحظى برؤيتكم فلا أفوه بليت بعدها وهل
في مجلس فيه للآداب منتشر مع بنيه مصوناً عن ذوي نغل

ونقلت عن خط سيدي المولى وجيه الإسلام عبد الرحمن بن حسين شايم أبقاه الله ما لفظه: نقلت هذا من خط العلامة داود بن الهادي رحمه الله ونصه:

هذه الرسالة المفيدة ذات المعاني الفريدة أنشاها القاضي العلامة البليغ المصقع الفهامة جمال الملة والدين وعمدة

شيعة أهل البيت المطهرين علي بن الحسين المسوري رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

سلام يفضح الأزهار نوره، وينوب عن النيرين نوره، واكرام يفتر عن درر الكرامة الدائمة ثغوره، ويتقلد أطواق السلامة نحوره، ورضوان تجري سفن النجاة في الدارين بحوره، وتشاد بالفوز فيها قصوره، أخدم بعد تقبيل الأقدام الطاهرة حضرة سيدي الذي ما اجتنى مجتن إلا من ثمرات آدابه الحلوة المطعم، ولا ارتشف صاد أهنا من سلسل علومه الواكفة الديم، ولا تعطرنا بمثل عبير مفاكهته التي استحق لديها المسك أن يعرك ويكتم، عز الآل لا أعدمهم الله ذلك العز الباذخ ، وعلم مجدهم أمتعهم مر الجديدين بذلك العلم الشامخ، فرع الطاهرين من عترة النبي الأمين، وخلف الصالحين من ذرية الأنزع البطين محمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن أحمد بن أمير المؤمنين حرس الله شمس سعوده عن الأفول، وصان حدائق كماله عن المحول، وينهي المملوك إنه إذ استقلت ركائبه عن تلك الساحة الخضراء، أو الحضرة التي لم تزل حقيبة فضائلها بجرا، لبس من الكآبة درعاً سابغة الذيول حقيقة أن تسمى ذات الفضول، محكمة السرد فلو أن لي مثلها من الحديد لعادت السيوف من قراعها ذات فلول، لا سيما وقد اشتملت على صارة التي ليس بها للسلف إمارة، نهارها على كثرة طوارقه أشد ظلمة من الليل، وليلها على ما به من الوحشة طويل الذيل:

فيا لك من ليل كأن نجومه لكل مغار الفتل شدت بيذبل

ويا لله قلبي كم يعذبه النوى، وصبري كم يهزم تجلده الهوى، وسلوي كم لا يزال بيد الأحزان موهون القوى، والحمد لله على كل حال ما هاج بلبال وما قر بال، وقد عفّر المملوك خديه في تلك المشاهد المقدسة، وزار تلك المساجد التي هي على التقوى والرضوان مؤسسة، واستعبر واعتبر واستغاث بمن ضمت تلك القباب الشريفة من ريب الزمان وجأر، واستشفع بهم إلى مولاه في محو ما اثبت في صحيفته ملك السيئات وصدّر، فهم والله القوم لا يشقى بهم جليسهم، وظهرت والحمد لله هنالك علامات القبول، بما حصل من انشراح الصدر وإيذان المدامع بالهطول، وتمم ذلك المقصد الصالح مشاهدة غرة سنا سيدي صارم الدين[1] وارتشاف كؤوس آدابه والتمتع بمباحثته التي لا يتمنى إلا مثلها المحب من أحبابه، أنزل أطال الله أيامه هو ومن لديه إنزال الكرماء، ونزّل المملوك منزلة العظماء، ولم يعتبر المثل اللائق بحال المملوك: أنف في السماء وأست في الماء:

أبى الفضل إلا أن يكون لأهله وحسن الثناء إلا لآل محمد

هذا وقد عقد المملوك ألوية العزم على السفر الميمون، وشد عرى النية على الارتحال الذي هو إن شاء الله بالنجح مقرون، فلسيدي ومن لديه الفضل بإمداد المملوك بمد دعائهم الذي لا يرد، وإعانته بوافد أدعيتهم الذي

---

(1) بخط سيدي عبد الرحمن شايم ما لفظه: يظهر أن المراد بصارم الدين المذكور في الرسالة داود بن الهادي رحمهم الله جميعا وإيانا.

هو إن شاء الله عن أبواب القبول لا يصد، فليس غير الدعاء منكم لنا أرب.

نعم كان المملوك حال عزمه من ذلك المقر العلوي والمقام اليحيوي نظم أبياتا ناطقة بلسان الاعتذار عن تقصير اللبث بتلك الحضرة التي لا تحكي مثل سناء أنوارها الأقمار، ولا يفوح عن مثل شذى نفحاتها الأزهار، فجاءت تلك الأبيات مغبّرة الأرجاء، تمشي من الركة على قدم عوجاء، فهمّ المملوك بستر عوارها ومحو آثارها، ثم إنه ألقى في روعه وطن في سمعه ما أرشد الله تبارك وتعالى إليه، ونبه عز وجل عليه بقوله: {ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله}. فتشجعت نفس المملوك على بعثها إلى ذلك المقام وإن كانت بالاهمال حقيقة، وإصدارها على ما بها من الضلع وإن كانت بالاغفال خليقة، فلسيدي المنة بتحميل تلك المعورة بالقبول لها والاجمال، وإغضاء عين الانتقاد عما اشتملت عليه من النقص والاختلال، هذا وكل من حواه ذلك المقام المحمدي وسما فخاره بالمنصب المؤيدي مخدوم بأفضل السلام ورحمة الله وبركاته بأتم ذلك وأكمله وأعمه واشمله سيدي المولى الفخري شيبة الحمد المنورة وذات المجد المطهرة، وهو مسئول الدعاء والصفح عن ترك مطالعته حفظه الله فلم أدع ذلك إلا إجلالا لا إخلالا، لا برح الجميع في ظل حماية الرب وكفايته وكلايته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهذه القصيدة الفريدة:

هذي رياض تروق القلب والبصرا ... فنزه القلب فيها تبلغ الوطرا

حدائق قيد أحداق فلست ترى ... من جهلها لسواها تصرف النظرا

سلت على جيش همي سيف نضرتها ... فانسل منها لواذا خائفا حذرا

وضاحكتني لما أن نزلت بها ... فكان ذلك منها لي أتم قرا

إذ أطفأت نار كرب عن فؤاد فتى ... لولا المدامع تهمي فوقه استعرا

وراسلتني بأقلام الغصون على ... أوراقها الخضر أن هنيت طيب كرا

وخاطبتني بتغريد الحمائم إن ... قد فزت بالسؤل إذ وفيتها سحرا

وعطرتني بنشر لو يقاس به المـ ... ـسك الذكي لأضحى المسك مفتخرا

وناولتني من أكمامها زهرا ... غضاً يصغر قدراً حسنه الزهرا

وقدمت لي جنياً من فواكهها ... لو ذاقه من براه جسمه لبرا

وأبلغ السؤل أني إذ نزلت بها ... شاهدت ما لعقول الخلق قد بهرا

علماً وحلماً وإحسانا وطيب ثنا ... لولا سناه لبدر التم ما ظهرا

من عصبة من بني الهادي لمجدهم ... بيت على قمة الجوزاء قد عمرا

أساة عي إذا قالوا وإن فعلوا عدمت والله إلا منهم النظرا
ما بين شيخ وكهل فاضل وفتى عما تقهقر عنه الشمس قد سفرا
هذا به نستقيل الله عثرتنا من الخطايا ونستقي به المطرا
وذا يمل علينا كل معجزة من العلوم فيشفينا بما سطرا
وذا إلى المجد يسعى دائبا وإذا ما رام نيل فخار حازه وجرى
أتيتهم فأتيت المجد شامخة أعلامه وأتيت الجود منهمرا
هم شرفوني أدام الله مجدهم وصيروني بما أولوا أرى وأُرى
من بعد إن كان هذا الدهر صيرني بفعله مضمر الأحوال مستترا
والله لولا أطيفال كزغب قطا يرون للبعد عني الموت محتقرا
بهم فؤادي لا يخلو تذكره في كل حين فلولا الصبر لانفطرا
وحق مولى له حق قد اعترفت به البرية من عادى ومن نصرا
ما كنت إلا لديهم عاكفاً ولهم خدناً ومن بحرهم استخرج الدررا
ولا تخذت بروجاً هم أهلتها لي مربعا وهجرت البدو والحضرا
ولارتشفت كؤوس الوصل صافية بقربهم وسقيت الحاسدين صرا
فإن لي بهم وجدا لو احتمل الـ ـصخر الأصم يسيرا منه ما قدرا
لكن دهري لا يهوى مساعدتي فيما أحب فشربي لم يزل كدرا
سقى الحيا العشة الغناء منهمر ما ماء ورد خدود بالحيا قطرا
فإنها نزهة الأبصار فارع بها سرح البصيرة إما كنت معتذرا
قد أرغمت أنف رحبان بما جمعت من المحاسن حتى ضاق وانكسرا
ثم الصلاة على الهادي وعترته الـ ـهداة للخلق ما فوج النسيم سرى

وفي سيرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم المسماة الجوهرة المنيرة قصيدة للسيد البليغ المقول محمد بن عبد الرحمن المؤيدي قالها عند وصول سلطان الإسلام الحسن بن الإمام القاسم بن محمد إلى صعده المحروسة واليا عليها من قبل صنوه الإمام المؤيد بالله وذلك في شهر ربيع سنة ١٠٣٢ أولها قوله:

رايات مجدك يا ذا المجد والجود قد أعلمت عَلَمَيْ نصر وتأييد
وشمس عليك لما أسفرت ذهبت أنوارها بدياجي الغمة السود

الناس أنت وما في الناس مثلك لا وشاهدي كل مسموع ومشهود
إلا بنو قاسم ما فاتهم أحد وكل ما فيه فيهم غير مفقود
منهم إمام عظيم طاب محتده أصلا وفرعا بوصف غير محدود
إذا رأته بنو الزهراء قاطبة قاموا قياماً وحلوا كل معقود
وإن دعاهم إلى الهيجاء ما لبثوا بعد الدعاء ولبى كل من نودي
ومنهم سيدا آل النبي معا شمس الهدى وصفي الدين ذو الجود
بدرا كمال وليثا كل ملحمة بحرا نوال يفوقا كل مورود
والله مانام خصم هم له خصم ولا ينال سوى هم وتسهيد
يا سيدي شرف الإسلام معذرة إن قل يا سيدي جهدي ومجهود
لا خيل عندي أهديها لمقدمكم وهل تجود يد إلا بموجود
لكن لساني ستهدي من مطارفها أسنى رواق على علياء مكدود
أبكار فكر مصونات تهيم بها الأ رواح تهيامها بالغادة الرود
من كل قافية عذراء غانية عن الحلي وترجيع الأغاريد
كمثل أجنحة الطاووس زينها مديح أروع شهم القلب صنديد
حامي الذمار إذا أسد الوغى اخترطت ظبا وصبت عليها نسج داود
عرج به تلق قلب الليث في جسد الأ نسان قد صيغ من مجد ومن جود
ليث إذا اعتقل الخطي منصلتاً في سابغ من لبوس الحرب مسرود
والتاث بيضته كالشمس طالعة تراث قحطان كانت قبل من هود
خرت لصارمه الأعناق خاضعة على الصعيد ولم تهمم بتصعيد
اقول فيه الذي عاينت فيه ولا أعزو إليه فخارا غير مشهود
سل قصر صنعاء وصنعاء عن فتاكته ورأيه وفؤاد غير مفؤدد
ليخبراك بفعل ليس يدركه سوى همام سديد الرأي صنديد
وافى البشير ببشرى وصله فسرى رياه مثل نسيم الورد والعود
واهتز من طرب عطف الصفي به ودب فيه سرور غير معهود

أضاء نورا فجلى كل مدلهم وعم للبشر كل الناس بالجود
هناه بالوصل مجبول الوداد له متين حبل بليف الود مشدود
فلست أحصر ما أولاه من كرم فعلا وقولا عظيما غير معدود
كفاه ربي مكافاة وأيده ولم شملكم من غير تبديد
وهو الجواد الذي إن فاض نائله لم يستو سفن اقتار على الجودي
لا زلتم في سرور دائم خضل ما غرد الطير شجوا فوق أملود
ثم الصلاة على المختار أحمد الـ ـهادي إلى نهج إخلاص وتوحيد
والآل طرا وأهل الحق أجمعهم وأبعثه أسنى مقام منك محمود

انتهت أبيات القصيدة ولا أدري هل القصيدة لصاحب الترجمة أو لحفيده السيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المؤيدي فقد ذكر أنه من أهل العلم ووفاته رجب سنة ١٠٦٩ أما صاحب الترجمة فوفاته شهر محرم سنة ١٠٣٤ أربع وثلاثين وألف وقبره بهجرة فلله في المقبرة التي على يسار الداخل إلى المسجد الأسفل.

٩٢ ـ القاضي محمد بن عبد العزيز بهران

القاضي العلامة محمد بن عبد العزيز بن محمد بن يحيى بهران الصعدي اليمني.

قال القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في ترجمته: من شيوخ أحمد بن يحيى بن سالم الذويد، قرأ عليه العروض وأجاز له ما يجوز له روايته. قال سيدنا شمس الدين أحمد بن سعد الدين المسوري: وكان محمد بن عبد العزيز المذكور ذا أدب ومعرفة انتهى.

٩٣ ـ السيد الأمير محمد بن عبد الله الملقب بأبي علامة

السيد الأمير الكبير عز الدين محمد بن الإمام عبد الله بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني المؤيدي الملقب بأبي علامة. مولده ليلة الأحد خامس شهر القعدة سنة ٩٧٢ اثنتين وسبعين وتسعمائة وأخذ العلم عن والده وعن غيره من المشايخ منهم السيد الحافظ صلاح بن أحمد الوزير وله منه إجازة وعنه القاضي حسن حابس.

ترجمه المولى عبد الله بن الإمام الحسن القاسمي في الجواهر المضيئة فقال:

كان سيداً أميراً كبيراً عالماً متقناً منشئاً فصيحاً بليغاً، له اليد الطولى في معرفة الأنساب والتواريخ، وله في ذلك التحفة العنبرية في شرح أحوال مجددي العترة، وسبب تأليفه لها أنه لما ضاق به الخناق في حصار صنعاء رأى الوصي عليه السلام في النوم فأمره أن يتوسل إلى الله بمجددي أئمة العترة؛ ولما توفى والده ألجأه الحال إلى الإلتجاء إلى الأتراك لما وقع بينه وبين الإمام القاسم وعماله في حياة أبيه من الحروب والمناضلة، وبقى في صنعاء إلى أن افتتحها المؤيد بالله فوفد عليه وأكرمه المؤيد؛ وكان يقول بإمامته دون والده الإمام القاسم. وله أيضاً في الأنساب

روضة الألباب في الأنساب وهو المشجر المشهور إلخ.

قلت: وكتابه التحفة العنبرية في المجددين من أبناء خير البرية من كتب التواريخ الجامعة لسير الأئمة عليهم السلام وقد بناه المترجم له على قصيدة لامية وشرحها ومطلعها:

يا طالباً للنجا في القول والعمل وللسلامة من زيغ ومن زلل
إلزم طريقة أهل البيت متبعاً بني البتول وخير الأوصياء علي
فهم بنو المصطفى نص الرسول به وآل وبنوه في الكتاب تلي
هم خيرة الله خصوا من بريته وحجة الله في التالين والأول
هم باب حطة هم سفن النجاة وبا ب السلم فاتبع هدا أخيارها القلل
هم النجاة لمن يبغي النجاة بهم وعروة الله فالزم عروة الثقل
هم غوث كل لهيف يستغيث بهم عند الشدائد إذ هم عصمة النزل

إلى أن قال آخرها:

يا جاهلا خبر التجديد تهت عن الـ ـطريق والجهل بالجهال في شغل
حاشا الرسول فما في قوله هذر بل قوله الحق إن تجهل به فسل
كل المذاهب ترويه لخيرتها والنص في الآل بالتجديد صار جلي
من أهل بيتي أتى لفظ الحديث به فالنص فيهم بلفظ غير محتمل
قل للجهول ومن في قلبه مرض تنح هذا مقام أنت عنه خلي

إلى آخر أبيات القصيدة. وفي التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية للمولى علامة العصر الأخير مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي في ذكر صاحب الترجمة:

هو الأمير العلامة الخطير الملقب أبا علامة وهو مؤلف التحفة العنبرية في المجددين من سلالة خير البرية، قال: وله المشجر الجامع الحافل المسمى روضة الألباب وتحفة الأحباب وهو من أجل المؤلفات في هذا الباب، ومن اطلع على هذين المؤلفين عرف قوة باعه وسعة اطلاعه، وتطلعه في مجال العلوم، وتضلعه من رحيق سلسبيلها المختوم قال: ومشجره هو المعتمد في اليمن وغيره وهو بقلم أخي المؤلف صلاح بن الإمام وخطه كسلاسل الذهب ولا نظير له فيما أعلم، قال المؤلف فيه ما لفظه: وأنا أبرأ إلى الله ممن ألحق فيه أحداً بغير حقيقة قطعية مشهورة إلى أهل البيت عليهم السلام انتهى بلفظه.

ولصاحب الترجمة ووالده أخبار في سيرة الإمام القاسم بن محمد وغيرها وقد جرت أمور انتهت الحال بحمد الله تعالى إلى المصافاة بين الإمامين وأولادهما والمسامحة والمعافاة كما هي السجايا النبوية والشمائل العلوية قال السيد

العلامة الكبير أحمد بن محمد الشرفي أثناء سيرة الإمام القاسم بن محمد:

وإلى وقت رقم هذه السيرة المباركة وهو مع الأتراك في صنعاء له من الرئاسة اسم الإمارة فقط يعظ على يديه، وقد كان قبل هذه الأمور من أعيان العترة، وكان قد ضرب بسهم في العلوم وافر، واستضاء في نواحي الكمال ببدر سافر ثم لما استولى الإمام على صنعاء في سنة سبع وثلاثين وألف وصل هذا السيد محمد بن عبد الله إلى الإمام المؤيد بالله عليه السلام إلى أقر مع من وصل من أهل صنعاء وآل المؤيد، وأظهر التوبة والندم فأجرى له الإمام ولمن يتعلق به ولجميع من كان له جراية من الأشراف آل المطهر وآل المؤيد وغيرهم كفايتهم، ثم حسنت حال السيد محمد بن عبد الله المذكور وأخلص التوبة والإنابة إلى الله سبحانه، وباع جميع أمواله بصنعاء وانتقل بأهله إلى صعده فبقي فيها حتى مات ليلة الجمعة ثامن[1] شهر الحجة الحرام سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين وألف رحمه الله رحمة الأبرار.

قلت: وكانت وفاته بمدينة صعده وبها دفن في مشهد بني المؤيد بمقبرة القرضين. وقد سبق منا الوعد بإيراد قصيدة الإمام إبراهيم بن محمد المؤيدي في هذا الموضع، وهي مرثية قالها يرثي المترجم ويرثي السيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي ووالده الذين تتابع انتقالهم إلى رحمة الله في شهر واحد مطلعها:

أرى بصري قد زاغ واستعظم الأمرا نعم قد أراه الله آيته الكبرى
تتابع سادات كرام غطارف جحاجحة شم قد استوطنوا القبرا
بدور ليالي المعضلات إذا دجت وفي الليلة الظلماء تفتقد البدرا
أقاموا على الدنيا زماناً فأخصبت وبطن الثرى من حين حلوه قد أثرا
وحلّوا ذرى شم المعالي فالبست بهم حللا تزهو وماست بهم فخرا
فغالهم ريب المنون وألبسوا ثياب الردى حمرا ودامت لهم خضرا
فاول من غالته منهم محمد حليف التقى والجود والعلم والذكرا
رئيس بني الزهراء ودرة تاجهم وأكثرهم زهدا وأرحبهم صدرا
وقفاه شمس الآل أحمد من له محامد جلت أن أحيط بها شعرا
معالٍ لها الجوزاء شدت نطاقها وعن نيلها حارت وقصرت الشعرا
فتى ما فتي بالعلم والجود مشرعاً فأقبلت العلياء إلى سوحه تترى
شجاع جواد عادل فاق خالدا وحاتماً الطائي وأعدل من كسرى
وإن قام في الهيجاء قامت قناتها ولم يطق الأعداء يوماً لها كسرا

---

[1] ( ) الصحيح ليلة الجمعة يوم عرفة من السنة المذكورة (مؤلف).

فكم مد بيضاً مصلتات إلى العدا وكانت سيوف الحق قاصرة بترا
وعززت يا ذا الخطب منا بثالث رأينا هلاك النفس من بعده نزرا
رميت الذي قد كان للناس كلهم صلاحا تصافى قبل أن ينصف العمرا
هجمت الورى فيه وهيجت ما بهم وأحرقت أحشاء واشعلتها جمرا
دهمت الذي حل السماكين رتبة وأنزلته قسرا إلى باطن الغبرا
وأسكنته ضنكا وقد كان علمه وسيب عطاه يملأ البحر والبرا
فتى ملك العليا وفاز بأسرها وكم من سري ما أطاق لها أسرا
هو البحر ما يأتيه حبر مقلد ولا جاهل إلا وقلدهم درا
وأيديه للعاصين نار تليلة وللمعدمين المرملين غدت بحرا
يفيض عليهم تارة من يمينه ويوليهم من بعد عسرهم اليسرا
فيا سادة ماتوا وما مات ذكرهم وما تركوا فينا وأبقوا لنا فخرا
ومأتمهم في الأرض والعرس في السما ونحن نعزيهم وفي الجنة البشرا
تركتم قلوباً قلبت يوم بينكم على نار حزن لا نطيق لها صبرا
وخلفتم العلياء خاوية البنا قد استسلمت للقتل بعدكم صبرا
وبيض المواضي مغمدات عقيبكم وكانت بأيدكم مجردة حمرا
فمن ذا من الأعداء يوماً يعلها وينهل إن كلت مثقفة سمرا
ومن ذاك للجيش العرمرم قائد إذا ثارت الاعداء وناهزت النصرا
ومن لعلوم الآل ينشر طيها ويعلن ما قد سار بين الملا سرا
فيا لائمي عما لقيت من الجوى لقد جئت شيئاً من مرامك لي امرا
أما تكفى الولهان (حسرة ما يرى) منازل من يهوى معطلة قفرا
فآليت لا أوليت نفسي سلوة ولا برحت عيني لفرقتهم عبرا

رحمهم الله تعالى وإيانا والمؤمنين.

٩٤ ـ السيد محمد بن عبد الله أبو علامة

السيد العلامة عز الدين محمد بن عبد الله بن محمد أبي علامة بن الإمام عبد الله بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن المؤيدي الحسني. وهو حفيد السابق ترجمته ذكره القاضي ابن أبي الرجال في مطلع

البدور استطرادا في أثناء ترجمة السيد الصلاحي صلاح بن أحمد بن المهدي فقال:

ومن جملة من كان في حضرته الشريفة السيد الأديب الفاضل الذكي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين. سيد جليل فاضل نبيل حريص على الطاعة مواظب على أنواعها، متواضع حسن الأخلاق يعز نظيره، وهو من أذكى الناس وكان يسميِّه السيد الصلاحي المعري لتوقد فهمه، ويلقبه بالحكيم، ونقل عنه السيد الصلاحي مسائل؛ من ذلك أنه أخبرني قال:

قد كان الصنو الصلاحي رحمه الله أخبرني أن ابن حجر العسقلاني الشافعي ذكر أن الاستثناء في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير آكلي ذبائحهم ولا ناكحي نسائهم) مدرجٌ في قوله: غير؛ فحفظت هذا ورويته عنه، فدارت المسألة بعد موته رحمه الله في حضرة المولى العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم أعاد الله من بركته، فرويت هذا ونسبته إلى من نسبه إليه وهو ابن حجر، فطلب التلخيص فلم يوجد بعد كثرة البحث شيء من ذلك، فافترقنا وفي النفس شيء، فلما كنت في المنام رأيته رضي الله عنه فقال لي: رويت عني كذا وكذا ولم تجده، فلعله توهم فيك متوهم فقلت: نعم فقال: هو في نسخة التلخيص في المحل الفلاني في الصفح الفلاني، وعين المحل، فلما أصبحت وجدته كما قال كأنه أرانيه عياناً. قال: وعلى ذكر هذه الرؤيا أذكر ما أخبرني به السيد عز الدين أيضاً قال: كان بعض الشيوخ من الأعراب أهل التقوى والتمسك بالأمور الجلية من الشرع يحضر محضر الصنو صلاح الدين، فيذكر أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويخبر بأشياء فيرتاب السادة الحاضرون في خبره بل ربما قربوا من التصريح بردِّ ما يحكيه، فجاء يوماً إلى السيد صلاح الدين وقال: يا مولانا قد رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال لي: يا فلان، تَرَدَّدَ الجماعة في خبرك وقولك أنك رأيتني، فقال: نعم يا سيدي، فقال له: اذهب إن شاء الله إلى الولد صلاح بن أحمد، وأخبره بكذا وكذا، وقلْ له: قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمارة صدق هذه الرؤيا أنك رأيته الليلة هذه بصفة كذا وكذا وقال لك كذا وكذا، قال الشيخ: فقد رأيت هذه الرؤيا يا مولاي إن تصح الإمارة صحت رؤياي وإلا لم أعد إلى ذكر شيء. قال السيد صلاح الدين: بلى، والله صدق حديثك وصدقت رؤياك، رأيته صلى الله عليه وآله وسلم هذه الليلة بصفة ما ذكرت انتهى كلامه.

وكان صاحب الترجمة من العلماء الفضلاء وله رواية عن الإمام إبراهيم بن محمد حوريه المؤيدي وله فوائد منقولة وأبحاث محررة في شتى الفنون والمعارف إذ كان واسع الإطلاع على الكتب كثير النقل فيها والتعليق على هوامشها والنسخ لها ورأيت بخطه كتاب البدر الساري في أصول الدين للسيد محمد بن عز الدين المفتي الصنعاني ذكر في آخر تلك النسخة أن الكتاب المذكور له سماع على القاضي العلامة أبي بكر بن يوسف بن راوع في مجالس عديدة آخرها يوم الثلاثاء ثامن شهر القعدة الحرام عام تسع وسبعين وألف في جامع صنعاء. وللمترجم أيضا ملحق على مشجر جده الملقب بأبي علامة السيد محمد بن عبد الله السابق ترجمته قال السيد محمد بن محمد زبارة: تعقبه بإلحاق زيادة فيه جعل علامتها قوله: تمت حفيد.

وفي سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل التي كتبها السيد مطهر الجرموزي أن الإمام المتوكل على الله أرسل صاحب الترجمة إلى سلطان حضرموت والشحر وجهاتها وذلك قبل فتح عدن وأرسل معه من العسكر نحوا من أربعين رجلا من كبار الجند وأمره بإقامة الجمعة في تلك النواحي وأن يضرب المرفع ويظهر الشعار والتأذين بحي علي خير العمل وتم له ذلك وحصل له موقع وعاد بجواب السلطان والإمام حينئذ في محروس ضوران فسلمه إياه. ولم أضبط تاريخ وفاته إلا أني رأيت فيما نقلته إلى دفاتري أنه كان موجودا سنة ١٠٩٤ أربع وتسعين وألف رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

٩٥ ـ الفقيه محمد بن علي اليعقوبي

الفقيه العلامة المحب الزاهد محمد بن علي اليعقوبي السحاري.

كان صاحب الترجمة من رجالات الفضل والمعرفة والتدين الملازمين للأئمة عليهم السلام ذكره السيد المؤرخ مطهر بن محمد الجرموزي في أعيان الطبقة الأولى من أصحاب الإمام القاسم بن محمد فقال: ومنهم الفقيه الزاهد الواعظ العابد بدر الدين محمد بن علي اليعقوبي السحاري كان رحمه الله زاهدا متقشفاً وكان ملازماً سفر الإمام الأعظم الحسن بن علي بن داود سلام الله عليه ورضوانه وحضره ثم الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد سلام الله عليه حتى عجز وكثيرا ما يملي كتب الإمام القاسم عليه السلام ويقصد للقراءة فيها وتوفي رحمه الله في معمرة من جبل الأهنوم في شهر الحجة سنة ١٠٢٨ ثمان وعشرين وألف.

وذكره الجرموزي في موضع آخر فقال: هو الفقيه الزاهد العدل كان من خاصة الإمام الحسن عليه السلام وملازمي مولانا عليه السلام وكان الخازن لبيت المال للإمام الحسن وذكر أنه ممن رافق الإمام القاسم بن محمد في المسير للحج قبل الدعوة الميمونة.

قلت: واطلعت على جواب مسألة تتعلق بإمامة الإمام القاسم حرره المترجم له يدل على قدم ثابتة في العلوم رحمه الله. وأصل المترجم فيما يغلب من وادي علاف غربي مدينة صعده فهو اليعقوبي العلافي السحاري وألت يعقوب من أفخاذ أهل وادي علاف فهم: يعقوبي ومجزبي وكباسي.

٩٦ ـ الفقيه محمد بن علي المهاجر

الفقيه الفاضل العابد العامل محمد بن علي المهاجر.

ذكره السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة فقال ما موجزه: كان فقيهاً فاضلا عابدا تولى للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بلاد رازح بعد وفاة الفقيه محمد بن علي جعفر ووفاته والياً هناك شهر شوال سنة ١٠٩٠ تسعين وألف وقبر فوق مسجد قلعة غمار إلى جهة الشرق.

٩٧ ـ السيد محمد بن علي المنصوري

السيد العلامة محمد بن علي المنصوري من ذرية الإمام الحسن بن بدر الدين صاحب كتاب أنوار اليقين في الدلائل على إمامة أمير المؤمنين. ورأيت في مشجر أبي علامة أنه محمد بن علي بن أحمد بن يحيى بن محمد بن

الحسن بن داود بن علي بن يحيى بن محمد بن علي بن إبراهيم بن الإمام الحسن بن بدر الدين وبقية النسب معروف. ذكر صاحب الترجمة السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة فقال:

كان له معرفة حسنة وسيادة وديانة وأمانة وكان مسكنه هجرة رغافة ثم بيض لوفاته وهي بعد سنة ١٠٧٤. وفي بعض الكتب أن له منظومة سماها تحفة الإخوان وموقظة الوسنان وجواب سؤالات والله أعلم وذريته يلقبون بآل الصمخي.

٩٨ ـ السيد الإمام محمد بن علي الفوطي

السيد الإمام المهدي لدين الله محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن سليمان بن عمر بن عامر بن عاتوب بن المهدي بن عبد الله بن يحيى بن سليمان بن أحمد بن السيد العالم الزاهد إسحاق بن الإمام الداعي إلى الله يوسف بن الإمام المنصور بالله يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني الهادوي المعروف بالحيداني الفوطي.

نشأ بصعده وأخذ العلم عن مشايخ وقته وكان مشهور البركة مستجاب الدعوة وله دعوة أيام الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم فلم يحظ بطائل ثم دعا مرة ثانية أيام صنوه الإمام المتوكل على الله إسماعيل فكان حظه كالمرة الأولى. وقد ترجمه السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى فقال: هو السيد الإمام العالم العامل الزاهد الورع الكامل المهدي لدين الله محمد بن علي المعروف بالحيداني الفوطي. كان إمام زهد وعلم وعمل ولم ينل من الإمامة إلا الاسم فقط إلا أن له وقعة على قلعة غمار برازح بينه وبين نائب الإمام فيها وكان يقول: مرادي أن أحشر من جملة الأئمة، وكان له نذور واسعة وكان لا يبخل بها على أحد حضر مجلس وصول النذر إليه إلخ. وأبيات منظومة الدامغة المشروح عليها هذا الكلام قوله:

كذاك عاصره في حال دعوته ... ومات فيها إمام الزهد والعمل

مضى إماماً ولم ينفك مرتدياً ... ثوب الخلافة اسماً والمقام خلي

وله مصنف في أصول الدين سماه البدر المنير في معرفة الله العلي الكبير وقد طبع في مجلدين. وقد ذكر أحواله وشيء من أخباره صاحب السيرة المؤيدية والسيرة المتوكلية وصاحب بهجة الزمن وصاحب طبق الحلوى، وسوف نوجز منها ما نراه مناسبا وقد ذكروا عنه معتقدات وأحوال الله أعلم بصحتها ونسبتها إليه لقصور السماع عن المعاينة منها أنه كان يقول بجواز قيام إمامين في عصر واحد.

وقد تقدم وذكرنا أن دعوته الأولى كانت أيام الإمام المؤيد بالله وذلك في نحو سنة ١٠٣٤ أربع وثلاثين وألف وحصلت مواجهة بينه وبين نائب الإمام على بلاد رازح وبني جماعة وهو يومئذ السيد أحمد بن المهدي فرده السيد أحمد المذكور بعد علاج شديد، واستمر على دعوته بعد ذلك ولما بلغه خبر وفاة الإمام المؤيد بالله شهر رجب سنة ١٠٥٤ صار إلى صعده المحروسة بالله وبقي في بعض مساجدها، وكان على ولاية صعده المحروسة بالله من

قبل مولانا المؤيد بالله السيد الفاضل شرف الدين الحسن بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود فخاف السيد الحسن أن يحدث منه حدث فعجل في اعتقاله فقيل أن السيد الحسن المذكور لما جيء به إليه توعده وتهدده فدعا عليه الإمام محمد بن علي وكان مستجاب الدعوة فشلت يده وبقيت مشلولة إلى وفاته، وكان مدة بقاءه في الاعتقال حتى وصول السيد أحمد أبو طالب شهر محرم سنة ١٠٥٥ فهرب صاحب الترجمة من السجن وحج في ذات العام وكان طريقه من على بيشة فاجتمع مع ركب قحطان المعروف بالكثرة فأخذ يعاقدهم ويبايعهم على أنهم ينصرونه حتى يظهر أمره في مكة المشرفة فأجابه منهم القليل وانتشر خبره في مكة وبلغ الشريف زيد بن محسن وكان في الحج القاضي العلامة شيخ الإسلام صفي الدين أحمد بن سعد الدين المسوري فأخذته عليه الشفقة وعلى المسلمين وأن يحدث عليهم بسببه مشقة، فأرسل إلى الشريف زيد في أمره فقبض عليه حتى قضى الناس مناسكهم.

وقد شاع خبره في مكة وحضرت أول جمعة بعد أيام التشريق، فاجتمع الأمراء وكل منهم ومن أعوانهم يتوقعون الحادث العظيم وقدموا الخطيب المعتاد وأقاموا حوله بالسيوف مسلولة، ولما فرغ الخطيب قام للطواف واستلام الركن فقام من رعاع الناس من يسلم عليه لاعتقادهم أنه المهدي ثم آخر، ثم قام الأمراء وأصحابهم بالسيوف على أولئك، فحصل في المسجد روعة وفزع كبير، وانخزل أهل اليمن إلى جانب إلى أن سكن الرهج وسلم الله ولطف بعباده.

وفي سنة ١٠٦١ أيام الإمام المتوكل على الله إسماعيل خرج صاحب الترجمة داعيا الناس إلى دعوته ومبايعته وطلع إلى جبل برط ثم نزل منه إلى الجوف ثم إلى بلاد خولان ثم تجاوز إلى بلاد المصعبين بلاد قايفة فقاتله أهل المصعبين ثم عاد وقد نهبت كتبه ورياشه من الثياب والأثاث وانقطع بعد ذلك إلى حاله في بعض مخاليف صعده حتى توفي في الطويلة من جهات وأعمال صعده في ٢٧ شهر شوال سنة ١٠٦٨ ثمان وستين وألف وقبره بها مشهور مزور. ورثاه السيد علي بن محمد بن ناصر الفوطي وهو من نبلاء هذا القرن وقد اكتفينا بذكره هنا لعدم الإطلاع على أخباره بهذه الأبيات:

خطب دهى من أعظم الأهوال أجرى العيون بدمعها المهطال
هدّ القوى في كل ناحية وقد أوهى سماع عقولنا والبال
قد فات من حاز المفاخر والعلا وامتاز بالشرف الرفيع الغالي
بعد العشا في ليلة الأحد ارتقت نفس الولي إلى المحل العالي
دعيت إلى الملك الجليل بأمره في السبع والعشرين من شوال
في عام ألف ثم ستين ازدهت وثمان كان وفاة خير الآل

إلى آخر الأبيات.

قال في شرح الدامغة ما لفظه: وكان قد قبر في شرقي صوح مسجد الطويلة، فبقي قدر سنة أو سبعة أشهر ورأى بعض مجاوريه من الزَّرَعة الصالحين المحبين لأهل البيت عليه السلام في المنام أنه يقول له: يا فلان أنتم قبرتموني في موضع لا يصلح لوجهين منها أنه قرب الماء ومنها أن موضع قبري مسجد مسبل، فقال له: فما القياس، قال: اجعل عليَّ قبة في هذا المحل وخط بعكاز كان في يده ومتى تمت العمارة حفرتم قبراً فيها وأخرجتموني إليه، فانتبه ذلك الرجل ولما أصبح ذهب إلى ذلك الموضع فوجد الخط الذي خطه في الليل بالعكاز على حكمه حسبما رآه ووضعه بيده، ففعل ما أمره ثم أخرج من قبره بعد سبعة أشهر فوجد على حاله لم يتغير قط، وظهر من قبره رائحة الجنة أخبر بذلك من حضر نقله وقبره، هكذا نقلته أنا من خط السيد إبراهيم بن الهادي بن عبدالنبي حطبة والعهدة عليه.

٩٩ ـ القاضي محمد بن علي بن جعفر الزبيدي

القاضي العلامة المحقق محمد بن علي بن جعفر الزبيدي بضم الزاي وفتح الياء وسكون الياء المثناة التحتية ثم الدال نسبة إلى قرية زبيد قرب مدينة حيدان ببلاد خولان وليست إلى زبيد التي إليها نسبة الفارس المشهور صاحب الصمصامة عمرو بن معد الزبيدي.

ترجم له تلميذه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في مطلع البدور وفي غيره فقال:

القاضي الزاهد المجتهد الرئيس. كان عالماً كبيراً وفاضلاً شهيراً، من أهل الهمة السامية والطريقة العالية له في كل مقصد صالح اليد الطولى، وهو المحقق في علم المعقول ودرسه، وما من علم إلا وقد ضرب فيه بسهم وهو مصنف مختصر السيرة وهو أجل من عرفت وأنشد متمثلا:

ولا عيب فيها على حسنها سوى أنها من بنات البلد

توفي ثامن عشر شهر رمضان الكريم سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف، وقبره بجبل رازح، وقبر في قبة بناها إلى جنب القبة التي فيها السادة العلماء بقلعة غمار وأمر أن لا تسقف القبة انتهى.

وفي شرح الدامغة الكبرى ما لفظه: قاضي القضاة علم العلماء تاج الحكماء بدر الدين محمد بن علي بن جعفر الزبيدي من خولان، تولى رازح للمتوكل على الله إسماعيل حتى مات فيه وبه قبره، وعليه قبة عظيمة، وكان عالماً عاملاً مدرساً مهيب الجناب سهل الحجاب، يصلي بالناس الفروض الخمسة، ويقري في فنون العلوم، وكان في الزهادة الغاية والنهاية ويرضى من القوت باليسير، وكان محباً لأهل البيت مقرباً لهم، وكان يعطيهم فضل مصاريفه على حقارتها لمثله، وكان شديد العزيمة على العصاة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لم يزل سجنه مملوءاً ممن يستحق السجن. وكان في حوزته قاضياً القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن صالح الهبل رحمه الله تعالى، وكان من العلماء الأخيار الأبرار، وكان الخازن معه الفقيه الفاضل العابد العامل بدر الدين محمد بن علي المهاجر رحمه الله تعالى انتهى.

١٠٠ ـ الفقيه محمد بن قاسم العبدي

الفقيه الفاضل العلامة محمد بن قاسم العبدي الصعدي والد القاضي العلامة إسماعيل بن محمد العبدي وصنوه القاضي إسحاق مؤلف كتاب الاحتراس الآتي إن شاء الله ترجمتهما في القسم الثاني من هذا الكتاب.

ترجم لوالدهما صاحب الترجمة السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة فقال:

الفقيه الفاضل العلامة الزاهد الورع بدر الدين. كان والياً على الأجبار بصعده وجهاتها وإليه زكاة أهل الهِجَر اليحيوية وجميع واجباتهم وكذلك الأجبار جميعاً من أهل صعده وجهاتها، وكان بنظره الدرسة وطلبة العلم وعليه مدارهم وعلى يديه كيلاتهم وما يقوم بهم، وكان طلبة العلم بصعده كثيرين جداً، وكان لهم كسوة تأتي في السنة من الإمام على الدوام، ولم يزل العلم والعلماء في أيامه في طلب وحال حسن وعمر مسجد الناصر[1] المعروف الآن بمسجد العبدي وبه قبره، وعمر السمسرتين المعروفتين ووقفهما على المسجد، وإليه تُنسبان أعني السمسرتين. وكان الإمام المتوكل على الله إسماعيل عليه السلام يحبه حباً شديداً، وكان إذا وفد على المتوكل خرجت زكوات مكلف المتوكل من أهله وجواريه إلى الفقيه المذكور، ولم يزل قائماً بالمدارس بصعده محيياً لها حتى توفي في شهر ربيع الأول سنة ١٠٨٣ ثلاث وثمانين وألف كما أشار إليه ولده إسماعيل:

موته ثلمة وتاريخه: صار إلى رحمة الإله الجواد

رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين. والعَبْدي نسبة إلى وادي العبدين في الجنوب من مدينة صعده بمسافة ميلين وصاحب الترجمة هو أول من أحيا أهل هذا البيت بالعلم والعمل وستأتي تراجم آل العبدي في مواضعها من أقسام هذا الكتاب.

١٠١ ـ الفقيه محمد بن مهدي الرغافي

الفقيه الأديب اللوذعي محمد بن مهدي الرغافي الصعدي.

كان فقيها أديبا له بلاغة وفصاحة وله خلطة بالسادة بني المؤيد، وقد تقدمت أبيات قصيدته التي هنأ بها السيد الإمام أحمد بن إبراهيم المؤيدي في حرف الألف وله مدائح في الإمام المتوكل على الله إسماعيل وكان معاصرا لأيامه، ذكر ذلك في شرح الدامغة الكبرى ولم أقف من أخباره على غير ما ذكر فاكتفيت بها إلى أن يتم الاطلاع على ما يضاف في هذه الترجمة.

فمن مدائحه في الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد قوله:

سلوا الروض هل هزَّ الورود بروده أم الخل مالت للنسيم برودُه

فهذا عبير عرّفتنا بعرفه مقانُعه بل نحره وعقودُه

كأني به والليل يرخي سدوله وقد شربت كأس النعاس رقودُه

---

[1] ( ) مسجد الناصر: من المساجد المعمورة بصعدة على يمين الداخل من باب اليمن.

وقد هجعت ذات الجناح بغصنها وقد جنَّ من جنح الظلام شديده
سرى ليرى هل نمت عن حفظ عهده وطاب لعيني من كراها ورودُه
فلا وشهيّات الرضاب ورشفها وأزهار وردٍ أنبتتها خدودُه
وعنّاب كفٍ بالسواد معتم وأثمار صدرٍ زانه عنبروده
وصارم لحظٍ نافذ الحدِّ غمده فؤادي ونوم المقلتين طريده
وومضة برقٍ من معاهد شادنٍ أنيس نأى عنا وطال صدوده
لقد أيس النوم الذي طال سكنه بباطن جفني أن يعود عهوده
وكيف يذوق النوم صب غريمه رطيب التثني والدموع شهوده
رشا في ثناياه الرقاق سلافةٌ وفيها من الدر العجيب نضيده
ويسخر بالياقوت والدر ثغرُه ويزهو على سرد اللآلئ سريده
نشا في رياض الحسن غصناً منعماً غذاه من العيش الرغيد رغيده
تميس به في حله التيه والصِّبا نسيمُ هوى يلهو به ويميده
وبعد مضي العشر والخمس مزقت قلوباً بتمزيق القميص نهوده
فمقلته سيفٌ فؤادي غمده ومبسمه برقٌ تشجي رعوده
يروم بهار الخد يفصح إلفه فتدنو بجلباب الظلام جعوده
سنيفٌ رهيف الجسم يؤلمه الصَّبا وحمل قضيب الخيزران يؤدُه
فكيف بذاك الجسم يسكن دائماً فؤادٌ شديد حرُّه ووقيده
فهاك غزال الحي قلبي فإنه لأمرك ذاك الرق حيث تريده
إذاً لم تعاذلني عن السير إن سرت تأم أمير المؤمنين وفوده
إمام الورى إسماعيل من طلعت به على الدين في برج المعالي سعوده
حليف نوالٍ يفضح النيل نيلُه ويخجل هطّال السحائب جوده
يلوذ به اللاجي فيشرق وجهه ويهتزُّ في ماء المروءة عوده
فسله مجاباً ماله ورداءه ينالك فوراً جده وجديده
فما العلم والإيمان إلا لباسه ولا الحق والإحسان إلا عبيده

ولما غدت تزهو به حلل التقى تحلَّى بأطواق المكارم جيده
رقيقٌ لترتيل التلاوة قلبُه طويلٌ إذا جنَّ الظلام سجوده
فأهل مدراة المواهب كفُّه وأصل وجود المكرمات وجوده
فيا طالباً للمجد تبغي سكونه إليك فإن المجد صعب صعوده
فما كل من هزَّ الحسام بضاربٍ ولا كل من لاقى الخميس يذوده
ولا كلُّ من صاد الأرانب في الفضا بغادٍ إلى غيل الهزبر يصيده
فدعه لشخص في الورى عرفت به وفي داره آباؤه وجدوده
قلائدُ أعناق العفاة نوالُه الـ ـعميم وأحجالُ العصاة قيوده
وغاية آمال البرية وعده وتقريب آجال العصاة وعيده
هو الليث حقاً والكتائب غيله إذا زأرت في كل غيلٍ أسوده
له صارم يشتاق في حومة الوغى إلى جذ أعناق العصاة حديدُه
ففي يوم تفريق العطايا سروره ويوم ملاقاة الكتائب عيده
فكل مليك لم يزل منه خيفة بباب أمير المؤمنين بريده
ليأخذ أخبار الإمام وينثني إليه بقول لم يزل يستعيده
وتهتز آفاق البسيطة بالعدا إذا ما بدت أعلامُه وجنوده
ينام وعين النصر لم تألف الكرى به شفقاً والدين قام عموده
وصال به جيش الأرانب آمناً ودارت على غيل الأسود بنوده
فما في النداء إلا السحائب مثله وفي الفضل إلا الأنبياء تسوده
فلا زال عنا فضله وسخاؤه وزال بكف النائبات عنيده
إليك وحيد الدهر وافيت آملاً على أنني في صرف دهري وحيده
أتيت ولي عند الزمان جناية فجُدْ لمصابٍ حاضرون شهوده
فعندك للجاني قيود وثيقةٌ وحاكمُ جودٍ للقصاص يقوده
وإني لتكرير النظام ووعدكم لمنتظر خيراً سريعٌ وفوده
فقد كان لي قلباً صبوراً على النوى فلما تقضى الشهر آن نفوده

فخير صِلات السامحين سريعها وأجود نظم الناظمين مفيده
ودمت بعيش لا يكدر صفوه وذروة مجد لا يزال حسوده
ويا رب سلّم ما همى هاطل الحيَا وما ارّفض في الروض الأنيق برود
على من رقى دار النعيم محبهم وباغضهم في النار يجري صديده
نبي الهدى والآل مَنْ يُرتجى بهم لدفع الظما حوضاً لذيذٌ وروذُه

وله أيضا فيه عليه السلام هذه القصيدة:

خلوا سبيل متيّمٍ بغرامه لا تطنبوا في عذله وملامه
فدعوه يرجو بالتطمع والمنى من ظبي رامة عودةً لمرامه
ورجوع دهرٍ كان باسم ثغره يفتر بالغراء من أيامه
كرِّر حديث الروض يوم خلا به عن رفع برقعه وخفض لثامه

إلى أن يقول:

وبثغره عسلٌ أُشِيب بكوثرٍ يطفي الصدي به لهيب أوامه
ما في المفلج منه عيبٌ شابه إلا عذوبته وحسن نظامه
تروي مساويك الأراك عجائباً عن خمره لِمَ حَلَّ بعد حرامه
نقل العذولُ إليه أن محبَّه ألف المنام وذاك من لوّامه
يا حبذا لو كان يظفر في الدجى بالجمع بين جفونه ومنامه
كلا وهل نام السقيم وجفنه يرنو إليه بسحره وسقامه
جفن يموج به الفتور وإنه لا يتّقى بالترس رمي سهامه
فكأن أسهمه وقلب محبه فقر الفقير وسهم جود إمامه
غوث الأنام أبي عليٍّ خير من قاد العلى في عصره بزمامه
ورقى إلى ذرواته مستوطنا وبنى أساس الدين فوق سنامه
وغدا بأعباء الخلافة قائماً يرضي الإله بعزمه وقيامه
لم تدر أحكام الشريعة هل مضت بيراعه في الطرس أم بحسامه
ماضي العزيمة غاضباً لله في إقدامه إن كان أو إحجامه
لا يُبرم الحلماء نقضاً رامه كلا وأين النقض من إبرامه

وله علوم ينجلي بضيائها مسدول ليل الجهل عن إظلامه
يدعوه أرباب العلوم لكل ما عجزت عن التفسير من إبهامه
فيجيد في تفسيره وبيين في تعبيره ويفيد في إفهامه
وله غِذاء بالتهجد في الدجى يلتذه كشرابه وطعامه
كم من مصلٍ للإله وصائمٍ وجِلٍ وهل كصلاته وصيامه

ومنها:

يا منقذ الملهوف بعد الله لم لا تنصف المظلوم من ظلامه
لي عند هذا الدهر أرشٌ واضحٌ ودماء جرحي في يدي ضرغامه
أنا طالب منه القصاص فَقُدْهُ لي يا من يحب العدل في أحكامه
قل للندى يقتص لي يا من غدا في المجد حرّ الجود من خدّامه
وخذ الخريدة من نظامي غضة شربت من الحسن البديع بجامه
جاءتك تخطر في الثناء وتنثني في برده وتقوده بخطامه
في جيدها عقد النظام مفصلٌ فاقرن تمام صداقها بتمامه
وعليك أقسم بالذي من أجله أدخلت بالتعظيم في إعظامه
مولى الشفاعة واللوا والحوض في يوم الظما والبِرَّ في أرحامه
أن تكشفن بجاهه عن حاجتي بنجاحها فلذاك من إكرامه
وعليك صلى ذو الجلال وآله واختصهم بصلاته وسلامه

وله من جنس هذا النظم قصائد كثيرة منها **قصيدة يرثي** بها الإمام المتوكل إسماعيل وأولها:

ما للجبال مقيمة لم ترحل والأرض ذات تصدّعٍ وتزلزِل؟

ووفاة المترجم له بعد سنة ١٠٩٠ تسعين وألف وقال السيد الحسن بن صلاح الداعي وقد بلغه خبر وفاته رحمه الله تعالى:

يقولون ابن مهدي قد تولى وخل الشعر والدنيا وولا
فقلت لهم عفى الرحمن عنه وأصحبه ولاية من تولى

١٠٢ ـ القاضي محمد بن الهادي بن أبي الرجال

القاضي العلامة الزاهد محمد بن الهادي بن محمد بن علي بن محمد بن سليمان بن أبي الرجال الصعدي المسكن والوفاة. مولده بالخُيس بضم معجمة ثم تحتية ثم مهملة من أعمال مرهبة سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف، وصادف ليلة مولده وفود الإمام القاسم بن محمد إلى البيت الذي ولد فيه فأدخل إلى الإمام وبرّك عليه، فنشأ النشأة الطيبة وأخذ جل كتب الفقه عن السيد العلامة باقر العلم أحمد بن الهادي الديلمي، ورحل معه إلى قطابر وأخذ عنه أخذاً نافعاً، وولع به السيد أحمد، وقرأ على السيد علي بن إبراهيم المحنكي الحيداني في الثلاثين المسألة وفصل المرتضى مشروحاً، ووضع له إجازة.

ذكر جملة ما تقدم مؤلف مطلع البدور ومجمع البحور ثم قال في ترجمته وصفته:

فقيه زاهد حاوي لخلال المحامد متفق على الثناء عليه، أقام بصعده المحروسة وبها مات رضي الله عنه، وكانت أخلاقه نبوية، رؤوفاً بالضعفاء ومؤلفاً للأخيار، وكان الوافد إلى صعده من الجهات اليمنية يقف في بيته حتى يسعى هو رحمه الله في صلاح شأنه، ولا يترك في ليلتي العيدين صدقة عامة للطلبة جميعهم بالجامع المقدس بصعده، ويقول قال لي عمي الفقيه علي بن محمد بن أبي الرجال رحمه الله: لا يُرحم في هاتين الليلتين إلا الغريب؛ لأنه لا أهل له والأسواق مصفدة الأبواب، وكل مشغول بشأنه. وكان مواظباً على جمع الفضلاء ليلة الجمعة على تلاوة القرآن مدارسة، وكان يكرمهم في آخر زمانه رحمه الله، ومع ذلك فهو مقتر العيش، قليل المدد، وطولب بالقضاء في جهات فامتنع، وما أحقه بما كان يقول سيدنا الفقيه العالم محمد بن عيسى شجاع الشقيقي أنه من الأبدال، قال: لأن طاعتهم الصبر، وبما قاله إمام زمانه المؤيد بالله عليه السلام: الفقيه محمد بن الهادي رجل الدنيا والآخرة، وكان له في الفقه يد طولى وسابقة أولى، قال مشائخه للإمام المؤيد بالله: في صعده خزانة من الفقه وهو الفقيه محمد بن الهادي. وكان شيخه السيد أحمد الديلمي رضي الله عنه يقول: ما أتمنى إلا سكون سناع هجرة القاضي جعفر بن أحمد، وأن يكون عندي الفقيه محمد يذاكرني في الفقه. وبالجملة فلو استوعبت خرجت مما أريد، وهو أستاذي رحمه الله في العربية إلا المناهل فقرأ هو عليَّ، وله شعر مقبول.

ومما كتبه إليّ إلى صنعاء المحروسة يوصيني بطريقته في الصبر، وهيهات أن يدرك الضالع شأو الضليع:

تصبّر تلقَ إما رمت أمراً ... قرارُ العين بعد الاصطبار
فسِرْ الصبر مصباحٌ تجلى ... كمثل الليل يتلى بالنهار

وانتقل إلى جوار خالقه الكريم يوم الاثنين السابع من شهر ربيع الأول سنة ١٠٥٣ ثلاث وخمسين وألف، ورثاه جماعة من العلماء وكتب مولانا العلامة صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين أبياتاً على الصخر الذي عند قبره، وممن رثاه مولانا العلامة جمال الدين الهادي بن عبد النبي المعروف بابن حطبة فقال:

يُزَهِد في الدنيا فراق الأفاضل ... وضمُّ علوم تحت صم الجنادل
وقفر الندى عن دار قوم ترحلوا ... فدار القِرى قفرٌ على كل نازل
ألا مبلغ عني أخلاء قد ثووا ... بدار اغتراب راحل بعد راحل

أيا قبر عز الدين واريت شامخاً وغيّبت بحراً لا يسد بساحل
فما لي لا أبكي العلوم وأهلها نجوم سماء آفل بعد آفل

وتبركت بكتابة هذه المرثية ذلك الوقت على ركة الحال فقلت:

يا نفس مات بنو الزمان الأول ومضوا كما مضت الهبوب بمنزل
مات الأكاسرة الذين تعززوا بمعاقل وبكل جيش جحفل
ومضى التبابعة الذين بنوا لهم في كل ريع آية المتأمل
لم نلق بعدهم سوى آثارهم من مورد وردوا ودار قد بلي
بالله إن يوماً مررت بناعط أو دار سحرار الذي عنهم خلي
أو إن مررت ببيت حنبص ضحوة والبوم ناطقة بصوت مذهل
أو بيت بَوْس مرة فقفا كما وقف ابن حِجْر عند دارة جلجل
فسلي الديار عسى يكون بها الذي ينبيك عن حال لها متحوّل
أين القصور وأين كل خريدة غيداء ترفل في المروط وفي
أين الرياض فهذه آثارها غبراء تنبي عن أريض مخضل
أين الكهول اللائي قد حُملوا فهم كالشم للحدثان لم يتزلزل
أين الشباب التائهون بنعمة وغضارة وتدهن وتكحل
فأظن أنك كنتِ عامرة بهم فلما خلوت كبطن مَرْتٍ مجهل
فجوابها: أن مثلما قد قلت لي خضراء حافلة الجوانب ممتلي
لكنه مات النزول منازلي الراتعون الواردون بمنهلي
بينا همُ في غبطة من عيشهم فاجأهم كأس نحيف قد ملي
فمضوا كأنهم سراب قد مضى أو وامض في عين ليل أليل
فلك العزاء بمن مضى في هالك منزهد متورع متبتل
أفنى بطاعة ربه أوقاته حتى دعاه إلى منازله العلي
مذ أبعدت عنه التمائم لم يزل حلفاً لآيات الكتاب المنزل
متفقهاً في دينه بقواعد الآل الكرام سلالة المزمل
حتى غدا في العصر أوحد عصره فكّاك أغلال السؤال المشكل
يملي مقالة شيخه عن شيخه عن أفضل عن أفضل عن أفضل
وإذا سألت عن الدليل، أجاب بالإجماع أو بالدين والنص الجلي
فتمر ساعات النهار عليه في الإملاء ويقطع ليله بتبتل
ما مل قط نهاره أو ليله إذ كلها محروسة لم تهمل
ويود طولهما فليس بقائل يا أيها الليل الطويل ألا انجلي
وإذا أتته ضيوفه في أزمة متعرّضين لمشرب أو مأكل

أومى إلى المدخور هذا طارقٌ أكلتني الآساد إن لم أوكل
وإذا أتى المسكين وهو مقطب من حادث جلل عظيم معضل
حيّاه ثم حباه كل فضيلة حتى يؤوب بوجهه المتهلل
أسفاً عليه وهل يفيد تأسف من كان مثلي بالمصيبة قد بُلِي
ليت القضا لفداه كان مساعدي لقبول روحي فهو شيء ما غلي
أو ليت أن حفيره في مهجتي حتى يكون لمثل ذلك تعللي
لكن يهوّن ذاك موت محمد ووصيه في العالمين معاً علي
وعليه ألف تحية ما كنت من جزع عليه أفور فور المرجل
ولهينه قرب النبي محمد في عيش جنات النعيم الأفضل
ثم الصلاة على النبي وآله ما رنحت قصب البشام بُلْبُل

وفي أثناء ترجمة السيد أحمد بن الهادي بن هارون في مطلع البدور أن المترجم له تولى القضاء بحيدان أيام ولاية السيد المذكور ببلاد خولان ولما توفي في التاريخ المتقدم ولي القضاء بعده الفقيه صديق بن رسام رحمهم الله وإيانا والمؤمنين.

١٠٣ ـ الفقيه محمد بن يحيى الكليبي

الفقيه العلامة محمد بن يحي الكليبي قرأ على السيد العلامة الكبير داود بن الهادي وغيره وهو أحد علماء صعده المدرسين وعليه قرأ بصعده في كتب العربية القاضي المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال وقد ذكره السيد مطهر الجرموزي في سيرة الإمام المتوكل على الله ضمن فقهاء مدينة صعده فقال: ومنهم الفقيه العلامة محمد بن يحي الكليبي. كان متكلماً نحوياً نافذ الفهم، وله سرعة في المناظرة، وكان جنّاح إلى طريق الجارودية انتهى.

١٠٤ ـ السيد محمد بن يحيى مجلي الرغافي

السيد الفاضل الجليل محمد بن يحي بن مجلي بن يحي بن نهشل بن صلاح بن محمد بن داود بن أحمد بن حسن بن المختار بن محمد بن أحمد بن يحي بن يحي وباقي النسب تقدم في عدة مواضع. ذكره السيد علي بن داود ووصفه بالسيد الجليل وقال: وهو سيد أهله وكبيرهم بوطنه رغافة. وكان موجودا على قيد الحياة سنة ١٠٥٣هـ لما جاء في كتاب مطلع البدور أثناء ترجمة القاضي محمد بن الهادي بن أبي الرجال ولفظه:

ويكفيه ما رواه السيد الجليل محمد بن مجلي الرغافي، قال: رأيت وأنا برغافة والفقيه محمد بصعده ليلة موته رحمه الله أن خلائق منهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجتمعون ببستان وإذا بقائل يقول من الحاضرين: هذه الليلة مات الفقيه محمد بن هادي، وأجابه آخر فقال لهم: ذلك أب الأخيار، قال: فأصبحت فسألت عن الفقيه رحمه الله فقالوا: مرض وشفي. قلت: قد انتقل الليلة، وأمرتهم بحفظ الوقت لامتحاني الرؤيا، فلم يلبث أن جاء الخبر بذلك انتهى بلفظه.

١٠٥ ـ السيد المهدي بن الهادي النوعة

السيد العلامة الرئيس الأديب المفضال المهدي بن الهادي بن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن سليمان بن عمر بن عامر بن عاتوب بن المهدي بن عبد الله بن يحيى بن سليمان بن أحمد بن السيد العالم الزاهد إسحاق بن الإمام يوسف الداعي بن الإمام المنصور بالله يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحسني الهادوي اليوسفي الملقب بالنوعة نسبة إلى جبل ببلاد خولان.

وهو مؤلف كتاب (الإقبال تاج أرباب الكمال) في مجلدين كبيرين وهو في التاريخ وأحاديث الفضائل وتراجم محدثي الشيعة، مولده في نيف وتسعين وتسعمائة، ورحل لطلب العلم من عند والده السيد الهادي من بلدة النوعة في حداثة سنه إلى مدينة شهارة وذلك نحو سنة ١٠١٥ أيام استقرار الإمام القاسم بن محمد بها، فأخذ عن الإمام القاسم وعن ولده الإمام المؤيد بالله وعن غيرهما من علماء ذلك المقام، وكان موجودا بحضرة الإمام بشهارة عام ١٠٢٢ وفيها توجه عن أمر الإمام إلى بلاد صعدة مع السيد أحمد بن المهدي المؤيدي، فكانت له مشاركة مع السادة بني المؤيد في فتح صعدة ذلك العام.

وهو بعد ذلك أحد السادة الرؤساء المنطوين تحت إمرة المولى سلطان الإسلام الحسن بن الإمام القاسم فقد اتصل به منذ بداية تولي الحسن بن الإمام صعدة وبلادها عام ١٠٣٢ اثنتين وثلاثين ولازمه في أغلب أيامه وحروبه مع الأتراك ولم يفارقه غالبا إلى أن تم إخراج الأتراك من اليمن نهائيا عام ست وأربعين، فهو من عيون أصحابه أهل العلم والرئاسة والتصنيف، وتولى له في اليمن الأسفل منها ولاية ذي السفال. واستمر على ولايته تلك إلى أواخر الإمام المؤيد بالله ثم رفعه الإمام المتوكل على الله إسماعيل عنها، فرجع إلى صعدة وتولى جبل رازح مدة قريبة، ثم عاد إلى بلدته بخولان عامر مشتغلا بإحياء الأموال التي اكتسبها هناك وفي ذي السفال إلى أن كان التجهيز إلى حضرموت سنة ١٠٦٥ فكان من جملة الداخلين مع المولى أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم، وكانت وفاته بساقين شهر جمادى الأولى سنة ١٠٧٢ هذا هو الأرجح عندي كما في تاريخ وفاته كما في طبق الحلوى وبهجة الزمن وسيأتي لذلك مزيد بيان. وقد غفل عن ترجمة السيد المهدي بن الهادي النوعة القاضي ابن أبي الرجال في المطلع والسيد الإمام في الطبقات، ورأيت السيد الأديب إسماعيل بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد قد ترجم له في كتابه سمط اللآلي فقال:

كان فاضلا أديباً وعالماً أريباً صحب والدنا سيف الإسلام الحسن بن الإمام عادت بركاته مدة وجاهد معه حزب الضلال وبذل جهده وولي بعده لولده سيف الإسلام أحمد بن الحسن بعض أعماله وعدَّ من جملة أعوانه وعماله وامتده عمره إلى هذا الزمان فعرفته وقد أبلى جديده الجديدان وأشاب رأسه الحدثان وله نظم حسن فمن ذلك ما كتبه إلى مولانا الوالد السيد العلامة محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين معاتباً له لأسباب اقتضت ذلك:

وقائلةٍ ما بال هجر أحبة وإشمات أعداء ذوي تمويه

فقلت لها: ما إن لحقد هجرتهم ولا غرني فيهم كلام سفيه

ولكنني ما زلت للحق ناصرا وما زال نصحي للقريب سليه
ورجح بعض الأقربين إهانتي فقلت لنفسي حافظي وعديه
إلى يوم تجزى كل نفس بفعلها ومن كل خير قدّمي تجديه
ويا نفس قولي مثل ما قال بارع وقد غمه تصديق غير وجيه
(ولما رأيت الأمر وعرا سبيله ونام عن التمييز كل نبيه)
(عزفت عن الشعب اليماني ناقتي وقلت لها يا ناق لا ترديه)

وهي طويلة قال: ومن شعره أرجوزة طويلة يذكر فيها شيئاً من سيرة مولانا شرف الإسلام الحسن بن الإمام أعاد الله من بركاته وفيها إشارة إلى السيرة النبوية وجمل من أحوال العترة الزكية أولها:

دع الذهول وانظرن بعبرة كم آية في الكون أي آية
وعبرة في الدهر خلف عبرة تغتال كل ناظر بعبرة

وهي طويلة انتهى كلامه.

قلت: وعلى هذه الأرجوزة تعليق شرح عليها لأحد أولاد صاحب الترجمة، وكان السيد المهدي رحمه الله كثير النظم للأشعار لأغلب ما يتفق له من الأحوال والمقتضيات، وهو نظم ما بين المقبول والحسن، ومن نظمه أيضا أرجوزة سماها (المسكة الذكية في الخلافة المؤيدية والفتوحات الحسنية) في سيرة أمير الجهاد الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ومطلع هذه القصيدة:

من لي بيوم زارني بعلتي وابتر من برد الصفا رحلتي
ولم يراقب خلتي وملتي فطار بي بين اللتيا والتي

وهي طويلة وقد شرحها الشيخ الأديب جمال الدين علي بن محمد بن علي اليوسفي الذماري بشرح سماه الريحانة الطرية في شرح المسكة الذكية إلخ.

ورأيت بقلم بعض العلماء في ترجمته ما لفظه: أديب زمانه وفريد أوانه جمع أنواع الفضائل وذكر الأواخر بالأوائل، وأنشد من رآه كم ترك الأول للآخر، مع جود وكرم ورأي يعرف به من مبادي الأفعال خواتيم الأعمال وتجربة وحنكة وهمة وشهامة وزهد وتقى وكمال وانفراد على الأقران وقد قيلت فيه المدائح من شعراء الزمن بما يفوت حد الإحصاء أو الاستقصاء فمن ذلك ما قال فيه شيخنا درة تاج الشرف وعين أعيان علماء الخلف خاتمة الحفاظ السيد المسند بدر الدين محمد بن عنقا الحسني المكي سنة ١٠٣٧:

يا أيها المهدي نجل الهادي سبط النبي الهاشمي الهادي
يا ابن الشموس الساطعات أولي النهى من عترة الحسنين ري الصادي

أزكى التحية والسلام عليك مع جلسائك الفضلاء زين النادي
هنئت بالعيد السعيد المنتقى عيد الأضاحي سيد الأعياد
بالحج ثم العج والثج ازدهى فحلا به نحر لكل معادي
فانحر وصل به لربك عل أن تحظى بكوثر جدك المتهادي
ونراه أبتر شانئا لك في الورى وتفوز بالاسعاف والإسعاد
ولقد سمعت بوصفك المأثور ما بين الورى حضريهم والبادي
فرأيت اسما عالياً وافى على وفق المسمى فهو طبق مرادي
فاطرب وطب وانعم وابشر بالمنى ومبرة ومسرة ومفادي
والله يجمع بيننا في نعمة غرا وفي عيش رخيم نادي
ويظلنا في ظل أحمد جدنا خير العباد وسيد العباد
صلى عليه ذو الجلال مسلما والآل والأصحاب دون نفاد

فأجاب عليه صاحب الترجمة بقوله:

وافت خريدة سيد الأفراد ثبت الجنان المصقع السجاد
بدر الهداية من ذؤابة هاشم فرع الشماريخ الأولى الأنجاد
تختال في حلل الحرير غريرة تمشي الهوينا عذبة الإنشاد
وردت مهنئة بعيد فضله الـ ـمشهور في الأغوار والأنجاد
لله مرسلها وناظم درها من فارس الإصدار والإيراد
فالله يتحفه سلاما طيباً ويعيده في نعمة وسداد

ومما قيل فيه من المدائح قول الفقيه الأديب أبو القاسم بن عبد الله بن محمد بن عقبة الشظبي حين قدم إليه إلى محروس مدينة ساقين وأنشده إياها في محفل عظيم من أعيان البلاد وحضور جم غفير من الحفاظ والنقاد في شهر شعبان سنة ١٠٤٣:

أبرق سرى من ذي العلا ومن نجد أبان صباباتي وأظهر ما عندي
وحرك صباً هده البين والأسى ويزداد بالأشجان وجدا على وجد
ونكأ فؤادا ذاب من شقة النوى وهيج أشواقي إلى حافظي ودي
أبيت سمير النجم حيران والهاً ودمعي كماء المزن يسكب في خدي

فلولا (اصطباري) أغرقتني مدامعي ولولا دموعي شبت النار في كبدي
فبي ما بيعقوب على فقد يوسف وكل بلى أيوب بعض الذي أبدي
وما زلت أخشى الناس حتى تعلقت يداي بخير الناس بالسيد المهدي
بخير أناس من شماريخ هاشم ومن هو أضحى فيهم واسط العقد
بخير الورى سم العدا وابل الجدا غياث الملا معطي الجزيل بلا عد
فتى كفه كالغيث تهمي شؤونه ثمال اليتامى عصمة لذوي الجهد
فتى هو في المعروف معن وحاتم وفي الحرب يوم الروع عمر بن ذي ود
هو الفارس الضرغام في حومة الوغى إذا اقتحمت أسد الحروب على الأسد
هو العالم النحرير والماجد الذي رقى في سماء المجد شأوا على المجد

إلى آخر أبيات القصيدة.

وفي شرح الدامغة الكبرى للسيد الحسن بن صلاح الداعي مترجما له ما لفظه:

هو السيد العلامة المجاهد المرابط جمال الدين له من المؤلفات الإقبال في فضائل الآل أربعة أجزاء والعقيدة في أصول الدين، وله بناية جامع فوط الجامع العظيم، ومسجد في النَّوْعة مستقره – كذلك عظيم، وله المنقبة العظيمة بساقين من عمارة جامع الإمام الداعي إلى الحق عليه السلام العمارة العجيبة، ووقف له وقفاً وكذلك له أوقاف كثيرة من ماله على مسجد الداعي وغيره من مساجده التي عمرها، وحصرها بأرجوزة وجعلها في لوح من صخر وألصقها بجدار في درجة بيته المعمور في النوعة، وأعطاه الله من الدنيا والأموال ما لا يحد في الجهة الخولانية وغيرها وفي ذي السفال من اليمن، وله هناك أولاد وأولاد أولاد، ودور مشيدة وصوافي مثمرة وأموال مودية، عاش أولاده في السعادة ببركته واكتسبوا ذكراً حميداً بسعايته، وغنم من الترك غنائماً جزيلة وله فيهم وقعات كثيرة، وذكر السيد أحمد الشرفي أنه همَّ بالدعوة والخلاف على الإمام المؤيد بالله، وأنه تاب ورجع انتهى.

قال في هامش الترجمة المذكورة: قلت وإن كان ذلك فلأمور جرت إلى جانبه من أبي طالب أحمد بن الإمام قد اشتهرت وذاعت، حتى أنه قيده وصادره، وللسيد المهدي شعر كثير، وله قصيدة دالية لما وقع معه الحادث من أهل النوعة وهو قتل ضيفه، فاستنهض جميع قبائل خولان وسحار وغيرهم، وذكّرهم فيها ما في المشروع لبني هاشم، وهو شعر بليغ. **قلت**: وقد وقفت على قصيدته الدالية المذكورة وعليها شرح لأحد علماء المخلاف والمسبب لنظمها هو ما جرى بينه من خلاف وشقاق هو والشيخ عيسى بن خطاب من مشائخ الجهوز وقد أشار إلى طرف من ذلك في اللآلي المضيئة.

ورأيت في وثائق الوقف بصيرة في جلد كبير كتبت بخط باهر حررت أواخر شعبان عام ١٠٥٣ ثلاث وخمسين وألف وهذا لفظها: هذه الأرجوزة للسيد العلامة ضياء الإسلام والمسلمين المهدي بن الهادي الهادوي اليوسفي

شرح الله صدره بالتوفيق وعامله باللطف الخفي في ذكر مواضع حرث وقفها على جامعه المعروف بمسجد جرن الحصين في فوط من بلاد خولان يبتغي بذلك ما وعد الله المتصدقين من عباده وأهل البر والإحسان وذكر فيها كل موضع باسمه وعين مصرفه ونقش ذلك في لوح من حجر ليعرف الناظر إليه وقف المسجد على الجملة وتفصيل مصرفه فهو إن شاء الله لا يتغير نسأل الله أن يحرس ذلك باستمرار مناوبة أهل الطاعة ويتفضل بدوامه ودوام العمل به إلى آخر أشراط الساعة وهي قوله:

من بعد حمد الله سردا سرمدا أضعاف ما اغنى وأقنى أبدا
ثم صلاة ربنا بلا انقضا على نبي الله أعنى أحمدا
عدّ الرمال والزنين والحصا وآله ما غاب نجم أو بدى
يقول من يخشى مقام ربه ويرتجي رضاه في يوم الندا
عبيده المهدي نجل الهادي اب ـن السادة الأخيار أعلام الهدى
لما رأيت الدهر دار بالقضا وكل جار ينتهي إلى مدى
وشأنه إلحاقنا بمن مضى كمن يقول ما عدا مما بدا
وليس للإنسان إلا ما سعى في موقف لا يرتضى فيه الفدى
وقفت (تي الشدنة) وقفاً ناجزا و(حيفة السوق) منيباً حامدا[1]
لنشر علم الطهر آل المصطفى بمسجد الحصين فاطلب راشدا
ثم (السوامك الثلاث) وقف من يقرأ كتاب الله يحسن الأدا
و(جلة ومسوحا) لمن سنى ولم يزل مواظباً مجدِّدا
(وحيفة ابن عامر) له معاً فليحذر السؤال عن هذا عدا
ثم (الثلاثة الشطوط في الوِجا) وقف السراج دائماً مؤكدا
وابن السبيل حقه إذا عشا[2] (وعر حويرث) وخلّ من عدا
(وحيفة ابن الفروي) عمارة لجامع وبركة وما بدا
ويسكن العاني بهذه معاً والفرش في بيت الحصين جاهدا
وقفاً صريحاً كل ما ذكرته محبساً مسبلاً مؤبدا

---

[1] ( ) تي الشدنة وحيفة السوق والسوامك إلخ من أعمال مزرعة أفق وجرن الحصين بشامي فوط.
[2] ( ) في نسخة: وللغريب طعمه إذا عشا.

فاجعل إله الخلق من أعان في إحيائه موفقاً مؤيدا
واجعل قرار من سعى في هضمه ناراً تلظى خالدا مخلدا
ورأيه للعدل من ذريتي ومن به في الواجبات يقتدى
أساسه في عام خمسين ازدهى من بعد ألف فابسطن تدعو يدا
وقل تقبل رب وارحم لائذا يرجو النجاة ثم عيشاً أرغدا
وصل أضعافاً على محمد وآله معظماً ممجدا

وكانت وفاة صاحب الترجمة بعد عوده من غزوة فيفا في شهر صفر أو ربيع أول سنة ١٠٧٣ ثلاث وسبعين وألف، هكذا جاء عند المؤرخ السيد مطهر الجرموزي في سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، قال: وكان له في هذه الغزوة خاصة جد واجتهاد قيل أنه جهز خمسين أو مائة رجل من ماله وأنفق عليهم وتوفي عقب ذلك، وفي التحف شرح الزلف ومختصر الطبقات وغيرهما: أن وفاته رحمه الله سنة ١٠٧٢ ودفن في صرحة مسجد الإمام الداعي بساقين وعليه مشهد مزور.

***

قلت: والذي اشتهر من أولاده ولداه علي والحسن وكانا من أهل العلم والفضل والرئاسة، أما علي فترجم له في نشر العرف السيد المؤرخ محمد بن محمد زبارة في المجلد الثاني وذكر أنه تولى في اليمن الأسفل وهناك في الأغلب كانت وفاته سنة ١١٠٨ وستأتي له ترجمة في القسم الثاني، وأما الحسن بن المهدي النوعة فكان أحد المدرسين بمدينة صعده وكان موجودا في سنة ١٠٩٠ وهو من مشايخ الفقيه محمد بن قاسم الخباط، وقد اكتفينا بذكره في هذا الموضع لعدم الاطلاع على أحواله ومشايخه.

(**فايدة تاريخية**) وقد اطلع كاتب هذه الأحرف سامحه الله على كتاب من الكتب المودعة مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، وهو في التاريخ وقد كتب أحدهم على طرته: تاريخ دولة الترك، والذي ظهر من مقدمته بعد المطالعة فيه أن مؤلفه أحد أولاد صاحب الترجمة وأنه في سيرة الإمام القاسم وأولاده وليس في تاريخ الترك إذ يقول في ديباجته ما لفظه: فقد سألني من لا أحيد عما أمر وحتم، ولا أترفع عما وضع ورسم، أن أجمع ما علمته من سيرة مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين القاسم بن محمد بن علي ومن قام داعيا إلى الله من أولاده الأئمة الميامين فبادرت إلى امتثال ما أمر، وزبرت ما برز في ذهني مما حث من أخبارهم وغبر واستندت فيما لم أعاينه إلى رواية والدي السيد العلامة المهدي بن الهادي رحمه الله فإنه ممن شهد معظم المواقف والخطوب ودارت عليه رحا تلك الوقائع والحروب وبذلت جهد المقل وما احتملت قواه ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله الخ كلامه، وقد نقلت من هذا الكتاب بعض الأخبار والفوائد في كتابي هذا والله الموفق، فيحقق أكثر من جامعه ومؤلفه من أولاد السيد المهدي النوعه هل علي أو الحسن. ومما ورد في الكتاب المذكور قوله مؤلفه في سياق ذكر بعض صفات الإمام

المؤيد بالله محمد بن القاسم عليه السلام: وكان يسهر أكثر الليل ليتفقد أحوال المسلمين ويوقر الكبير ويرحم الصغير وكان والدي رحمه الله يسمع عليه كتاب الشفاء للأمير الحسين في سنة اثنتين وخمسين وألف ودخلت إليه مع والدي وسني ثلاث عشر سنة فسأل الوالد عن قراءتي فقال: قد أخذ في النحو فقال: ما إعمال هذين البيتين:

لي خمسة أطفي بهم نار الجحيم الحاطمة
المصطفى والمرتضى وابناهما والفاطمة

فأعملتهما إعمالهما فقال هذين البيتين:

لا عذب الله أمي أنها شربت حب الوصي وأسقتنيه في اللبن
وكان لي والد يهوى أبا حسن وأنني مثله أهوى أبا الحسن

فدعا لي وانصرفت انتهى بلفظه.

(وصية الأبناء)

ومن نظم السيد الهادي النوعة صاحب الترجمة قصيدة سماه (وصية الأبناء) وقفت عليه في لوح من الحجر على منزع البير التي في صرح مسجد الإمام الداعي يحيى بن المحسن بمدينة ساقين وأولها:

سنحت لي وصية الأبناء وبني الأقربين والأصدقاء
بأداء الأركان وقت وجوب وبكسب العلوم حيث الأداء
فبها يرفع الوضيع فيرقى درجات العلى إلى العلياء
وانظروا يا بني كم وضع الجهـ ـل وعقباه من بني العظماء
فاحفظوا عدة العلوم وغوصوا للدراري في بحارها بالذكاء
واحذروا الميل عن علوم بني الطـ ـهر لعلم النواصب الأشقياء
واعرفوا محكمات خير كتاب وأحلوا حلاله بالسواء
وانتهوا عن محارم الله وأنهوا وأشكروه في السراء والضراء
وأجيدوا تلاوة الذكر وارعوا سمعكم كل آية غراء
والجهاد الجهاد فهو سنام الدـ ـين حقاً ومنهج الآباء
واتقوا الله ما استطعتم وكونوا في عديد العدول والعلماء
واقمعوا جمرة الشباب بصوم وخضوع وسنة الأنبياء
واحذروا صولة اللعين وصونوا عرضكم عن علائق السفهاء
واقرئوا الضيف ما وجدتم ولكن دفئوه في الليلة الشهباء

والإمانات والمواعيد فارعوا حقها بالأدا وحسن الثناء
وخروج النساء في الناس عار فستروا بالبيوت عار النساء
واحفظوا جاركم وصاحب جنب والزموا للعهود حبل الوفاء
وانصحوا واصفحوا وعفوا وكافوا ومن البر رحمة الضعفاء

إلى أبيات من القصيدة لم يتيسر لي نقلها لعدم الوضوح وانطماس حروفها. وكان نظمها كما جاء في صدر أحد أبياتها: عام خمس وأربعين وألف.

١٠٦ ـ السيد المؤيد بن صلاح المؤيدي

السيد الرئيس العالم المؤيد بن صلاح بن محمد بن صلاح بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل الحسني المؤيدي. ذكره السيد العلامة الحسن بن صلاح الداعي في شرح أبيات الدامغة فقال:

كان سيدا سرياً ورئيساً كريماً وكان يلازم بمكة المشرفة وكان مقامه بها عند الشريف مغامس بن ثقبة وكان له مقام عظيم ورجع من مكة بكتب نافعة من كتب أهل مذهبنا وتوفي عيد الإفطار سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين بعد الألف وقبره بهجرة رغافة إلى جانب السيد أحمد بن يحيى الرغافي. قلت: المتقدم ترجمته في حرف الألف رحمهم الله تعالى وإيانا والمؤمنين.

١٠٧ ـ السيد الهادي بن أحمد الديلمي

تقدمت ترجمة السيد الهادي بن أحمد الديلمي أثناء ترجمة والده بحرف الألف.

١٠٨ ـ السيد الهادي بن عبد النبي حطبة

السيد العلامة المتأله الرباني جمال الدين الهادي بن عبد النبي بن داود بن محمد الملقب حطبة وقيل أن الملقب بحطبة هو ولده داود بن محمد بن صلاح بن داود بن أحمد بن يحيى بن المهدي بن المحسن بن أحمد بن المحسن بن محمد المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد المنتصر بن القاسم المختار بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق الحسني اليحيوي الصعدي.

أخذ عن السيد الإمام أحمد بن محمد بن لقمان فمما سمع عليه شرحه على الكافل، وأخذ عن السيد الإمام المحقق صلاح بن أحمد بن المهدي في المطول وغيره وكان صاحب الترجمة أحد من حف بالسيد الصلاحي مع جملة من السادات والعلماء ممن تفرد لهم التراجم وتزين بذكرهم الأوراق. وأخذ عنه جماعة منهم القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال قرأ عليه في الخبيصي وشرح التلخيص الصغير وشرح الكافل لابن لقمان مرتين وهو قرأه كما تقدم على مؤلفه، وفي شفاء القاضي عياض. وقد ترجم له السيد إبراهيم بن القاسم الشهاري في طبقات الزيدية الكبرى والسيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى فقال:

كان السيد الهادي هذا من أعيان العلماء ودرة تاج الحكماء، وله تأليف في أصول الدين كتاب سماه تنبيه

الراغب وإتحاف الصاحب وله شعر مليح ومنه قوله:

إذا ضحك المشيب بكيت عمري وأيام الصبا تلك القديمة
ترى أن الفتى يضحي طروباً وشيب الرأس قد أضحى نديمه
يقول الشيب هل ترجو سلوا وقد أسلفت أفعالا ذميمه
فقلت له ودمع العين ذارٍ على الخدين فيم الخسر فيمَه
أفي الدنيا فذاك إلى نفاد أم الأخرى فما للنفس قيمة
سوى دار بها كل الأماني ولم أغرس بها لمناي ليمة
فمالك أن يراك الله إلا مشمرة لديه مستقيمه
وقد حان الوداع لذي ارتحالٍ وسفح الدمع من عين سقيمه
أعد الزاد لا تهمله يوماً فما فيها سواه من غنيمة

وله أيضا:

أقول لكل ذي أصل شريف جري في ميادين الأماني
يريد المجد والعليا ويأتي فيهدم ما بناه خير باني
ولا يدري أمخط أم مصيب كذاك الجهل شيمة كل واني
إذا ما شئت إرغام الأعادي بلا سيف يسل ولا سنان
فشمر للعلى وأهجر مناماً على فرش المذلة والهوان
وحاذر أن تلام على فعال بجهل أو مقام أو توانٍ
وحاذر إن صحبت قرين سوء ولازم ذا طريقات حسان
خبير بالعلوم له لسان مصل في ميادين البيان
مجل إن أردت بكل فن وإن حسدته أبناء الزمان
وإن المجد صعب من بغاه استجاد الطِّرْف في يوم الرهان
ولا تغتر بالدنيا وآثر خلودا في نعيم في جنان

وله هذا البيت:

ولم أر كالصبر الجميل مغبة وصاحبه يعطى بغير حساب

قال: وهذا كله نقلته من خط ولده صارم الدين إبراهيم بن الهادي قال: وتوفي رحمه الله تعالى بوطنه هجرة

شرف الأعنوق ببلاد خولان بينه وبين مشهد الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام قدر ثلاثة أميال، وقت صلاة الجمعة ثاني وعشرين في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٦٢ اثنتين وستين وألف انتهى.

وستأتي تراجم ولديه الحسين وإبراهيم في القسم الثاني من هذا الكتاب.

١٠٨ ـ السيد الأمير ياسين بن الحسن الحمزي

الأمير الشهير الصالح الكامل الرئيس ياسين بن الحسن بن الناصر بن أحمد بن محمد بن الحسين بن علي بن القاسم بن الهادي بن عز الدين محمد بن شمس الدين أحمد بن الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن الأمير حمزة بن الإمام النفس الزكية الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

وهو الحسني الحمزي الصعدي اليمني. أحد أمراء الأشراف الحمزات في وقته، وكان رئيسا صالحاً كاملا معظما من القادة الصدور التي تدور على أيديهم مجريات الأمور، تولى للإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد على نجران، وله في نجران كما ذكر السيد مطهر الجرموزي أخبار حسان، وكان فاضلا شديدا على أهل الفساد ويعد من أمراء وولاة المولى ملك اليمن وسلطان الإسلام الحسن بن الإمام القاسم. ولما تقدم الحسن المذكور من صعده لحصار الأتراك بصنعاء بعد انتقاض الصلح مع الأتراك سنة ١٠٣٦ كان صاحب الترجمة أحد الأمراء المتقدمين صحبته، وله أخبار مذكورة في الجوهرة المنيرة وفي اللآلي المضيئة وغيرهما من كتب التواريخ. وكانت وفاته نهار يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة سنة ١٠٥٢ اثنتين وخمسين وألف وقبره بمقبرة القرضين في مشهد القضاة آل حابس وقد وقفت عليه ومن صخرة على قبره نقلت نسبه وتاريخ وفاته رحمه الله تعالى وإيانا والمؤمنين.

ووالده الشريف الحسن بن الناصر الحمزي لم أقف على أحواله ولا على تاريخ وفاته.

(أجداد صاحب الترجمة المتولين صعدة)

أما جده فهو الشريف الأمير الناصر بن أحمد بن محمد بن الحسين الحمزي خلف والده في الرئاسة فتصدام هو والمطهر بن الإمام شرف الدين في الوقعة المسماة بوقعة المخلاف شمالي صعدة الكائنة أواخر سنة ٩٤٠ والتي انكشف فيها الأشراف عن ذلك المصاف ووقع القتل فيهم والأسر وكان قائد الأشراف الأمير الناصر بن أحمد والأمير داود بن أحمد بن الحسين وقد ذكره السيد عيسى بن لطف الله في كتابه روح الروح في حوادث سنة ٩٤٦ ست وأربعين وتسعمائة فقال: وفيها وصل إلى الإمام الأمير الخطير ناصر بن أحمد بن محمد بن الحسين في قدر ثلاثين فارسا من أصحابه تائباً إلى الله عما سلف منه في حرف الإمام فالتقاه الإمام شرف الدين وقابله بالاكرام والانعام انتهى ثم أنها تقلبت أحوال الأمير المذكور مع تقلب أحداث عصره ومال إلى الأتراك وحاصر السيد عز الدين بن الإمام شرف الدين في حصن ظفار سنة ٩٥٤ وخلفه على صعده بعد أسره وفي شهر القعدة سنة ٩٧١ إحدى وسبعين وتسعمائة كانت وفاته بحص الزاهر عن عدة من الأولاد.

منهم الأمير صالح بن ناصر وكان أحد أنصار المطهر بن الإمام شرف الدين وتوفي في سجن الأتراك في الدار

الحمراء بصنعاء في نفس الشهر والسنة التي توفي فيها والده.

ومنهم الأمير الشريف محمد بن الناصر بن أحمد الحمزي وهو المعاصر للإمام الحسن بن علي بن داود والمذكور في سيرته وتولى للإمام الحسن عليه السلام على صعده ثم زحرحه عنها الأمير أحمد بن الحسين المؤيدي فانتقل إلى ظفار داود وجعله الإمام تحت يده وقرره فيه وامتدت يده وحكم على الجهات الظاهرية، واتفق عنده البطنان آل غراء وآل جودة من أشراف الجوف حتى أزمع الأتراك على قصده إلى ظفار وهو حينئذ باق على موالاة الإمام ومناصرته فجهزوا محطة كبيرة يقدمهم ابن عمه مطهر بن الشويع فحاصروه في ظفار دون شهرين حتى قبضوه وحبسوه في صنعاء بالدار الحمراء فأقام في محبسه إلى شهر شعبان سنة تسعين وتسعمائة فتوفي وذلك بعد نحو تسعة أشهر من أسره رحمه الله تعالى وولده هو الأمير الكبير الحسين بن محمد بن الناصر المتوفى غرة شهر صفر سنة ١٠٣٨ أيام ملازمته للجهاد مع الحسن بن الإمام القاسم وذلك بيفرس وقبر بها وتولى جهازه سلطان الإسلام الحسن وأولاده في حضرته بنفسه رحمه الله وولده الأمير طالب بن الحسين بن محمد بن الناصر أمير بيحان المتوفى بصنعاء شهر شوال سنة ١٠٧٤ رحمهما الله تعالى.

(وجده الأمير أحمد بن محمد بن الحسين الحمزي)

ذكره العلامة ابن فند الصعدي في مآثر الأبرار في سياق ذكر والده فقال: وخلف أولاد نجباء أهل شجاعة فولي منهم بعده وقبل موته مولانا الأمير الكبير الخطير شمس الدين أحمد بن محمد وكنيته المتوكل على الله فمات أبوه سنة خمس عشرة وتسعمائة وقد تقوت شوكته وانتشرت في البلاد كلمته وهيبته ورعيته ومال الأشراف بنو حمزة في الأغلب ميلته انتهى.

وفي هامش كتاب مآثر الأبرار ما لفظه:

واستمرت يد الأمير أحمد بن محمد على صعده والجوف إلى نصف جمادى الآخرة سنة ست عشرة وتسعمائة ثم أخذها عليه عماه علي وعبد الله أبناء الحسين بن علي وكان الأمير علي بن الحسين بها حتى توفي ثم خلفه أخوه عبد الله ثم مات (ربيع الأول سنة ٩٢٩) ثم خلفه ولده محمد بن عبدالله الملقب الشويع إلى سنة تسع وثلاثين ثم استرجعها الأمير أحمد بن محمد وولده الأمير الناصر بن أحمد إلى سنة أربعين ثم افتتحها الإمام شرف الدين يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر صفر من السنة المذكورة بعد أن فتح الزاهر في المحرم أول السنة المذكورة فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون انتهى.

قلت: ولم يعش الأمير أحمد بن محمد بعد فتح الإمام شرف الدين لمدينة صعده إلا أيام فوافاه وارد الحمام وكانت وفاته ليلة الاثنين لخمس بقين من صفر فأستاذنوا الإمام في إدخاله ليقبروه في المشهد قرب مدينة صعده. ولما دخل الإمام شرف الدين صعده وقصد جامع جده الإمام الهادي يحيى بن الحسين أنشد هذه الأبيات ارتجالا وهو آخذ بحلقة قبة الإمام الهادي:

زرناك في زرد الحديد وفي القنا والمشرفية والخيول الشزب

وجحافل مثل البحار تلاطمت أمواجهن بكل أصيد أغلب
من كل أروع من سلالة هاشم وبكل أشجع من ذؤابة يعرب

إلى أن قال يذكر تغلب الأشراف الحمزيين:

من بعد أن حال القرابة دوننا وتحزبوا حقباً أشد تحزب
فأذاقهم رب العباد نكاله في كل معركة يشيب لها الصبي
أبدا عدو الله لست أقيله لو انه ابني أو شقيقي أو أبي

وهي أبيات مشهورة ثم تعقب ذلك وقعة المخلاف التي تقدم ذكرها.

(الأمير الكبير محمد بن الحسين الحمزي)

أما جده الرابع فهو الأمير الكبير والشريف الخطير محمد بن الحسين بن علي بن قاسم بن الهاي بن عز الدين محمد بن شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة.

خلف أخوه الهادي بن الحسين في الرئاسة بعد مقتل الأمير الهادي في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة بيد بعض عرب الجوف قال معاصره العلامة ابن فند الصعدي: فملك البلاد أخوه محمد بن الحسين فطالت مدته وتقوت على الأعداء شوكته واشتهرت شجاعته وحميته وكثرت في عصره بنو عمه وذريته ونقم بالثأر ممن قتل أخاه وأسرته وحضر وقائع كثيرة يجدل الفرسان ويكسع الأقران إلى أن توفي بالجوف بين إخوانه وعترته وذلك حادي عشر شهر رجب سنة ٩١٥ خمس عشرة وتسعمائة وبلغ خبر وفاته إلى صعده يوم ثالث موته فوقع فيها رجة عظيمة بموته وبكى عليه من يعرفه ومن لا يعرفه، لأنه كانت فيه خصال محمودة منها نزاهته عن المعاصي التي تدنس عرض الشريف ومنها أنه كان كثير الصفح والعفو وعدم الحنة على الخصم فإذا قدر عليه في معركة في الأغلب رفع السيف عنه وغير ذلك من خصال الكمال وأما شجاعته فأقر بها الموالف والمخالف والجاهل والعارف وأقام الناس عليه القراءة في المساجد ثلاثة أيام سيما بمسجد الهادي عليه السلام وأنشدت فيه المراثي ودفن في الزاهر وعمل عليه هناك تابوت صنع في صعده وأرسل به إلى هناك وكان مدة عمره قدر سبعين سنة فما حولها وملك البلاد قدر نيف وأربعين سنة.

وأخبار الأمير المذكور مبثوثة في كتب التواريخ منها أخبار معاصرته للإمام الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن وما جرى بينهما من المراسلة والمكاتبة منها القصيدة الميمية التي كان المبتدأ من جهة الأمير محمد بن الحسين يقول فيها:

وأبلغ يا نسيم لنا سلاماً كزهر الروض عند الابتسام
إلى تاج الأئمة من قريش إمام العصر يا لك من إمام
شريف من بني يحيى بن يحيى الـ غطاريف البهاليل الكرام

إمام حبه للناس فرض به يرجى لهم دار السلام
أتينا نبتغي منه دعاء ونفعاً في رضى رب الأنام
فشمر ثوبه منا احتراساً فيا لك رمية من غير رام
عسى ولعل فيما كان خيرا وما يدري ابن آدم ما يحامي
أردنا أن نكون له جنودا يصول بها على يمن وشام
فما من قائم زدناه إلا رفعناه على أعلى السنام
وكنا دونه عن ما يلاقي وكنا خلفه فيما يسامي

فأجابه الإمام عز الدين عليه السلام بقصيدة طويلة منها قوله:

ونظم جاءنا حسن غريب بديع السبك يا لك من نظام
يفوق الدر حسناً وابتساماً ويحكى في البها زهر الكمام
أتى من أرفع الأمراء قدراً ومعدوم المناظر والمسامي
أثيل المجد بحر الجود حقاً ومروي السيف في يوم الصدام
يكر على الكتيبة لا يبالي ويقدم في الحروب على الحمام
وإن تغشى مقانبه فتور فذاك هو المدافع والمحامي
يعاتبنا على ترك التلاقي وذلك كان من جهة المقام
صددت عن اللقاء وملت عنه مساعدة لآراء اللئام
وقلت لعل فيما كان خيراً وما خير البعاد عن الإمام
دواء قربه من كل داء ورؤيته شفاء للأوام
وقلت بلغت سؤلك في ولاء وفي ود وأخلاق وسام
أردنا أن نكون له جنودا يصول بها على يمن وشام
فتمّم ما نويت وقيت شراً فما شيء يصد عن التمام
أما فرض الجهاد أجل فرض وأوجب من صلاتك والصيام
وكل مفرط فيه سيضحي غريقاً خائضاً بحر الآثام
فيا سبط الحسين وخير ليث يرى وسط الكريهة ذا ابتسام
أقم فرض الجهاد وقم وشمر لختم العمر في خير الختام

فإنك إن تواليني تجدني بإصلاحي لشأنك ذا اهتمام
وتلقى الخير في دين ودنيا فكن بصلاح دينك ذا غرام
فما الدنيا بباقية لحي ولو يبقى كنوح ألف عام

وبالجملة فأخبار الأمير محمد بن الحسين متسعة ومناقبه دثرة وقد تقدم تاريخ وفاته رحمه الله وإيانا والمؤمنين.

(الأمير الحسين بن علي بن قاسم الحمزي)

وجده الخامس فهو الأمير الكبير الحسين بن علي بن قاسم الحمزي المتوفى في الزاهر من الجوف سنة ٨٧٢ اثنتين وسبعين وثمانمائة.

وكان هذا الأمير هو أول من ملك صعده ونواحيها بعد تقضي دولة الأشراف الحمزات على يد الإمام المهدي علي بن محمد وولده الناصر صلاح الدين في القرن الثامن الهجري قال العلامة ابن فند الصعدي في سياق ذكر الأمير الحسين المذكور: ملكها في ذي الحجة من سنة ست وستين وثمانمائة؛ لأنه كان من جملة عسكر جمعه السيد يحيى بن صلاح الهادوي وحطوا على صعده، فلما كاد يأخذها توالس الأمير هو وأهل صعده وأحبوا جانبه، فوعدهم إن سهلوا له الدخول ووعدوه بذلك، فلما افتتح السيد صعده خاف أهل صعده إن تقوّت شوكته عليهم يجور عليهم ويأخذهم بذنوب قد أسلفوها إلى جدته الشريفة فاطمة بنت الحسن حال إخراج الناصر لها من صعده وأخذ البلاد عليها، فرجحوا للأمير الحسين ولأصحابه بني حمزة أن يلزم السيد يحيى وقالوا له: سيفان لا يصلحان في غمد، فلزمه وصاح في الناس بالأمان والضمان، فلما استقر بالمدينة أصلح البلاد، وقدم ولده الهادي بن الحسين على صعده فاستمر الهادي والياً للبلاد، ولم يكن قد ملك أبوه تلمص وغيره من الحصون، ولكن ملكها الهادي ما خلا حصن نعمان فقد كان مع والٍ كان فيه لعامر بن طاهر حفظه مدة وانكسر عليه جوامك كثيرة، فأذن له ابن طاهر في بيعه، فشراه الهادي بعد أن حط عليه، ثم استمر الهادي يغادي الغارات على صنعاء ويراوحها وفيها ابن الناصر، فما قدر عليها حتى قتل في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة قتله بعض عرب الجوف في عدة من عسكره وبني عمه الحمزات، ودفن عند أبيه في مشهدهم في الجوف وملك البلاد أخوه محمد بن الحسين الخ.

وللأمير الحسين المذكور ستة من الولد: محمد وأحمد وأمهما امرأة من الجوف تسمى جودة وإليها ينسب أولادها فيقال آل جودة. وحميضة وعبد الله وأمهما غراء بنت كثير بن طاهر جحاف من سلاطين الجوف وإليها ينسب أولادها فيقال آل غراء.

ومن أولاده أيضا: علي والهادي وقد تقدم ذكرهما.

١١٠ ـ الفقيه يحيى بن أحمد النجري

الفقيه العارف يحيى بن أحمد بن علي النجري.

أحد النبلاء العارفين رأيت بخطه حاشية التفتازاني على شرح العضد نسخها لخزانة المولى جمال الدين علي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد وهي نسخة غاية في الاتقان وجودة التحشية والخط الحسن تدل على عرفان ونبل

وإحسان وإلمام بالعلم فرغ من تلك النسخة رابع شهر شعبان سنة ١٠٧٠ بمحروس صعده.

١١١ـ القاضي يحيى بن أحمد حابس

تقدمت ترجمته في حرف الألف أثناء ترجمة ولده القاضي شمس الشريعة أحمد بن يحيى حابس.

١١٢ـ الفقيه يحيى بن أحمد الصعدي

الفقيه يحيى بن أحمد بن الفقيه المقرئ العلامة محمد بن سليمان بن زيد الصعدي. ذكره العلامة حفظ الله بن أحمد سهيل المتقدمة ترجمته بحرف الألف في مكاتبة وصلت منه للسيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي فأثبت تلك المكاتبة في اللآلي المضيئة فقال:

ووصل الفقيه يحيى بن أحمد بن الفقيه المقري العلامة محمد بن سليمان بن زيد الصعدي من البصرة وهو دخلها من عدن ثم إلى حضرموت ثم إلى ظفار ثم إلى الشحر، ثم دخل بلاد البحرين ثم عمان ثم الحساء والقطيف، ثم دخل البصرة فأخبر بنكت وعجائب من اختلاف الناس إلى دينهم، بل كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: (بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً) لم يبق هناك من الإسلام إلا اسمه، وأن أمير البصرة الأول لما زاد ابن عمه على ما كان لصاحب الروم من المال، خرج واسمه الباشا علي فاشترى بعض أعمال المدينة المشرفة بسبعة عشر ألف قرش ليباشر عملاً هناك، من باشره فله أوقاف من مصر تنساق إليه. ووصل ابن الباشا في شهر ربيع الأول إلى مولانا الإمام المؤيد، ثم سار في ربيع الآخر بجائزة عظيمة، إنتهى كتاب الفقيه حفظ الله سهيل.

قلت: وفي الجوهرة المنيرة سيرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم ذكر مصنفها السيد المطهر بن محمد الجرموزي أن الإمام عليه السلام في شهر رمضان عام ١٠٥٢ اثنين وخمسين وألف استرجح أن يراسل باشة البصرة، وقد استروح منه حسن التمييز وكمال العقل مع الشيخ الجليل المحب يحيى بن محمد الأحساوي الأنصاري قال: وبعد أن أرسل الإمام كتابه إلى المذكور وصل الشيخ يحيى بن أحمد بن زيد الصعدي، وكان بلغ إلى البصرة طالباً من رزق الله، واجتمع بالباشا المذكور ووصل بهذا الكتاب من الباشا المذكور ابتدأ قبل أن يصل ذلك الكتاب إليه مع الشيخ يحيى الحساوي، نسخته:

أعلى درر تنظمها أيدي الأقلام في سلك السطور، وأغلى لآلٍ يرصع بها المنظوم والمنثور، بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه عليّ الصفات، وآله خير البريات، أدعية وافية، وأبنية كافية، تهدى إلى حضرة من تسنم غوارب المعالي بالجد السعيد، وسبق السادات والموالي بالرأي السديد، خلف الأئمة الطاهرين، وثمرة الدوحة التي هي حجة الله على العالمين الإمام بن الإمام والهمام بن الهمام الإمام محمد، لا زالت مجالس السيادة مزينة الصدور بوجوده، ومحافل الإفادة والعبادة ممطورة بصيب فضله وجوده، وبعد: فإن الداعي إلى إرسال صحيفة المحبة، وإهداء ألوية المودة هو أن الأرواح قبل خلق الأشباح قد سبقت إلى التعارف، والقلوب قد ثملت بسلاف التوالف، وطال ما تاقت النفوس إلى رقم ما تتضمن بيان ما تحسه الخواطر، وتكنه الضمائر بعرض موانع من رهن الأمور بأوقاتها وتعلقها بساعاتها، فمذ رأينا مخلصكم الشيخ يحيى بعد فراقه لتلك الحضرة ووصوله هذه الأطراف عائداً إلى لثم

تلك الأعتاب، حكمت بواعث الأشتياق بتحرير هذه الورقة نائبة عن مرسلها مبلغة للسلام، حاكية ما يجده من الغرام، آملاً أن لا تقطعوا عنه رسائلكم المشعرة بسلامتكم واستقامتكم، الموشحة بما يتشرف به المحب من القيام بما يعرض من الخدمات والإهتمام بما يسنح من المهمات، فإن ذلك باعث لزيادة الوداد وموجب لخلوص الإعتقاد، لا زلتم من الملحوظين بالعناية الربانية والألطاف السبحانية والسلام. قال في علامته: المحب حقاً علي انتهى.

وكان جواب الإمام عليه السلام عليه بعد البسملة:

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. المؤيد بالله إن شاء الله أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين لطف الله به آمين: من تحلى بمكارم الخلائق ومحامدها، وسلك واضح الطرائق ومراشدها، وقام للعترة المطهرة بما أوجب الله من فرض الود، ووفّى لهم بما أخذ الله على العباد من وثيق العهد، فهو لبيتهم الطاهر سلمان وعمار، ونذكر ما يحب لهم ذو الأثار والأخبار الباشا المكرم الخطير المعظم علي باشا بن فراسيا باشا، لا برح طالع السعد ساطع المجد ميمون الجد، والله يهدي إليه من سلامه أشفاه، ومن إكرامه أوفاه، ومن إنعامه أصفاه ورحمة الله وبركاته ورضاه وبعد: فإن كتابكم الكريم الذي هو كالدر النظيم مع الشيخ الأرشد يحي بن أحمد بن زيد الصعدي بارك الله فيه وافانا عقيب إرسال كتاب إليكم على يدي الشيخ الجليل الأوحد النبيل يحيى بن محمد الأنصاري الأحساوي رعاه الله يتضمن ما يقتضيه اخا الإمام من المعاهدة بالرسائل التي جعلها الله قائمة مقام اللقاء والمشاهدة وما حث الله عليه ورسوله من هديته المناصحة التي هي أفضل الهدايا، وأجل ما وضعه الله بين عباده المؤمنين من منح الدين والعطايا، فيما يرفع دين الله وأمره، ويعلي مناره وذكره، ويشيّد مكارمه وفخره، من تعظيم شعائره التي تعظيمها من تقوى القلوب، ونشر معالم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإرشاد للخلق الذي هو الفرض الأعظم من علام الغيوب، والتذكير بأيام الله ولقائه، والتبشير بثواب الله العظيم لأوليائه، والتحذير من عقابه الأليم لأعدائه، والحث لهم على حفظ هذه الشريعة الغراء، والملة الواضحة البيضاء، وتعريفهم ما يجب لها من التوقير، ولحملتها وأهلها من التعظيم والتعزيز، حين بلغنا من ذلك المحل الكريم حرص ذوي الهمم، وجد ذوي العزائم الذين تحلق إليهم العيون في رفع البُهم، فكان كتابكم هذا الكريم أعدل شاهد على تصديق المخبر الخبر، وإنكم إن شاء الله من ذلك فوق ما كان جال في البال وخطر. فحمدنا الله وهو أهل الحمد على أن جعل لنا أهل البيت في أطراف الأقطار من يعيننا على ما نحن بصدده من الدعاء إليه، وشكرناه أن أيدنا بمثل ما تمنن به على نبيه في قوله: {هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} وجعلكم أحرص الناس عليه، وسألناه كما ضمن لدينه وأهله إظهاره على الدين كله أن يجعلكم كما ترتفع إليه همتكم العالية من أحرص خاصته وأهله، وأن يرزقكم من شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشفاعة ولده ونسله ما يرقيكم به أعلى الدرجات، ويبلغكم به أقصى الآمال الصالحات، ويجمع لكم به بين خيري الدنيا والدين ويحفظ عليكم به التقوى واليقين، فازدادوا تولاكم الله حرصاً على التمسك بالعروة الوثقى والحبل المتين، وقوموا من ذلك بما هو إن شاء الله شأنكم وعليه إسراركم وإعلانكم، يزدكم من فضله ويحشركم في زمرة سيد رسله، ولا تنقطع عنا أخباركم الشافية فإنها نعمة ومسرة، وقرة

ومبرة، ولا برحتم في رعاية الله وكلائته، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير تاريخ شهر شوال الكريم من عام ثلاث وخمسين وألف سنة انتهى.

١١٣ ـ السيد يحيى بن أحمد المؤيدي

السيد يحيى بن أحمد بن المهدي بن محمد بن علي بن الحسين بن الإمام عز الدين بن الحسن المؤيدي الحسني، وهو أخو السيد الصلاحي المتقدم ترجمته في حرف الصاد.

وقد ذكر في شرح الدامغة الكبرى أن المترجم تولى للإمام المتوكل على الله إسماعيل أياما في الجهة الشامية ثم عزله لأمور قال السيد الحسن بن صلاح الداعي: ولم يمت حتى صلحت سيرته وحسنت سريرته ومنه مقدمة قرآن بخطه في مسجد ضحيان انتهى بلفظه.

١١٤ ـ القاضي يحيى بن سعيد الهبل

تقدمت ترجمته بحرف العين أثناء ترجمة صنوه القاضي عبد القادر بن سعيد الهبل.

١١٥ ـ الفقيه يحيى بن سيلان

الفقيه المجاهد عماد الدين يحيى بن سيلان بن عبد الله السفياني البكيلي من أهل الولايات في أيامه وهو والد القاضي العلامة الحسن بن يحيى سيلان صاحب حاشية الغاية المتوفى سنة ١١١١ وله ترجمة ستأتي في القسم الثاني من هذا الكتاب. أما والده صاحب الترجمة فقد تولى للإمام المؤيدبالله بعد وفاة السيد أحمد بن المهدي المؤيدي سنة ١٠٤٤ على جبل رازح، وقبل ذلك تولى على أبي عريش.

قال في العقيق اليماني في حوادث سنة ١٠٣٦ ما لفظه: وفي العشر الوسطى شهر ربيع نزل السيد العلامة المجتهد صلاح بن أحمد بن المهدي من قبل أبيه بمحاط كثيرة منهم رؤساء مشاهير فمنهم السيد العلامة المجتهد أحمد بن محمد بن حوريه والفقيه يحيى سيلان والفقيه شاور وجمهور السادة بني المؤيد وأمراء جازان في أمر ضليع من العساكر والخيول والبنادق والأموال والعدد فتدير اللغا علي في القلعة فحاصروه نحو عشرة أيام وطلب الأمان على رأسه ورؤس العساكر فقط، فأمنوه وقبضوا خيوله وسلاحه وأمواله، ودخلوا السادة القلعة وواجههم كافة أعيان المخلاف من الشيعة والأشراف وصفت البلاد لمولانا الإمام المؤيد بالله من يومئذ وولى السيد صلاح على أبي عريش الفقيه يحيى سيلان وفي البندر فقيه يسمى زياد وجعل لكل منهما رتبة وطلع ببقية العسكر انتهى.

وذكره أيضا في وفيات عام ١٠٥٦ فقال: وفيها توفي الفقيه يحيى سيلان أمير جبل رازح كان قد عزله الإمام المتوكل على الله إسماعيل عن ولاية جبل رازح فوصل إلى الإمام فقرر له مقررات كثيرة عديدة بصعدة تكفيه، ولما وصل إلى صعدة هلك انتهى بلفظه.

قلت: وفي مقبرة القرضين غربي مشهد آل حابس وقفت على قبر صاحب الترجمة رحمه الله ونقلت عن شاهد القبر أن وفاته بعد صلاة عصر يوم الجمعة خامس شهر الحجة سنة ١٠٥٦ ست وخمسين وألف.

١١٦ ـ السيد يحيى بن صلاح القطابري

السيد العلامة الفصيح الكامل عماد الدين يحي بن صلاح بن يحي بن محمد بن يحي بن القاسم القطابري لقبا وبلدا وبقية النسب تقدم قريبا في ترجمة صنوه السيد محمد بن صلاح القطابري بحرف الميم. قال في ترجمته القاضي الحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري:

من عيون العترة ونجبائهم وأدبائهم عالم متطلع شهير جليل انتهى. وذكره السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى فقال: كان من العلماء الكبار والمفلقين في الشعر، وله شعر بليغ وغزل رقيق، وكان آية في زمانه، علامَة في أوانه على صفة صنوه انتهى.

وله المساجلة التي أوردناها سابقاً في ترجمة صنوه بحرف الميم حين قال مبتديا:

وقائلةٍ مالي رأيتك فاركاً ... لقربى أما لي في هواك نصيبُ؟
ومالك ترضى بالبعاد وغربة ... وترغب عني إن ذا لعجيبُ
أما أنا ذات المبسم العذب واللما ... وساجية الطرف الكحيل عَرُوبُ؟

فقال صنوه صاحب الترجمة:

فقلت وقد أشْكت بقلبي حرارة ... بِمنطقها فالقلب منه كئيبُ
أما وأبي ما غيّر الدهر لوعةً ... فحبك شيء لست عنه أتوبُ
وما مغرم بالماء حرّان صادياً ... يكاد من القيظ الشديد يذوبُ
بأبرح من شوقي إلى طلب العلى ... ولست وبيت الله عنه أثوبُ

وقد تقدمت له قصيدتان منها قصيدة ذكرت أثناء ترجمة السيد داود بن الهادي وقصيدة ثانية في حرف الميم أثناء ترجمة السيد محمد بن عبد الرحمن المؤيدي.

وعن مجموع بخط سيدي المولى عبد الرحمن بن حسين شايم أبقاه الله ورعاه قال فيه:

ومن خط السيد داود بن الهادي رحمه الله نقلت ما لفظه: مما قاله السيد العلامة الأفضل الأريب البليغ المقول العلامة عماد الدين يحي بن صلاح بن يحي القطابري أمتع الله بحياته وجهها إلى السيد المقام العلامة شمس الدين أحمد بن يحي بن أبي القاسم والفقير إلى كرم الله داود بن الهادي والسيد شمس الدين أحمد بن عز الدين أيام طلب المذكورين بصعده:

مقل المها ولواحظ الآجال ... أبدلنني بمجالس الآحال
وطردن عن جفني لذيه منامه ... وأقمن في قلبي ضنا البلبال
وتركنني صباً أهيم مدلهاً ... بهوى الخرائد كل ذات حجال
إلف الربوع وكل معقل غادة ... أنسى السؤال ولات حين سؤال
كيف الخطاب لأربعٍ وملاعب ... صفرت فصارت غير ذات حِلال

ولو انها نطقت لاعظمت الذي قد نالها من حادث بمقال
ولواست المحزون فيما نابه ولأهرقت دمعاً كفيض ثمال
لا غرو إن أجرت كدمعي وابلاً وأهيلها عزموا على الترحال
آهٍ وما التأويه لي من نافع رحل الجمال بكل ذات جمال
واحسرتا واكربتا وافتتنا من فرقة الحسناء ذات الخال
مَن نور غرتها كبدر طالع في برج سعد السعد والاقبال
وخدودها كالورد باكره الندا لم يؤذ من أيامه بزوال
والأنف أقنى مثل رأس مهندٍ في رقةٍ وملاحة وصقال
وشفاتها لعس كدارة خاتم لفمٍ نظمن به عقود لآل
من ريقه طعم الطلا مستعذب لولاه لم يسمع لها بمثال
والجيد منها مثل جيد شويدن لكن لسالفتيه طعم الآل
وبصدرها نهدان فيه كمدهني عاج بنارهما المتيم صالي
والخصر أضأل من محب مدنف ولشأنه عجب شبيه محال
إذ صار يحمل أي ردف ناعم يا لضئيل حُوَيّمل الأثقال
وقوامها يزري بغصن أراكة إمّا تثنى فوق دعص رمال
سقياً لأيام مضت بمحجر كان السلو بها ملازم بالي
أيام ما ضربت عليّ قبابها أيدي الأماني وسط روض وصال
بمعاشر أخلاقهم كوجوهم شرفت عن الأشباه والأمثال
يشفون من غي الجهالة جاهلا ويفتحون مغالق الأقفال
يجلون جون المشكلات إذا عرت بشموس أفكار ذوات كمال
وملابس الآداب تنشر نشرهم نفس البيان لطالب الأنفال
فهم الأفاضل والفواضل والألى حازوا العلى بتحمّل الأثقال
الحائزون لكل سهم قامر والسابقون بحلبة الأفعال
شمس الهدى لطلاب كل فضيلة لم يغن من نهل عن التعلال

من صار في أبناء أحمد نقطة الـ ... بيكار في حق لهم متعالي
من طاب أصلا مثل فرع باسق ... من دوحة صينت عن الإهمال
بحر العلوم قمطر كل قِلَمّس ... غيث العيون مطهر الأعمال
من سوحه للوافدين موسع ... طلاب علم أو مريد نوال
مولاي بق لنا العلى ببقائه ... يا مولي الإنعام والإفضال
والصارمي الندب داود الذي ... حاز الفضائل يافعاً لأآل
بل جد في تكسابها فغدت له ... مملوكة فعلى على الآمال
لولا جفاه لكان أعظم نازل ... في القلب وهو لدي أي مقال
والصنو شمس الدين أحمد من يرى ... فوق السماك لأصله المفضال
نجل الأئمة والملوك ومن له ... فيما يرى الراءون أعظم حال
عَلِم الذي ارتفعت به آباؤه ... فجرى بمطلب ذلك المنوال
يا من لهم في القلب أي مكانة ... ذكراكم أشهى من الجريال
أشكو إليكم كلمَ دهر حطني ... عن رتبة فيها جرى أمثالي
وتهضّم الدهر الخؤون مقاصدي ... إذ لم يلم بجمعكم آمالي
أرجو نصائح مستجاب دعائكم ... جمعاً لشملكم برغم مقالي
هذا ولا زلتم بأعظم نعمة ... محفوفة بالعز والإقبال
ما غنت الورقاء في أفنانها ... بالصبح والإمساء والآصال

ورأيت في بعض الكتب أن لصاحب الترجمة تخميس على قصيدة للفقيه العلامة محمد بن علي بن عمر الضمدي المتوفى سنة ٩٨٨ ثمان وثمانين وتسعمائة ويغلب في الظن أن يكون الفقيه الضمدي المذكور أحد مشايخ صاحب الترجمة لكثرة ما أقام الفقيه المذكور بمدينة صعده والله أعلم.

توفي رحمه الله في شهر جمادى الآخرى سنة ١٠١٧ سبع عشرة وألف، وقبر إلى جنب أخيه بوادي قراض يماني مسجد آل يعيش.

١١٧ ـ السيد يحيى بن صلاح القطابري الحفيد

السيد الشاب التقي العلامة يحي بن صلاح بن يحي بن صلاح القطابري حفيد السابق ترجمته، ذكره السيد الحسن بن صلاح الداعي في شرح الدامغة الكبرى ووصفه بالاجتهاد وقال: وكان هذا السيد من العلماء المبرزين، إلا أنه اخترمه الحمام قبل بلوغ المرام فتوفي في شهر صفر الخير سنة ١٠٦٦ ست وستين وألف وقبره في مشهد جده.

١١٨ ـ السيد يحيى بن محمد القطابري

السيد العلامة يحي بن محمد بن صلاح بن يحي القطابري. وقفت على ذكره في بعض المجاميع بما لفظه: هذه الأبيات[1] لحي السيد العلامة عماد الملة والدين يحي بن محمد بن صلاح بن يحي صاحب قطابر رحمه الله وأعاد من بركاته في غرة تعليقة كان قد فعلها على الأساس ولم يتم وهي:

الفوز حول مذاهب الأسلاف سفن النجا من آل عبد مناف
في الشفاء والجهل داء مضيعها ودواء طالبها العظيم الشافي
سِفر تفرد باقتناص شوارد فغدت ظواهر بعد طول تجاف
هذا الأساس كرامة فتلقه يا صاحبي بكرامة الإنصاف
واحرز نفيسًا من نفائس نثره جمعت بغوص في فرات صاف
نادى لسان الحال جامع شملها برح الخفا فتلاف قبل تلاف
فأجابها عملاً فشاد ربوعها بمحاسن جلّت عن الأوصاف
فأحلها سرحاً لها ومعاهدا قد طال ما خليت عن الطواف
يا طالباً رشدا ونيل هداية أمّ الأساس تجد هداك الوافي
انظر بعين بصيرة وتأمل وإلزمه طول الدهر فهو الكافي
جمع المهيمن بيننا في دينه جمعًا يفي بإصابة وتصافي

ولعله من علماء القرن الحادي عشر والله أعلم.

١١٩ـ الفقيه يحيى بن محمد مداعس

الفقيه العلامة العابد العارف يحي بن محمد بن صلاح بن مهدي بن يحي بن علي بن يحي بن أحمد بن مداعس الصعدي اليمني. ذكره القاضي ابن أبي الرجال استطرادا في مطلع البدور أثناء ترجمة والده مصنف المختصر في القراءة المتوفى سنة ٩٦٢ اثنتين وستين وتسعمائة فنعت ولده صاحب الترجمة بأنه العلامة العابد شيخ القراء واكتفى بهذه العبارات وأفاد أن وفاته نهار الأربعاء لعشرين ليلة خلت من شهر جمادى سنة ١٠١٦ ست عشرة وألف رحمها الله تعالى. **وآل مداعس** من بيوت صعده وإليهم نسبة حمام مداعس كان بالقرب من مسجد التوت وقد انطمست في أيامنا آثاره ومن آل مداعس في القرن التاسع الهجري حسن بن محمد بن علي بن مداعس التاجر الميسر المقتول بباب سويدان بصعده سنة ٨٥٧ سبع وخمسين وثمانمائة وكانت تجارته بصنعاء وعدن وصعده وغيرها من البلدان.

---

[1]) وفي إحدى المجاميع وجدت الأبيات منسوبة إلى السيد العلامة يحي بن صلاح صاحب قطابر.

انتهى جمع هذا القسم الأول من أقسام كتاب
(عقد الجواهر في تراجم فضلاء وأعيان صعده بعد القرن العاشر)
من مجاميع الحقير إلى ربه الراجي عفوه ومغفرته عبد الرقيب بن مطهر بن
محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن يحيى بن المطهر بن إسماعيل بن يحيى بن
المولى سلطان العلماء الحسين بن الإمام القاسم بن محمد الحسني الصعدي ويليه
القسم الثاني من سنة ١١٠٠ إلى سنة المائتين وألف يسر الله ذلك بعونه وكرمه.
وكان الفراغ من جمعه وتهذيبه ونقله عن أمه عصر يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الثاني سنة ١٤٣٤
أربع وثلاثين وأربعمائة وألف وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

ملحق مكاتبة

جرت بين المولى العلامة عبدالرحمن بن حسين شايم وجامع هذا الكتاب

الحمد لله وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله

حين قررت نظم قصيدتي: (سنا البارق الصعدي أو القبلي)..

لم يدر في خلدي أن تشريفاً عالياً سيغمرني به المولى أبقاه الله، وأن حلة قشيبة من شمائله سوف تكسوني. فجوابه تفضل لا يقوم به نظم ولا نثر، وأنى ذلك لولا تلك الخِلال الشريفة والمزايا العالية المنيفة، فقد تقدم إرسال القصيدة وبعد أيام قلائل وصلت إلى مقامه الكريم (بهجرة الفتح) في منطقة (الحاربة) أعلى قاع الصعيد للتسليم والزيارة وبصحبتي الأخ النبيل علي بن عبد اللطيف المؤيد ونجلي مطهر ذو الأربعة الأعوام الذي ناله من دعائه ما أسأل الله أن يرسل عليه فواتح بركاته ونوامي خيراته. وبعد السلام عليه أبقاه الله وتقبيل الأطراف والسؤال عن الحال والأحوال أبدى من الاتحاف والإيناس ما هو معروف من سجاياه، وتطرق الحديث إلى ذكر القصيدة التي وصلته، فأثنى على أسلوبها وفصاحتها؛ ومن عباراته في ذلك أن قال: نبهتنا من النوم؛ كناية لا تخفى وإشارة لا تغبى. وكان قد حرر جواباً رائقاً فواحاً أملاه من فمه الشريف وأنا أسمع وغيري، وفيه من عبارات الثناء نظماً ونثراً ما يعظم على الحاسد، ويعطف عليه قلب المحب وإلا فكاتب الأحرف مهين ولا يكاد يبين، وإنما هي عادة للأكابر في الأخذ بيد الأصاغر إلى كل خير ورفعة.. وقد قلت أبياتاً ثلاثة امتناناً له بذلك، وكتبتها بخطي في نسخة القصيدة التي وصلته وهي:

كفاني فخاراً أن مولايَ راقه نظامي وإن أنكى العدوَ المشاققا

فلا الشعر من دأبي ولا أنا شاعرٌ ولكنني إن قلتُ فُتّ السمالقا[1]

فلا زال إسجاعي له من مفاخري ولا زال في عز على الدهر باسقا

وفي خلال تلك الزيارة المباركة ذاكرَ المولى أبقاه الله بأدبيات وفوائد، منها إملاؤه لقصيدة الإمام الهادي عز الدين بن الحسن عليه السلام التي حرصت في قصيدتي على محاكاتها، وكان المفترض إملاء جواب المؤرخ ابن فند رحمه الله عليها لولا ضيق الوقت، ومما تطرق الحديث فيه ما كان عليه الإمام عز الدين عليه السلام من كمال الخصال وخصال الكمال؛ فهو الإمام السابق بيد أنه بذّ الفروعيين مذاكرة، وفاق الأصوليين تبحراً وتدقيقاً، وغبّر في وجه الأدباء مجلّياً. فليعجب النَظار لهذا الإمام كيف اتسع صدره وهو في مقام الأمر والنهي والرئاسة العظمى

---

[1]) السمالق: جمع سملاق وهو البليغ في الخطابة.

لنظم تلك القصائد الإخوانية والمتاحفات الأدبية التي لا يبلغ إليها رقة وعذوبة ذو البال المتفرغ الخلي،، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وسألته أبقاه الله عن سبب اختصاص الإمام بالفقيه ابن فند والتعويل عليه في معارضة قصائده، وإيثاره على غيره من أدباء حضرته أمثال الفقيه عبد القادر بن محمد الهراني الذماري[1]، فقد كانت أيامه ربيع الزمان وحضرته معمورة بالأدباء، فأفاد أن ذلك يرجع إلى أدب الفقيه ابن فند وإلمامه بطريقة الأدباء في صناعة الشعر وتفويفه، وهذا واقع الحال من الفقيه ابن فند رحمه الله، ويعجبني منه ما عبر عن نفسه بقوله في القصيدة الجوابية على الإمام:

إذا الحرُّ أضحى والخمول نزيله بمنزلةٍ فاهتفْ به أن يفارقا
فقلْ يا أخي فارقْ تُرِقْ كل صاحبٍ فلن يقطع الصمصام إلا مفارقا
فلولا أطيفالٌ كزغبٍ من القطا لمشهدها تبقي النفوس خوافقا
لما كان ظلي للديار ملازماً ولا كان قلبي للمواطن عاشقا
ولا كنتُ إلا في العراق مزاحماً نحاريرها للمنتهين مرافقا

وقد كان الفقيه ابن فند على قدم صدقٍ في التشيع يظهر ذلك جلياً في شرحه المعروف على البسامة المسمى (مآثر الأبرار) أو (اللواحق الندية) فقد أوجب على نفسه فيه خلوص المودة لجماعة أهل البيت على حد سواء حسنيهم وحسينيهم، لذلك يجد المطالع هذه المزيةَ الفاضلة في كتابه المذكور ظاهرةً جلية، ولعمري لهو مسلك قويم وأسلوب في المآثر يتيم، وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله:

لآل الحسين وآل الحسن سكون العراق ومن باليمنْ
وِدَادٌ بقلبي إن تكمن الدراري بأفلاكها ما كمنْ
ودادٌ غذاني به والدي ولذتني أمي به في اللبنْ
فيا عاذلي في هوى حيدر وفاطمةَ الطهر لا تعذلَنْ
فحبهما وذراريهما عتادي ليوم ظهور الغبنْ

وقد جرت بين الإمام عز الدين وبين الفقيه ابن فند غرر وحجول من الأدبيات والمفاكهات، أشار إلى طرف منها الأخير في مآثر الأبرار وفي ذلك يقول: (قلما أنشأ شيئاً عليه السلام إلا وراسلني به كله أو بعضه، وحثني على الإنشاء على وزنه وقافيته طلباً للمفاكهة وتكثيراً للفائدة في العاجلة والعاقبة) إلى أن يقول ابن فند: (ومن

---

[1]) انظر عنه مطلع البدور: ٣/ ٥١ ـ ٥٥ بتحقيقنا.

أحب ذلك فليطالعه في ديوانه عليه السلام وديواني فكل قد رسم ما وضعه ورقم من ذلك ما اخترعه) انتهى.

قلت: وهذا الذي رميت إليه بقولي:

وتنشر من ذكرى إمام وشاعر قصائدَ في ثغر الزمان عوابقا

والديوانان في خزانة الضياع ولا وجود لمخبرٍ عنهما، لذلك آثرت في هذه الأوراق بعد رقم القصيدتين إيراد رائعة الإمام وجواب الفقيه ابن فند عليها، تخليداً للمحاسن ونشراً للمفاخر، ولأن ما نشر من ذلك في مآثر الأبرار ص ١٢٤٠ ـ ١٢٤٨ عرض عليه بعض التصحيف والتحريف. وقد تطلعت النفس قبل الشروع في ذلك إيراد قصيدتين في غاية الحسن هما على نفس الوزن والقافية لا يمكن للقلم إغفالهما عن هذا المجموع.

الأولى: للسيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير رضوان الله عليه قالها جواباً على قصيدة أبي حيان الأندلسي[1] التي عرّض فيها بكتاب الكشاف ومؤلفه جار الله ومنها قوله:

ولكنه فيه مجالٌ لناقدٍ وزلاتُ سوءٍ قد أخذنَ المخانقا

فأجابه السيد الهادي بهذه الأبيات:

رأيتُ مقالاً للصواب مفارقا فاغمدت سيفَ الحق منه المفارقا[2]

مقالَ حسودٍ يشبه الشعر نظمه وإن لم يصغ معنىً من الحسن رائقا

يحث على التفسير كي يقتدي به ويحسب فيه أنه كان صادقا

ويمدح بالاتقان شيخَ زمخشرٍ ويهجوه لما كان في الفضل فائقا

هو الشمس لما لاح ضوء جبينها أغابت نجوماً في السماء شوارقا

وما ذنبه في العلم إلا ارتقاؤه من العلم طوداً شامخ الرأس شاهقا

ولم يك جبرياً ولا متزندقاً ولا فلسفياً بالجهالة ناهقا

أتى بكتاب أعجز الخلق نظمه وكان لعادات الأفاضل خارقا

وسماه بالكشاف علماً بأنه يكشف من آي الكتاب الحقائقا

ونوّه بالتوحيد والعدل واقتفى طرائقَ ساداتٍ أبانوا الطرائقا

وفارق أهل الجبر والجهل واغتدى لأهل الهدى والعدل فيه موافقا

---

(1) هو محمد بن يوسف بن علي أبو حيان الغرناطي الأندلسي الأصل والنشأة، كان شيخ النحاه في عصره، ترجم له الصفدي في الوافي بالوفيات وله فيه مرثية وكان توفي بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ وقصيدته التي تعرض فيها للزمخشري موجودة في ديوانه.

(2) المفارق: جمع مفرق وهو وسط الرأس.

فلا عيب فيه غير أن به لهم فضائحَ قد أخزتهم وبوائقا
فلما رأوه شيّد العدل قوله وهدّ بُنَى الجبر سموه مارقا
دعوا ذمه أو فاخرونا بمثله وهيهات أن يحكي البغاثُ البواشقا[1]
ولا تأخذوا من علمه وتسللوا لأخذكم منه العلوم البواسقا
فمن أخذ الدينار من حرز أهله ولما يواذنهم به كان سارقا
ومن أظهر الدين الحنيف لسانه ولم يخلص الإيمان عدّ منافقا
وسوف وعدل الله يصلى جهنماً يكون بها للكافرين مرافقا

والأخرى: لصنوه السيد الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير صاحب العواصم المتوفى ٨٤٠هـ أرسلها إلى حي الإمام الهادي علي بن المؤيد جد الإمام عز الدين سلام الله عليهم أجمعين وأولها:

ولو شئت أبكيت العيون معاتباً وألهبت نيران القلوب رقائقا[2]
ولكنني أصبحت لله طالباً وأصبحن مني الترهات طوالقا
فإن أنصف الأصحاب لم ألف فارحاً وإن عتبوا لم يصبح الصدر ضائقا
ومن كملت فيه النُّهى لا يسره سرورٌ ولا خاف الحتوف الطوارقا
فصلني أو اقطعني فهذي خليقة تسيغ رديّاً من صديقي ورائقا
ولي نفسُ حر ليس أكبر همها ملاطفة ترضي علي الخلائقا
ولولا الرجا أن أرضيَ الله لم أكن على أرض من يجفو أشيم البوارقا
ولكن ذلي في رضا الله عزة وإن كنت فيه للسلو مفارقا
وما لي إلا الصبر في الدهر جنة وإن شيّب الصبرُ الشوى والمفارقا
وما نحن إلا في مجازٍ فلا تُرِدْ مجازاً إذا ما كنت تبغي الحقائقا
وقائلةٍ عش بالسلو ممتعاً ونل باكتساب الأصدقاء مرافقا
فقلت لها: لا عيش لي في سوى ولا صاحب في الناس إلا مخالقا
وأين الصفا ؟ هيهات من عيش طالب غدا لأهاويل الممات مراهقا
وللخزي في يوم الجزا مترقباً وللصبر في دار الفناء معانقا

---

(1) البغاث: من طير الماء وهو أبيض ويقال للضعيف من الطير الذي يصطاد بغاث. والبواشق: جمع باشق من الطيور الجارحة.
(2) قلت: لعل هذا مطلع القصيدة وأنه لم يرد التصريع.

فلومي رويداً إنني غير جازع وغري سوائي إنني لست مائقا

فانظر إلى ملاحة المعاني وانسياب الألفاظ مع هذه القافية المنصوبة وهي من بحر الطويل.

ولنعد والعود أحمد إلى ما وعدنا بإيراده

أولا: إيراد نص ما وصل مني إلى مقام سيدي المولى عبد الرحمن أبقاه الله بعد إضافة أبيات إلى القصيدة وتهذيب وتنقيح وقع بعد ذلك، ولفظه بعد البسملة: سيدي ومولاي علم الآل الشامخ عبد الرحمن بن حسين بن محمد شايم الحسني المؤيدي أبقاه الله وأتحفه بجليل السلام وبالغ التحيات. وبعد: هاجت بالمحب أشواقه، وتواردت على خواطره المرة بعد الأخرى نظم قصيدة تليق بالمقام العالي، فلم ير ما يناسب الحال والمقام سوى روي وقافية قصيدة مولانا أمير المؤمنين أبي الحسن (عز الدين بن الحسن) رضوان الله عليه وسلامه التي أرسلها في رمضان سنة ٨٩٢ اثنتين وتسعين وثمانمائة إلى الفقيه الفاضل المؤرخ محمد بن علي بن يونس بن فند الصعدي المعروف بالزحيف والتي مطلعها: (أفق أينما وجهت صرت مفارقا) يقيناً مني بنفاقها في الحضرة اليحيوية المؤيدية الشايمية أدام الله ظلالها، ولإتحاف مولاي وإطرابه أيضا، وإحقاقه بما هو أهله من الثناء الفاخر والنظم العامر، ومهنئا له بدخول الشهر الكريم المبارك أدخله الله على الأمة الإسلامية بالنصر المبين والخير العميم. فإن قصر الباع عن تناول أساليب البلاغة، وندت الطباع عن مراعاة مقتضى الفصاحة، فليستر المولى منعما. خادمكم المطيع عبد الرقيب مطهر محمد حجر بتاريخ سلخ شعبان سنة ١٤٢٩ غفر الله له ولوالديه.

وهذا أول القصيدة:

سنا البارق القبلي نَعماك بارقا ولا زلتَ تحكي لوعةَ الصب خافقا
تلوح لعيني مغرمٍ شفّه الهوى فيلقَى حديثاً في خفوقك عالقا
وفي غير ما شكوى يذوب صبابةً ويلتذ مجروحاً ويرتاح ضائقا
فأي محبٍ ما الهوى باعثٌ له غراماً وقد شامَ البوارقَ تائقا؟
أحنّ إلى سفح العذيب وبارق فيا هل ترى ألقى العذيبَ وبارقا
ولي قلبُ مشتاقٍ إذا جنه الدجى عفا صبره وابتاع عنه السوابقا[1]
أصالي الجوى عن نائمين تهوموا وأبلغُ هماً للجوانح حارقا
وتمنعني من أن ألوذ بسلوةٍ من الدهر آمالٌ يشبن المفارقا
أُكَتّم أشواقي مخافةَ لُوَّمِي وأغدو إليهم مغرم الصدر غارقا

---

[1]) عفا: انمحى واندرس. والسوابقا: أراد بها هنا الدموع.

واختلق الأعذار إن قيل ماله وأحرص في إظهار ما بات زاهقا
ولو أنصفتني العاذلات وجدنني على غير ما وجهن لي العذل عاشقا
فما رف قلبي في هوى شادن الحمى ولا بات طرفي من نوى البيض آرقا
ولست أخا لهو ولا بي تطربٌ فمثلي أبت أحسابه أن يراهقا
ولكنني أهوى الفضائل ماجداً وأزجي إليها همتي والأيانقا
ومسعاي موقوفٌ على رتب العلى ونيلي بها فخراً من الذكر لائقا
وسمط عقودي في المديح موفرٌ على من علا أقرانه والخلائقا
وحيد بني المختار درة فخرهم إمامهم لا زال في الآل سابقا
حليف الرضا والبالغ الفضل يافعاً وتارك أبكار العلوم عواتقا
ومرجع أقطاب الهداة وغرة الأكابر والبدر الذي لاح شارقا
ومن فاق أحساباً وفضلاً ورتبة وجاوز في عليائه المدح سامقا
كريم المحيا لا يجارى شمائلاً كما لا يجارى حنكة ومعارقا
أثيرٌ نمى في آل يحيى فأسعدت إليه المعالي أن يكون موافقا
له خلقٌ سجحٌ ولينُ عريكةٍ غدا بهما جل الأفاضل فائقا
وحدسٌ وحزمٌ مقدم وتحلمٌ توقى بها غدراً وكيداً وحانقا
يَلُمّ به الراجي علوماً تفلتت فيدرك من بعد النّفار الدقائقا
حقيقٌ بما قد قيل قبل لجده وحبره نظم الزحيفي رائقا
(كبحر غدا باللؤلؤ الرطب قاذفاً وبالعنبر الشحري في البر دافقا)
(أو الغيث يبدي للسعيد منافعا ويبعث حينا للشقي صواعقا)
مناقبُ لو لاقت حمُيَداً لزانها وذيلها في الغابرين حدائقا[1]
أكنيه في مدحي له وهو ظاهرٌ يرى الناس أفضالاً له وسوابقا
وأوثر فيه القول علّ قصائدي تكون لتيّاك المعاني مناطقا[2]
وأخبر عن نفسي متى ما مدحته وأكتب عند الله والناس صادقا

---

[1] ( ) المقصود في البيت حميد الشهيد المحلي مؤلف كتاب الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية.
[2] ( ) المناطق: جمع منطقة وهو النطاق وهو كل ما شد به الوسط يقال انتطقت الرجل أي شد وسطه بمنطقته وكذلك المرأه.

فما خلد المغمور مثل قصيدةٍ إذا قالها أضحت عليه نواطقا
فخذها ولي المكرمات غريبة لها خطراتٌ قد بهرن المهارقا
زها الفكر في إبداعها غير مرهقٍ وصاغ الولا والود منها شقائقا
توافيك بالشهر الكريم مهنئاً وتنهي إلى عالي المقام الرقائقا
تحاكي قوافيها العلى في ابتكاره (أفق أينما وجهت صرت مفارقا)
وتنشر من ذكرى إمام وشاعر قصائدَ في ثغر الزمان عوابقا

***

ثانيا نورد نص جواب المولى أبقاه الله على ما سبق ولفظه بعد البسملة:

سيدي الولد العلامة الحبيب البحاثة الأديب الشاعر الناثر الأريب وجيه الإسلام عبد الرقيب بن مطهر بن محمد حجر أصلح الله أحواله وأحسن حاله ومآله، وحرسه عن كل نقص يشين كماله، وقصم أعداءه وحساده، وأحيا به مآثر آبائه وأجداده، وعليه يعود أفضل السلام ورحمة الله وبركاته وتحياته ومرضاته. وافانا كتابكم الكريم والخطاب الوسيم، المزري بالدر النظيم، الحاكي درك الثأر المنيم (فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا بخير كتاب جاء من خير كتاب)، وكان وصوله ثالث شهر رمضان، فتلقيته بالحفاوة والسرور، ووقفت على ما حوت ألفاظه من عقود الشذور. لا جرم أن منشئه من عقدت البلاغة عليه نطاقها، وهو في زماننا ممن مدت عليه رواقها، مع أن الزمان قد كسد فيه سوق الأدب وعفت آثاره، ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، فلله أبوك ولا فض فوك، خلا أن المقام أبقاه الله أطنب في مدح الحقير حسن ظن منه حفظه الله وإلا فأنا في الحقيقة حقير وباعي قصير، نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة، وقد تطفلت إذ عملت أبياتاً غثة ذات ألفاظ رثة، لولا أن المقام حفظه الله سيستر عوارها، ويغطي شنارها، إذ كبر السن وقعقعة الشنّ واعتوار الآلام سلبت مني القوى، والشعر شعور فمتى ضعفت الحواس قل الإدراك والإحساس، فاسبلوا ثوب الستر، واعفوا عما وقع من هجر، عفا الله عنا وعنكم، وأصلح شأننا وشأنكم، وغفر لنا ولكم بحق الشهر الكريم والنبي العظيم، وصلى الله على محمد وآله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحرر ٥ رمضان ١٤٢٩ من والدكم عبد الرحمن حسين شايم غفر الله له ولوالديه.

أيا بارقاً قد صير القلب وامقا به صرت في بحر المحبة غارقا
أثار صبابات بنا ولواعجاً وهيّج وجدي كلما شمت بارقا
أحنّ إلى سفح العقيق ولعلعٍ وقلبي إلى نعمان أصبح تايقا
وفي ملعب العشاق أصبحت لاعباً وما أَحْسِبَنِّي كنت من قبل عاشقا
أُكَتّم ما بي من هوى وصبابة وارحم من قد صار يا صاح وامقا

وما بي عشق للكواعب إنني بعيدٌ عن الأمر الذي ليس لائقا
ولكن عشقي للمكارم والعلا وإحياء دين الله إذ صار زاهقا
ونشر علوم الآل في كل حالة وصدّ الغواة الشانئين الموارقا
وتنفيذ أحكام الإله التي غدت يغيّرها من كان للدين ماحقا
ففي عصرنا ساد الجهول بجهله وطاغوت أهل الظلم قد صار خانقا
أحين افتقدنا كلَّ حبر مدقق دهتنا دواهٍ أولجتنا المضايقا
فيا ربّ فرج ارسل النصر عاجلاً لدينك يا ذا الطَّول فك العوايقا
وحين أتاني نظم أوحد عصره ومن حاز من علم المجاز الحقائقا
نهضتُ وقد كان الخمول مخيماً بذاك أزلنا كل ما كان عائقا
وفي النظم من عبدالرقيب سرائرٌ تبينت فيه المعجزات الخوارقا
نظام عجيبٌ من عليمٍ مفوّهٍ له سابقاتٌ قد بذذن السوابقا
أراه سيحيي مجدَ آل محمد ويبني لهم صرحاً من المجد سامقا
وينشر في التاريخ فضلَ سراتهم يترجم للماضي ومن كان لاحقا
تكون على الأعداء صاباً وعلقماً ويبعث للحسّاد منها صواعقا
فيا رب إن الناصبين تحزّبوا علينا وأبدوا غلظةً وشقاشقا
ودانوا بتجسيمٍ وجبرٍ وأحدثوا مذاهبَ خزي أظهروا وطرائقا
فيا ربّ دَمِّرهم وفرّق جموعهم وأنزل عليهم حاصباً وبوارقا
وأبقاك يا عبدالرقيب بنعمة تحوز بها عيشاً هنياً موافقا
كفاك إلهي كل بؤس ومحنة وجنبك الله الشرور الطوارقا
وأبقاك ربي للمكارم والتقى لتنشر علماً في البرية باسقا
وختم نظامي أن سلامي عليكم ورحمته ما عظم الخلقُ خالقا

وللإستفياء لا أكثر.... نورد رائعة الإمام عز الدين وجوابها مقابلةً على نسخة خزائنية بحوزتي من كتاب مآثر الأبرار، مع تعليقات أثبتها هامش القصيدتين بعضها من فوائد سيدي عبد الرحمن.

قال المؤرخ ابن فند: (ومن أشعار الإمام عز الدين عليه السلام اللاتي عوّل علي أن أعارضها بما يجانسها

قصيدة فريدة أنشاها يتشوق إلى بلاده، ويذكر أنه لا يبرح شوقه مستمراً إن كان بالشام[1] اشتاق إلى أهله باليمن وإن كان بأرض اليمن فكذلك فقال):

أفقْ أينما وَجَّهتَ صرتَ مُفارقا ولم تلق فيما بين حاليك فارقا
تُسرّ بأن تلقى حبيباً ومنزلاً عقيب افتراقٍ صار للقلب غارقا
وما نلته إلا بفرقة منزلٍ وأهل ووُلْدٍ وافتقادك وامقا
فتصبح مسروراً هناك وواجدا وصدرك مشروحاً هناك وضائقا
فيا جامع الضدين والوقت[2] واحدٌ لقد جئت شيئاً للعوائد خارقا
ألا هكذا الدنيا مشوبٌ سرورها وما منحت صفواً من العيش رائقا
إذا ما حلت مرّتْ وإن هي أحسنت أساءت، وتعطي السؤل بالسوء لاصقا
نهضنا إلى كحلان والشوق لم يزل لنا قائداً وسط الطريق وسائقا[3]
فلما بلغنا ما نريد ولم نجد عن القصد عن لقيا الأحبة عائقا
وجدنا التلاقي والتداني وقربنا عقيب ابتعادٍ والوصال الموافقا
أفاد التنائي والتباعد موجباً فأمسى الأسى والكرب للقلب طارقا
إذا ما رأينا من لدينا أحبة محاسنهم زهرٌ تحوز المرافقا
أنسنا وطبنا باللقاء وسرنا مصير النوى من بعد ذلك زاهقا
وعدنا إلى تذكار من شط داره فأضحى بعيداً نازح الدار ساحقا
ومن حجبته أشعب وشواهق فسحقاً لها من أشعب وشواهقا
فثارت نيار للجوى وسط الحشا بها أصبح القلب المتيم حارقا
فلي في الدجى جفنٌ نؤوم عن اللقا وجفنٌ به يمسي على البعد آرقا
وقلبٌ تراه ساكناً بعض ليله وفي بعضه من شدة الوجد خافقا

***

ألا أيها الساري على ظهر سابح يقود الجياد الصافنات السوابقا

---

[1] ( ) المقصود بالشام صعدة وبلادها، واليمن: كل ما وقع من البلاد في جنوبيها.
[2] ( ) في نخ: والقلب واحد.
[3] ( ) كحلان: من أوطان الإمام عز الدين (ع) التي استوطنها أيام دعوته.

تحمل وُقِيْت السوء نظماً محبراً بديعاً بليغاً يفضح الدر فائقا
تبث به الشكوى على الخالق الذي تبارك رحماناً رحيماً وخالقا
وأوقف عليه كل راعي مودة مصونٍ عن الغش الذي ليس لائقا
يواسي ويأسو أو يحبر ناظماً جواباً لما في النظم هذا مطابقا
وخص به المقصود بالذكر أولاً ومن بُعْده أضحى له الدمع دافقا
أحبتنا ما بين صنو مفضل تراه صديقاً في الأخوة صادقا[1]
هماماً سما جوداً ومجداً ومفخراً وأصلاً أصيلاً شامخ الفرع باسقا
ونجلٍ كريمٍ يملأ الأرض صيته مغاربها يا مرسلي والمشارقا
حليف معالٍ لم يزل مولعاً بها وما انفك للأسفار خدناً معانقا
ووُلْدٍ سراةٍ طيبين أماجد زكوا عفةً في دينهم وخلائقا
غطاريف أطهارٍ كرامٍ أماثل فما أحد منهم يخاف البوائقا
وأهلٍ بهم صار الفؤاد مولعاً مشوقاً إليهم غاية الشوق تائقا
أحنّ إليهم كلما هبت الصَّبَا وتزداد أشواقي إذا شمت بارقا
ومهما تذكرت الشآم ومن به أقامَ، تذكرتُ العذيبَ وبارقا
وإن أنس لم أنس الذي صار فَقْدها له عبراتٌ قد أخذن المخانقا[2]
وهل كبدٌ تمشي على الأرض مثلها يهون على أحشائها أن تفارقا
وما أم سقبٍ فارقته فلم تزل تحنّ حنيناً أسمعته النوائقا[3]
بأشوقَ مني قاطناً ومسافراً وأوجدَ مني صامتاً ثم ناطقا

---

[1]) سألت سيدي عبد الرحمن عن المقصود بهذا البيت فأفاد أن الإمام كان له إخوة عدة كلهم كانوا في محل من الكمال وليس مثل صنوه داود بن الحسن فهو المقصود هنا بوصف الإمام، وقيل أنه مع كماله ورئاسته كان أديبا له نظم، انتهى من فوائده أبقاه الله.

[2]) مراد الإمام بهذا البيت والذي يليه زوجته الشريفة المطهرة بدرة بنت الحسن بن محمد بن صلاح الزيدي من الأمراء آل زيد، وكانت حظية لدى الإمام أخبرني بذلك سيدي عبد الرحمن وأشار إلى ما جاء في إحدى قصائد الإمام إلى ابنه عبد الله وأخته فاطمة ولم يكن للشريفة بدرة المذكورة على الإمام إلا هما والبقية درجوا صغارا نحو ثمانية والأبيات المشار إليها هي:

وأمكما الحسناء سيدة النساء * فأحسن بها خلقا وأكرم بها نجرا
فما ولدت حوى أثنى كمثلها * ويكفيك هذا في محاسنها فخرا
هي الروح والسلوان والسؤل والمنى * اعد ذكرها جهرا إذا شئت أو سرا

[3]) النوائق: جمع ناقة، والسقب: ولد الناقة.

فقل للأسى رفقاً فقد صرت لازماً وقل للسلو اذهب فقد صرت طالقا
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة وليس بليت نستفيد الحقائقا
وللشمل جمعٌ ما يشاب بفرقةٍ وليس غراب بالتباعد ناعقا
عسى ولعل الله إني بلطفه ورحمته ما زلت عمري واثقا

قال العلامة الأديب ابن فند: (وصلتني هذه القصيدة في شهر رمضان الكريم من سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وأشار الإمام عليه السلام أن أجوب عليها، فجوبت سريعا بهذه القصيدة الآتية، فلما بلغته استجادها واستحلاها، وأنشدها للحاضرين وتلاها، فقلّ منهم من قام من تلك الحضرة حتى استملاها، وهي هذه مجردة عن تخميس أردفتها به بعد مدة وحصل لي منه بسببها جائزة سنية وعطية هنية):

صدقتَ ولم تبرح مدى الدهر صادقا وما زلت عن أمثال لقمان ناطقا
وسابقت أرباب المقال إلى العلا فقاموا وجاوزت النهاية سابقا
فمن رام إدراكاً لشوطك لم يكن لشق غبارٍ من مساعيك لاحقا
بآيةِ ما أبدعت فيما افتتاحه (أفق أينما وجهت صرت مفارقا)
فإنك ألبست الفصاحة حلةً تفوق ملاءا رامَهُرْمُز ودابقا[1]
وأنسيت نظماً للكميت وجرولٍ وصيّرت أرخاخَ القريض بياذقا[2]
ولا غرو فالأشعار أصغر مفخرٍ غدوتَ به جل الأئمة فائقا
وأما فنون العلم فالكل مذعنٌ بأنك قد أوضحت منها الدقائقا
كبحر غدا باللؤلؤ الرطب قاذفاً وبالعنبر الشحري في البر دافقا
أو الغيث يهدي للسعيد منافعاً ويبعث حيناً للشقي صواعقا
كما جزت أرباب الكمال فلن ترى أخا رتبةٍ إلا لحقك سارقا[3]
كأنك ذو القرنين طوّفت تبتغي مغاربَ في جمع النُّهى ومشارقا
ليعتبر النظار فيما أقوله ولا قدس الله الكذوبَ المنافقا

---

(1) رامهرمز وتكتب أيضا: رام هرمز وهي مدينة في كور الأهواز بناها هرمز بن سابور من ملوك الفرس (مروج الذهب ١/١٩٩) ودابق: مدينة أيضا كانت في أقاصي بلاد فارس (ياقوت: معجم البلدان). وقد جاء عجز البيت في نسخ المآثر هكذا: تفوق ملايا رام هرمز ودابقا؛ بدون أي تنقيط وما حررناه اجتهاد.

(2) الأرخاخ والبياذق: من قطع الشطرنج.

(3) علق في هامش المآثر: يشير فيه إلى ما صحح [الإمام] للمذهب من جواز أخذ الحق ولو على وجه قبيح مثل السرق ونحوه انتهى.

أمثل أمير المؤمنين ورهطه يرى الناسُ أفعالاً زكت ومعارقا
وأربعةٍ هل عدّ في أي معشرٍ نظير لهم سرداً كذا متطابقا
توسط عز الدين ما بين نجله وناجله كالورد زان الشقائقا
وبالحسن استكنى وبالحسن اعتزى وفي المكرمات السيدان توافقا
وإن سبق الهادي القديمُ حفيده فقد لحق الهادي الأخير ووافقا
وإن قلت قد أربى ونيّف لم يكن مديحي لبدر التم إذ تم ماحقا
ألم يك يحيى من حسين وقاسم فهل حط قدراً منهما كان باسقا
لقد فخرت عبسٌ بأن كان منهم ثلاثة أنفارٍ سراةٍ بطارقا
وثنوا لأم أنجبتهم بأنها سمت كل من زُمت عليها المناطقا[1]
ولو عاش منهم من يرى لإمامنا بنينَ وإخواناً بدوراً شوارقا
ويكفي من الأسباط سبطان أعجبا وفي الرأي والإقدام صنوان طابقا
إذاً لرأى ساداتَ عبسٍ زعانفاً وعدّ بها همامَ مُرّة لاصقا

***

فيا أيها الغادي على أرحبية يباري ذواري الريح بَلْه الأيانقا
تعَدّ بها ماء بيرسم مصبحاً ويمم بها ماء بحيدان غابقا
وطيش عليها في السواد مفاوزا يظل بها الخريت حيرانَ باخقا
نجودا وأغواراً وحيناً عقنقلاً ومتسعاً في طرقه ومضايقا
كأن يرابيعاً جعلن ببطنه مساكنها من قاصعاء ونافقا[2]
فحين ترى الأهنوم عرّج تعمداً على أرض قحطان كفيت العوائقا
إلى الشرف الأعلى وفي ذا إشارة إذا كنت للتشريك في اللفظ رامقا
ومن حيد كحلان تكحل فإنه يزيد الضيا نوراً ويجلو الحمالقا[3]
وإن كنت مكروباً فعفّر بتربه جبينك تستفتحْ بذاك المغالقا

---

(1) المناطق: تقدم شرحها. ويقصد فاطمة بنت الخرشب الأنمارية إحدى المنجبات ولدت لزياد العبسي عدة من البنين كان يقال لهم الكملة.
(2) اليربوع: دابة تجعل لمسكنها أبوابا بعضها ظاهر يسمى القاصعاء وبعضها باطن يتخذه إذا سد عليه الظاهر يسمى النافقاء.
(3) الحمالق: باطن أجفان العين.

ومنهن رجواي لهم أن يشابهوا أصولهم مهما استقلوا طرائقا
فليس يضر القومَ موتُ سَراتهم ولكن إذا شبّ الخلوفة مائقا
ولا الحسب المعروف لا در دره بمغنٍ وإن أمسى به العز عالقا
ووالله يا مولاي إن بباطني بكورَ شكاوٍ ضعف ذا وعوائقا
وإنك قد حركت داء مخامراً له زمن لم يلق في الطب حاذقا
وإن قد رمى عن قوس فحوى[1] نظمكم وقرطسَ حتى مرّ في القلب مارقا
فمنّوا على المملوك منكم بدعوة فما جاهكم عند المهيمن زاهقا
بتثبيته في قوله وفعاله وتبليغه فيما يروم الحقائقا
فأنتم لنا يا أهل بيت محمد ملاذٌ إذا خفتم علينا البوائقا
عليكم سلام الله ما هبت الصبا وما دام مخلوقٌ يسبح خالقا

انتهى المقصود وصلى الله على محمد وآله وكان الفراغ من تحرير ذلك منتصف شهر شوال من السنة المذكورة تسع وعشرين وأربعمائة وألف وكتب أسير ذنوبه والراجي عفوه ومغفرته عبدالرقيب مطهر محمد حجر سائلا الله العفو في الدارين مصليا في الختام على محمد وآله انتهى **قلت**: وهذه مكاتبة من مكاتبات عديدة جرت بين كاتب هذه الأحرف سامحه الله وبين سيدي المولى عبدالرحمن بن حسين شايم سوف تحرر وتجمع في كراس مفرد، وإنما دعاني إلى نقلها هنا ما أحدثه في قلبي من لوعة انتقال سيدي المذكور إلى مستقر رحمته، وخلو الزمان ممن يقدر هذا الصناعة وهذا المجهود الذي بذل، فلو كان بين أظهرنا لأشاد كعادته على ولده وحباه بعباراته الرشيقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

[1]) في نخ: وإذ قد رمى عن قوس فحواي.